# مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة

العدد السّابع عشر – أغسطس 2025 م

## جامعة سلامنكا (إسبانيا): تَدريس العربيَّةِ تاريخُنا وفَخرُنا

## أفانينُ الكلام في التَّعامُلِ مع الحروفِ عندَ ابن عاشور

## مَشْهَديَّة الصَّحراءِ في شِعْرِ عَبد العَزيز سُعود البابطين

## تَنوُّعات تَشْكيل الفِعْل (رأى) بين التُّراثِ واللَّهَجات



سلامنكا - (إسبانيا)

رمز الاستجابة السريعة للنسخة الرقمية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ
ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ
وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ
عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾

[ فصلت ٤٤ ]

صدق الله العظيم

# بين يدي العدد

تتجاوز اللغة كونها أداة تواصل، إذ إنها تترسّخ في وعـي الفرد العربي ووجدانه، وتغدو جزءًا لا يتجزّأ من بنيته الذهنية، وتسهم في تشكيل طرائق تفكيره وتصوراته عن العالم، وعن نفسه، وعن الآخر. وللعربيّة خصوصيّة قدسية وبلاغية دفعت أجيالاً من العلماء والمفكرين والمربّين، منذ القرون الأولى وحتى اليوم، إلى بذل جهود فردية جبّارة في سبيل خدمتها وتثبيت أركانها وتجديد أدواتها. وقد تنوّعت هذه الجهود بين التأليف، والتحقيق، والشرح، والتقعيد، والابتكار، فأنتجت تراثًا لغويًا وفكريًا زاخرًا، يشهد على عمق الانتماء للغة، وعلى الوعي المبكر بقيمتها ومكانتها.

غير أنّ التجربة تُثبت، في المقابل، أن هذه الجهود -على الرغم من عظمتها- تظلّ أقل قدرة على إحداث التحوّل العميق والمستدام في بنية المجتمع اللغوية ما لم تُدرج ضمن مشروع مؤسسي واعٍ، يملك أدوات التخطيط والتنفيذ، ويستند إلى رؤية شاملة تتجاوز الفعل الفردي إلى العمل المنظّم. فميدان اللغة ميدانٌ دقيق، تتشابك فيها الجوانب التربوية والثقافية، والدينية والإعلامية، والمعرفية. وهو ميدان لا يمكن التعامل معه بالمبادرات الفردية وحدها، بل لا بدّ من مؤسسات علمية ولغوية تمتلك الرؤية والإمكانات، وتتّخذ من اللغة قضيّة مركزية في بناء الوعي وصياغة مستقبل اللغة.

ويُضيء هذا العدد على نماذج حيّة من العمل المؤسسي في خدمة اللغة العربيّة، إذ خُصّص ملفّ العدد لتوثيق تجربة جامعة سلامنكا الإسبانية، التي تُعدّ من أقدم الجامعات الأوروبية وأكثرها ارتباطًا بتاريخ الدراسات العربيّة في الغرب. كما عرض هذا العدد آخر منجزات مجلس اللسان العربي في موريتانيا، بوصفه أحد النماذج المؤسسية الناشطة في خدمة اللغة العربية، وانتقل العدد إلى رفد القارئ بمجموعة من المقالات العلميّة التي تنوّعت موضوعًا واتجاهًا، وشارك فيها عدد من اللغويين والباحثين البارزين. ففي باب البيان القرآني يعرض الدكتور جهاد نصيرات قراءة في فكر ابن عاشور اللغوي التفسيري في مقاله: "أفانين الكلام في التعامل مع الحروف عند ابن عاشور"، وفي باب اللغويات يتناول الباحث محمد الشامي قضية "تعريب أسماء الأجهزة والمخترعات الحديثة" في ضوء التحوّلات التكنولوجية، مناقشًا آليات النقل الصوتي والاشتقاق ودور المؤسسات في ضبط المصطلحات.

وفي باب المعجميّات، نخوض رحلة في المعجم التاريخي مع الجذر (ق ر أ) سعيًا إلى تتبّع السيرورة الدلالية التي مرّ بها هذا الجذر، من خلال الشواهد التي وردت في المدونة المعجمية، وربطها بسياقاتها الاستعمالية والتاريخية، وفي كتب ودراسات يقدّم الدكتور خليل خلف السويحل عرضًا لموسوعة "التفسير البلاغي للقرآن الكريم"، ومنهجها الفريد في الجمع بين البلاغة القرآنية والتفسير الموضوعي، وموقعها ضمن مشاريع صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي. وفي باب الأدب والنّقد يسلّط الدكتور سعيد بكور الضوء على اللجان الأدبية في التراث العربي، ويعرض دور النخبة العلمية في تصنيف الشعر العربي عبر العصور، وآليات التذوق والتقويم.

وبهذا، يجمع العدد تحت مظلّته نخبةً من الباحثين واللغويين الذين قدّموا جهودًا فرديةً علميّة تتقاطع وتتكامل ضمن هذا الإطار المؤسسي الذي تمثّله مجلة مجمع اللغة العربية بالشارقة، سعيًا إلى ترسيخ موقع اللغة العربية مجالات البحث والتعليم والثقافة.

**هيئة التّحرير**

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

مجلّة أدبيّة لغويّة تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السّنة الثّالثة – العدد السّابع عشر – أغسطس 2025 م

مجلّة أدبيّة لغويّة تُعنى بقضايا اللّغة العربيّة وآدابها





المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 971+

فاكس : 401 60 51 6 971+

ص.ب : الشارقة ، 1973

shj_ala

www.alashj.ae

Sharjah.ala

info@alashj.ae

مجمع اللغة العربية بالشارقة


امسح الرمز لزيارة موقع مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التّواصل على البريد الإلكترونيّ

**Magazine@alashj.ae**





22

## مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة يعزّز مهارات كوادر المدينة الجامعيّة بأساليب «تحرير الأخبار وصياغتها»


مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة




04

### اللغة العربيّة بين الماضي المشرق والحاضر الباهت والمُستقبل المنشود

**المشهدُ اللّغويّ العربيّ الرّاهن في أغلب الدّول العربيّة وحواضرها جالبٌ للانتباه، لافتٌ للاهتمام.**



10

### جامعة سلامنكا (إسبانيا).. تدريس العربية تاريخنا وفخرنا

**تُعَدُّ جامعةُ سلامانكا، التي تأسَّست عام 1218، أقدمَ جامعةٍ في إسبانيا، وهي تنتمي إلى الدائرة التاريخية التي تضم بولونيا وأوكسفورد وباريس..**

# المحتويات


## نظراتٌ في البيانِ القرآنيّ

28 اللّه نُــــورُ السَّـــــــمَاوَاتِ والأَرْضِ

34 أَفَانِينُ الكَـلَامِ في التَّعَامُلِ مع الحُرُوفِ عندَ ابنِ عَاشُور

42 المَسَافَةُ الجَمَالِيَّةُ في القِصَّةِ القُــرْآنيَّةِ

46 الوَظِيفَةُ الدِّلالِيَّةُ لِلْفَاصِلَةِ القُـرْآنيَّةِ، قِـرَاءَةٌ تَارِيخِيَّــةٌ نَقْـدِيَّةٌ

## لغويات

56 تَعْرِيبُ أَسْمَاءِ الأَجْهِزَةِ والمُخْتَرَعَاتِ الحَدِيثَةِ ومُلْحَقَاتِهَا في ظِلِّ التَّطَـوُّرِ التّكْنُولُوجِيِّ

60 تَنَوُّعَاتُ تَشْكِيلِ الفِعْلِ (رأى) بين التُّرَاث واللَّهَجَاتِ

66 التّرادفُ عندَ علماء اللّغة

## مُعجَميّات

72 رحــــلة في المعجــــــم التّاريخـــيّ مع الجذر (ق ر أ)

78 التحدياتُ المُعجميّةُ فـي إعداد مُعجـم عربيٍّ مُعاصرٍ للمُصطلحاتِ المُســتحدَثةِ

## كُتُبٌ ودراساتٌ

88 المَنْثُــورُ البَهَـائــيُّ لأبي سعــدٍ النَّيْرَمانيِّ (ت٤١٤هـ)

94 وقْفَـــــةٌ مع الأَعْمــالِ الفائــزةِ في جائـزةِ الشّـــارقةِ للدِّراســاتِ اللُّغـويَّةِ والمُعجميَّـةِ

## مِن أعْلامِ العَرَبِيّة

114 الخَليلُ الفَراهيدِيُّ حيــاتُه وشخصيّتُـه

124 التَّرْجَمَةُ للأَعْـلامِ مَزِلَّةُ أَقْدامِ ابنُ سيدَه وكـتـابُـــه: (المحـكَــــمُ في اللّغــةِ)




24 إضــاءَةٌ عَلـى آخرِ إنْجـازاتِ مَجْلس اللّسانِ العَرَبِيِّ فـي مـــوريتانيا



84 الرِّيـــادةُ والفَــــرادةُ في موســوعةِ التَّفسيرِ البلاغيِّ للقرآنِ الكريمِ

حقَّقَت هذه الموسوعةُ إنجازًا بحثيًا فريدًا كمًا وكيفًا قلَّ نَظيرُه في موضوعه، وحظيَت برعايةٍ سخيَّةٍ من صاحبِ السُّمُوِّ...



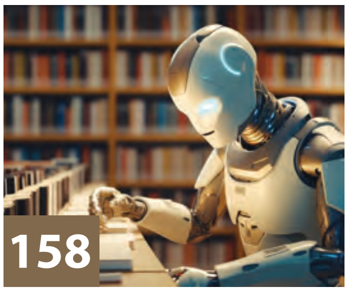
108 مِنْ أَساطِينِ اللُّغَةِ العربيَّةِ ابــنُ مـالِكٍ الأَنْدَلُســيُّ

يُعدُّ ابنُ مالكٍ، إمامًا من أئمّةِ اللّغةِ العربيّةِ الكبارِ، ذلك الإمامُ النّابهُ، الذي غاصَ في أعماقِ المعاني والأفكارِ، فاستخرجَ من المكنونِ نفائسَهُ بهمّةٍ عاليةٍ واقتدارٍ



130 اللِّجَــانُ الأَدَبِيَّــةُ في التُّرَاثِ العَرَبِيِّ فِرَقٌ مُتَخَصِّـصَـةٌ في اخْتِيَارِ الشِّعرِ وَحِفظِه وَنَقْدِه

تُطلَقُ اللَّجْنَةُ على جماعة مِنَ المتخَصِّصِين تُسنَدُ إليهم مُهمّةُ النَّظرِ في أمرٍ أو اتّخاذ قرارٍ في مسألةٍ أو إبداءِ رأيٍ في قضيّةٍ......



158 أَدَبُ الذَّكـاءِ الاصـطـنـاعيِّ ومُعضـلةُ الإبـداعِ وشــيءٌ من هذا القبيل

أصبحَ بمقدورِ أيّ مُتصفّحٍ لشبكةِ الإنترنت ومواقعِ التّواصلِ الاجتماعيّ كتابةُ أيّ نصٍّ أدبيٍّ باستخدامِ الذّكاءِ الاصطناعيّ

في رحاب العربيّة (1)

# اللُّغة العربيَّة بين الماضي المُشرِق والحاضِر الباهت والمُستَقبل المَنشود

**المشهدُ اللّغويّ العربيّ الرّاهن في أغلب الدّول العربيّة وحواضرها جالبٌ للانتباه، لافتٌ للاهتمام. أينما توجّهَ العربيُّ الأصيلُ في عالمنا الحديث رأى المشكلة اللّغويّة تبسُطُ أجنحتها على امتداد وطننا العربيّ العزيز. يرى ويُبصرُ وتتسابقُ إلى ذهنه أسئلة كثيرة تتزاحمُ وتتصارعُ لتطفُوَ إلى طاولة الحوار وتحظى بمن ينظُرُ فيها:**

**ما الذي يمنعُ اللغةَ العربيّة اليوم من أن تتبوّأَ منزلتها التي هي أحقُّ بها وأهلُها؟**

**ما الدّاءُ الذي قعدَ باللغة الفصيحة عن النّهوض والارتقاء لتتبوّأ منزلة ساميةً في مصافّ اللّغات الحيّة المطلوبة والمرغوبة على السّاحة الدّوليّة؟**

**ما الخُطواتُ العمليّة للنّهضة بها، والتّمكين لها، والعودة بها إلى ماضيها المجيد وعهدها العتيد؟**



د. امحمد المستغانمي
الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالشارقة

بادئ ذي بَـدْء، أُقـرّرُ على بساط هذا المقال أنَّ خدمةَ العربيّة واجبٌ إسلاميٌّ وعربيٌّ ووطنيّ: إسلاميٌّ لأنَّ العربيّة وعاءُ القرآن الكريم؛ فمَنْ أراد فَهْمَ القرآن الكريم وتدبُّر آياته فعليه بلغة التّنزيل وأسرارها ودقائقها، ولا يغيبُ عن ذهن أحد أنَّ العنايةَ بلغة القرآن الكريم عملٌ سامٍ وواجبٌ مُقَدّس وفرضٌ لازبٌ على ذَوِي النّخوة من أهل العروبة والإسلام.

وخدمتُها واجبٌ قوميٌّ لأنَّ النّحيزة العربيّة والمَحْتدَ العربيّ يقتضيان كلّ عربيّ شريف أن يكون حاملا للهمّ العربيّ مجتهدا في التّمكين للغة العربيّة التي هي حاضنة مقوّمات هويّته العربيّة، وخدمتُها واجبٌ وطنيّ



لأنّ الوطن يقتضي من أبنائه الأوفياء الصّادقين في وطنيّتهم أن يُخلصوا للغته الرّسميّة، وجملةُ القول: إنَّ كلَّ عربيّ في عنُقه دَيْنٌ مُستَحَقٌّ للعربيّة، فمتى نرُدُّ الدُّيونَ المستحقّة؟ ومتى نهُبُّ لنجدة المُضريّة التّميميّة الغيداء والخزاعيّة الإياديّة الهيفاء؟

هذه سلسلةٌ من فِقرات، هَمَمْتُ أن أُسَجّلها ضمن قرطاس مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالشارقة لعلّي أنبّهُ من خلالها إلى موضوع يجبُ الاعتناءُ به، أو زاوية تَجدُرُ معالجة المشهد اللغويّ المتعثّر بها، أو فكرة تثيرُ شَهْمًا هُماما من القائمين على عرين العربيّة للذّبّ عنها ورفع مقامها ووضع حلول وإجراءات عمليّة لتسهيل تعليمها وتيسير تعلّمها في مدارسنا ومؤسّساتنا التربويّة والعلميّة بشكل عام.

كثيرٌ من أبنائنا وبناتنا اليوم في مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا ينظرون إلى اللغة العربيّة نظرة الكراهيّة،

ويَرَوْنها ثقيلةً على نفوسهم، بل إنَّ ثمّة مَنْ ينظرُ إليها نظرَ المغشيّ عليه من الموت.

وهؤلاء، عندما تتفحّصُ شؤونَهم، أخي القارئ، تجدُك أمام أناس لا يعرفون عن العربيّة لا قليلا ولا كثيرا، وحيثُما ولّيت وَجْهَك، هالك ما تقرأ من أسلوب مُهَلْهَل، وراعَك ما تسمعُ من لَحْنٍ جليّ، وخَيَّبَتْ آمالك ما تراهُ في مكتوباتهم من ضحالة في الألفاظ وعُجمة في الأداء.

وإذا أقبلتَ إلى الاختبارات النّهائيّة التي تُجريها المدارسُ والمؤسّسات العلميّة في نهاية العام الدّراسيّ، فحَدِّثْ ولا جناحَ عليك، فإنّك واجدٌ أنَّ كثيرا من تلاميذ المدارس وطلبتها يتعثّرون في كتاباتهم كمَنْ يمشي مُكِبًّا على وجهه في طُرُق وَعِرة من غير مُرشِدٍ يدلُّهم، ومن غير هادٍ يهديهم إلى سواء الصّراط في كيفيّة التّصرّف في البناء الأسلوبيّ والإنشاء اللغويّ السليم. والحقيقة التي ينبغي لنا أن نستحضرها هي أنَّ الاختبارات أضواء كاشفةٌ تكشفُ حقيقة التّدريس، وتُجلّي مزاياه أو مثالبه.

ما يعيشُهُ أبناؤُنا من إملاقٍ معرفيٍّ في الرّصيد اللّغويّ داءٌ عُضالٌ يستوجِبُ أن تنهضَ هِمَمُ رُوّادِ الإصلاح وجمهرة الغيورين وطوائف أهل العلم وجُموع أصحاب القرار والنّفوذ لفعل ما يلزم، ووضع خُطط وسياسات للشّروع الفوريّ في المعالجة والإصلاح قبل أن يتّسِعَ الخَرْقُ على الرّاقع، وتنتشرَ الخلايا السّرطانيّة المُدمّرة في الجسم العربيّ كلّه.



هذا، وقد اجتهد التّربويّون قديما وحديثا لتشخيص الدّاء والوُقوف على أسبابه، وقد تعدّدت وُجهات نظرهم في تحديد أسباب الضّعف اللّغويّ لدى أبنائنا في المدارس والجامعات حيثُ ردَّهُ بعضُهم إلى ضَعف المناهج، وأرجعه آخرون إلى قلّة الحصص التّعليميّة، وطائفة ثالثة رأت أنَّ العامل المؤثّر الكبير هو قلّة القراءة وضيق مكتبة الطّالب.

وللنّهوض بالعربيّة من كَبْوَتها، والعَودة بها إلى سُؤددها ومجدها، لا بُدَّ ولا مناصَ ولا محيصَ من تسطير خطوات ملموسة واختيار وسائل مُفيدة وإحداث عمليّة إصلاح أدبيّ شامل في أساليب تعليم العربيّة الفصيحة وتَعميم التّحدُّث والكتابة بها.

ولو أنَّ زُعماء الإصلاح ورُوّادَ العربيّة وأهلَ الأدب وصُنّاعَ القرار، تضافرت جهودُهم، وتآزرت هِمَمُهم، وتظاهرت خُططُهم في الوجهة الصّحيحة، لاستطعنا أن نُنجزَ عملا قوميّا مُثمِرًا يُحقّقُ للعربيّة ما تصبو إليه، ويُسعِدُ أبناءها، ويُبهجُ عُشّاقَها، ويُثلِجُ صدورَ المُهتمّين بالشّأن اللغوي في أقطار العُروبة والإسلام كلّها.

أوّل ملحوظة نراها في هذه الكلمات أنَّ أساليبَ تقديم العربيّة الفصيحة لأبنائنا وبناتنا في مدارسهم اليوم لا تزالُ غريبةً...لم يتمكّن المعلّمون والمعلّمات والموجّهون والموجّهات إلى اليوم أن يجعلوها سهلة التّداول، طيّعة على الألسنة، مُستساغةً حُلوةً في اللّهوات. ولا نزال نتشوَّفُ أن نرى ونستمعَ إلى تلاميذ يُبينون ويُفصحون بالعربيّة الجميلة اللّذيذة الإيقاع، العذبة في الأسماع، الثّريّة المعاني، الجزلة الألفاظ، وهم يُقدّمون أعمالهم الكتابيّة أو يتخاطبون بها في المواقف التّعليميّة والخطابيّة المتنوّعة.

أساليبُ العلاج كثيرة، يمكننا أن نصفَ بعض الخطوات، ونتدرّج بأبنائنا

منزلة بعد منزلة إلى أن يُحقّقوا في ظلّ المقترحات التي سنبسُطُها بعض ما نصبو إليه، ونتطلّعُ لرؤيته في المشهد اللّغويّ الثقافيّ العربيّ.

ندعو أوّلا إلى ضرورة العناية بالكتابة والخطّ...هذه خُطوةٌ نراها ضروريّة جدًا، وقد يراها غيرُنا سهلة ميسورة ليست بتلك الأهمّيّة، ونحن نقول: إنَّ الكتابة الواضحة الجليّةَ السّليمة، والعناية بجودة الخطّ أثناء الكتابة تفتحُ ذِهنَ الطّالب على جانب جماليّ عظيم من جوانب هذه اللّغة التي بين أيدينا.

وندعو ثانيًا إلى العناية بدرس القراءة اليوميّ...لا بُدَّ أن يكون للتّلميذ في اليوم الواحد حصّة دراسيّة واحدةٌ، يقضيها من أوّل دقيقة فيها إلى آخر ثانية منها في القراءة...يقرأ المعلّم النّصَّ المقرَّرَ قراءة أنموذجيّة، ويقرأ بعده التلاميذُ المتميّزون، ثمّ تتوالى قراءات كلّ التلاميذ فردًا فردًا، وفي كلّ مرّة، يجبُ تصحيح الأخطاء: أخطاء النّحو، وأخطاء النّطق، وأخطاء اللغة، وأخطاء الأداء، ولا يذرُ المعلّمُ الماهرُ فرصة للشّرح والبيان إلا شرَحَ وبَيَّنَ.

واقـعُ العربيّة يتطلّبُ نظرا في المشكلة اللغويّة من زوايا متعدّدة، ويوجبُ فحصَ المزالق والعوائق والتّحدّيات بعدّة مناظير.

نحتاج إلى النّظر في المناهج المقرّرة في النّحو والصّرف والبلاغة والعروض والإملاء والمعجميّات والإنشاء....نحتاجُ إلى فَحْص أساليب تدريس هذه الموادّ وأخواتها من علوم اللّسان وفروعه، ونحتاج إلى أن نعضُدَ تقويم المناهج




وتقويم طرائق التّدريس بغرس وجمع رصيدٍ أدبيّ وافرٍ في ذهن المتلقّي.

أبناؤُنا اليوم يذهبون إلى المدارس بالغُدُوّ والآصال، وأذهانُهم خاليةٌ من المخزون الأدبيّ الفنّيّ من شعر ونثر وقرآن كريم وحديث شريف وقصص ونُبذٍ من تاريخ الأدب العربيّ والثّقافة العربيّة. وهذا الفراغ لا يملأُه المعلّم ولا طرائقُ التّدريس ولا حرصُ أولياء الأمور. هذه الثّغرة لا يملأُها إلا الأدبُ العربيّ المجيد الزّاخر الحافل بالحكم البليغة والأشعار البديعة والقصص الماتعة والنّصوص الفنّيّة البليغة المؤثّرة.

من ناحية أخرى، نحن بحاجة إلى العزف على وتَر تحبيب الفصيحة إلى النّفوس، وتحفيز التلاميذ والطّلاب الذين يكبرونهم سنّا للتّحدّث بها والكتابة بها يوميّا... لا ينبغي ولا يسوغُ أن تمرَّ ساعةٌ إلّا وقد مرَّ على ذهن التّلميذ ومَسْمَعه جملةٌ فصيحة أو حكمة بليغة أو بيتٌ شعريّ جميلٌ. الأذن تعشق، والنّفس تألف، والقلبُ يُحبّ، والوجدان يميل، والذّهن يتعوّدُ على فصيح الكلام وبليغه. العمليّة تراكميّة بامتياز. لا نستطيع بناء صرح اللغة الفصيحة في أذهان أبنائنا بين عشيّة وضحاها، هذا الصّنيع، إن فكّر فيه أحد، فهو ضربٌ لا يتناسبُ مع طبيعة تعليم اللغات وتدريس البيان.

جملة القول، يحتاجُ المجتمع التّربويّ الرّاهن، ويحتاجُ المجتمع الأسريّ المعاصر، أن تتضافر جهودُ كلّ العاملين في حقول المعرفة وميادين التربية والثقافة للبحث والدّراسة والتّنقيب للتّوصّل إلى حلول تقومُ على إجراءات عمليّة لمعالجة المشكلة اللّغويّة في وطننا العربيّ الكبير، والدّفع بالحلول المقترحة إلى التّنفيذ والتّطبيق في الواقع التربويّ والحقل المجتمعي.

ولعلّ الحديثَ عن برامج تدريس اللّغة العربيّة ومفردات المناهج، ونصوص الموادّ المقرّرة في شتّى فروع العربيّة وفنونها، هو خطوةٌ هامّة يجدرُ البدءُ بها في هذه السّلسلة من المقالات التي أتطلّع من خلالها إلى بسط حلول تتوخّى معالجة الواقع اللّغويّ العربيّ، ورسم سياسات، ووصف أساليب علاجيّة له.

ماذا يدرُسُ أبناؤُنا اليوم في حصص تدريس اللغة العربيّة؟ ما النّصوصُ التي اخترناها لهم ليقرأوها وتكون محلّا للنّظر والقراءة والتّدبّر والفحص وأخذ العِبَر منها والاستفادة من قالبها التّعبيري الأدبيّ؟؟

من أين استقينا النّصوص والمقالات والقصائد المقرّرة في الكتب المدرسيّة؟ هل ثمّة مساحةٌ لتدريس

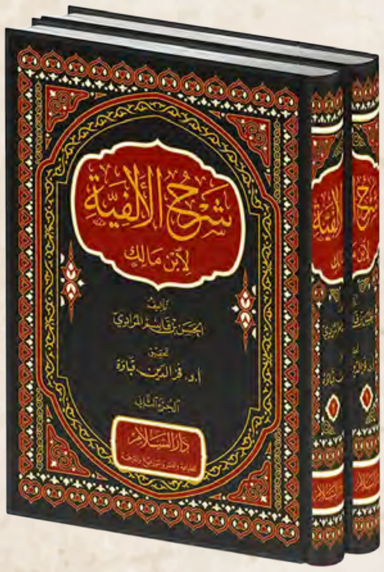
بعض النّصوص والآيات القرآنيّة؟ هل أحسنّا انتقاء القصائد والمقطوعات الشّعريّة الجميلة من تراث الحكمة والبطولة في عصر ما قبل الإسلام، ومن تراث الشّعراء الإسلاميّين والأمويين والعبّاسيّين الأوائل الفطاحل؟

هل بَصَّرْنا طلّابنا في المعاهد وأقسام العربيّة بعيون الشّعر العبّاسي الجزل القويّ؟ وهل متّعناهم بروائع ما أنتجته قرائحُ شعراء العصر الحديث في المدرسة الكلاسيكيّة والرّومنسيّة وغيرها؟

هل وضعنا بين أيدي أبنائنا المقالات النّثريّة النّاضرة العاطرة الآسرة التي جادت بها قرائحُ الزّيّات والمنفلوطي وأحمد أمين والإبراهيمي والعقّاد وضربائهم في العصر الحديث؟

هذا الذي ينبغي أن يكون، ومن أراد واقعا لغويّا جميلا مُشرقا يانعًا غضًّا طريًّا رائعًا، فعليه أن يدرس الماضي الجميل العتيد الأصيل النّافع الذي أنتجه جهابذة العربيّة في قرون مجدها وعهود تألّقها.

لا أفشي سرًّا، ولا إخالُ أنّ واحدا من أهل العلم والتّربيّة ومُحِبّي الشّأن الثّقافي والمهتمّين بالمشهد اللّغويّ يُخالفُني الرّأي في هذه المسألة: مسألة اختيار الموادّ الأدبيّة الفنّيّة التي يجبُ أن نضعها بين أيدي أبنائنا وبناتنا وهم في صفوف المدارس ومدرّجات الكلّيّات والجامعات.




لا نريد للتّلميذ أن يتعلّم أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب من خلال جمل ركيكة هزيلة المحتوى مثل: أكل الولدُ تفّاحة، واصطاد التّلميذُ عصفورًا، وإنّما نبني فكره ووجدانه، ونُهذّبُ أخلاقه، ونُحفّزُهُ على الدّراسة والبحث والتّبَحُّر في مناكبها والغوص في لُججها حين نُعلّمه من خلال قولنا: كتب الله في قلبه الإيمان، وسطّر التلميذُ النّبيهُ مجدَ أمّته، وكتب اسمه بحروفٍ ذهبيّة على جبهة التّاريخ، ولا يحمِلُ الحقدَ من تعلو به الرُّتبُ، ولا ينالُ العلا من طبعُهُ الغضب، وقِسْ على ذلك....

وفي تدريسنا لدرس (كان وأخواتها)، نسقيه من حليب المروءة ولبان المجد بأبيات المتنبّي حين يقول:

**وإذا كانت النّفوسُ كبارا**
**تعِبَت في مرادها الأجسامُ**

وقول عليّ رضي الله عنه:

**كُنْ ابنَ مَنْ شئتَ واكتسبْ أدبا**
**يُغنيكَ محمودُهُ عن النّسَب**
**فليسَ يُغني الحسيبَ نسبَتُهُ**
**بلا لسانٍ له ولا أدب**

وفي درس (إنّ وأخواتها) نعلّمه من القصيدة نفسها:

**إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا**
**ليس الفتى من يقولُ كان أبي**

هذا، وللحديث بقيّة في هذه المجلّة الغرّاء، شاكرا لكلّ من يقرأ ويستفيد، ومثمّنا جهود من يقترح وينصحُ ويشارك معنا، وميدان المشاركة مفتوح، وبابها واسع، والله تعالى الموفّق والهادي إلى سواء الصّراط.



حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة
ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

# مَجمَعُ اللّغة العَربيّة بالشّارقة في الصّحف

في مقرّه الجديد الّذي افتتح بمكرمة صاحب السّمو حاكم الشّارقة

## مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا يناقش سبل تنسيق العمل وبناء الشراكات في خدمة اللّغة العربيّة

•• الشارقة-الفجر:

في إطار جهوده لتعزيز اللّغة العربيّة والحفاظ على هويّتها وثقافتها، استضاف مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا، الّذي افتتح بمكرمة من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، ندوة بعنوان: "تنسيق العمل وبناء الشّراكات في خدمة اللّسان العربيّ"، بمشاركة 20 جهة من الهيئات والمؤسسات والجمعيّات الّتي تعمل على دعم وتطوير اللّغة العربيّة في موريتانيا والعالم العربيّ.وتناولت النّدوة موضوعات متعدّدة تتعلق بالتّحدّيات والفرص الّتي تواجه اللّغة العربيّة، والمشاريع والبرامج والأنشطة الّتي تقوم بها الهيئات المشاركة في النّدوة لتعزيز مكانة اللّغة العربيّة وتنمية قدرات متحدّثيها ومتعلّميها، ... الخبرات والمعارف والمقترحات بين المشاركين، ومناقشة أفضل الممارسات المتّبعة لإثراء أساليب تعليم اللّغة العربيّة، وابتكار البرامج والأدوات التي تساهم في تيسير تعلّمها وتعليمها، بما يتلاءم مع التّطوّرات التّقنيّة والمعرفيّة المتقدّمة.

وناقشت النّدوة الطّرق والوسائل المناسبة لتحسين التّواصل والتّفاعل والتّعاون بين الهيئات العاملة في مجال اللّغة العربيّة، والّتي تضمّ أعضاء منسقيّة "سدنة اللّغة العربيّة"، الّتي تضمّ العديد من الهيئات من أجل تمكين اللّغة العربيّة، وتهدف إلى تنسيق الجهود والمشاريع المشتركة بين الهيئات المختلفة في خدمة اللّسان العربي، إذ جاءت النّدوة بهدف استعراض وتحليل الإنجازات والمبادرات الّتي تمّ تنفيذها خلال "شهر اللّغة العربيّة"، الذي يوافق شهر ديسمبر من كل عام. يشار إلى أنّ المقرّ الجديد لمجلس اللّسان العربيّ تمّ افتتاحه في العاصمة الموريتانيّة نواكشوط بمكرمة من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، وبرعاية فخامة الرّئيس محمد ولد الشّيخ الغزواني، رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الموريتانيّة؛ ويضمّ المجلس نخبة من العلماء ويتولّى مهمّة النّهوض بلغة الضّاد في موريتانيا وخارجها.






## «مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» تضيء على الاستدامة اللّغويّة

الشارقة (الاتحاد)

رصدت «مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» بالشّارقة في عددها الثّامن موضوعات متنوعة تتعلّق باللّغة العربيّة وآفاقها وتحدّياتها، مؤكّدة مكانة الشّعر في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، وأهمّيّة البلاغة والإيجاز في النّظم الشّعريّ، كما أضاءت المجلّة على أهمّيّة الاستدامة اللّغويّة كمفهوم يهدف إلى حماية اللّغة العربيّة، والحفاظ على هُويّتها وسلامتها وتنوّعها.

وفي افتتاحيّة العدد الثّامن، أكّد الدّكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، تحت عنوان «الشّعر في أعين العرب» أنّ الشّعر ديوان العرب وسجل مآثرهم، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم كان متذوّقاً للشّعر، عالماً بما يحويه من حكم صائبة وتوجيهات سديدة، حيث يقول عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشّعر لحكمة».

وتناول العدد الثّامن من المجلّة إطلاق صاحب السمو الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، 31 مجلّداً جديداً من المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة، والتي تغطّي 6 أحرف، هي «الرّاء والزّاي والسّين والشّين والصّاد والضّاد»، ليصبح العدد الكلي للحروف التي تم تحريرها حتى الآن 15 حرفاً، من الهمزة إلى الضّاد، وليرتفع عدد المجلدات المنجزة من المشروع إلى 67 مجلداً.

وتحت عنوان «الشّارقة تحتضن أوّل مؤتمر للمستشرقين»، تناولت المجلّة فعاليات «مؤتمر الشّارقة الأوّل لدراسات اللّغة العربيّة في أوروبا؛ واقع وآفاق»، الذي نظّمه المجمع برعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، في دارة الدّكتور سلطان القاسمي.

وحول «الاستدامة اللّغويّة» كتب الدّكتور علي عبدالقادر الحمادي، موضّحاً أنّ الاستدامة اللّغويّة يراد بها أن تبقى اللّغة خالية من التّلوث اللّغويّ ومهدّدات الانقراض، أو ضمور عناصرها الحيويّة، آمنة من المكوّن الدّخيل على المكوّن الأصيل، مشيراً إلى أنّ إتقان الموظّفين للتّدقيق اللّغوي يعدّ واحداً من عناصر الاستدامة اللّغويّة التي ينبغي التركيز عليها.

وفتحت المجلّة في عددها الثّامن الباب أمام أقلام عدد من الباحثين والأكاديميّين للكتابة في موضوعات بحثيّة ومقالات معرفيّة متخصّصة في الدّراسات النّحويّة، والمعجميّة والأدبيّة، والقرآنيّة.



أبرزت إطلاق 31 مجلّداً جديداً من «المعجم التّاريخيّ» تغطّي 6 أحرف

الملف

## المعجم التاريخي للعربية..




موسوعة شاملة تحول في تاريخ وحاضر ثقافتنا

## مناقشة تطوير مهارات المعلمين

■ الشارقة: «الخليج»

أكدت الدكتورة سوسن المكني، مؤسسة «معهد المستقبل في باريس»، أن المعلم ينجح بامتياز عندما ينظر إلى كل طالب على أنه «مشروع عبقري»، ويعطيه القيمة الإنسانية الحقيقية، ويتحمل مسؤولية رعايته، وصقل مواهبه، ودعم مهاراته، ومساعدته على الاستفادة منها مدى الحياة.



■ امحمد المستغانمي يكرم سوسن المكني ■

جاء ذلك خلال محاضرة علميّة نظمها مجمع اللغة العربية، ضمن فعاليات «المجلس اللغوي الثامن» تحت عنوان «معلم اللغة العربية الناجح.. الإعداد والأساليب»، بحضور الدكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العام لـ«مجمع اللغة العربية بالشارقة»، ونخبة من الأكاديميين ... والجمهور، وممثلي وسائل الإعلام ... الجلسة إلى أن «مجمع اللغة العربية بالشارقة» نظم «المجلس اللغوي الثامن» بهدف تحفيز المعلمين والمعلمات، والتّمكين للسان العربي في نفوس أبناء الجيل، واستقطاب الكفاءات اللغوية التي يتمتع بها العالم العربي والإسلامي.

واستعرضت الدكتورة سوسن المكني، مختلف المفاهيم النظرية والأنشطة والتطبيقات العمليّة التفاعلية التي تساعد المعلمين والمع...






# أخبار المجامع

- جامعة سلامنكا (إسبانيا) تدريس العربية تاريخنا وفخرنا

- إضاءَةٌ عَلى آخر إنْجازاتِ مَجْلِس اللِّسانِ العَرَبِيِّ في موريتانيا

- مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة يعزّز مهارات كوادر المدينة الجامعيّة بأساليب «تحرير الأخبار وصياغتها»

# جامعةُ سلامنكا (إسبانيا)

## تدْريسُ العربيَّة تاريخُنا وفَخرُنا



د. لاورا غاغو غوميث
أستاذة في جامعة سلامنكا

تُعَدُّ جامعةُ سلامانكا، التي تأسَّست عام 1218، أقدمَ جامعةٍ في إسبانيا، وهي تنتمي إلى الدائرة التاريخية التي تضم بولونيا وأوكسفورد وباريس، لكنها شقّت لنفسها مسارًا خاصًا مبكرًا، ركّزت فيه على الدراسات القانونية بدلاً من اللاهوتية ، ولم تقتصر على الدراسات القانونية؛ إذ كانت من أوائل الجامعات التي اهتمّت بتخصّصات الطّب والدّراسات اللّغويّة، وقد أثمر ذلك عن إنجازات لغويّة نوعيّة سبقت إليها وكان أبرزها أنّ أوّل قواعد نحويّة للّغة الإسبانيّة خُطّت في هذه المؤسّسة من قبل النحويّ أنطونيو دي نبريخا عام 1492، في عمل يُعدّ أيضًا أوَّل محاولة لتقعيد لغة من اللُّغات الرّومانسية، وإلى جانب هذا الإنجاز، تبرز أهمية أخرى لا تقل قيمة، إذ تُعدّ جامعة سلامنكا أقدم جامعة في إسبانيا تُدرّس اللغة العربية، منذ العام 1311، وهو ما يجعل حضور العربيّة العريق جزءًا من هويتها الأكاديمية المبكرة.



جامعة سلامنكا

تقَعُ جامعَةُ سلامنكا في وسط- غرب شِبه الجَزيرة الإيبيريَّة، ضمن مُحافظة قشتالة وليون، وقد ارتبطت بعلاقات وثيقة مع التّاج الملكيّ، لا سيّما منذ عهد المِلكَين الكاثوليكيَّيَن في أواخر القرن الخامس عشر؛ إذ شكّلت الجامعة -بأساتذتها ومكانتها العلميَّة- مرجعيَّة في مُعالجةِ القضايا القانونيَّة واللُّغويّة التي نشأت عن توسّع المملكة ونشاطها في أمريكا اللّاتينية.

وهذه العلاقة التّاريخيَّة ليست مجرَّد امتدادٍ عرضيّ في مسار الجامعة، بل تحوَّلت منذ ذلك الحين إلى سِمَة مميّزة لهويّتها، ويتجلّى ذلك بوضوح في قائمة خرّيجيها القادمين من أمريكا اللّاتينيَّة، وقد أصبحت الجامعة نموذجًا مؤسَّسيًّا يُحتَذى به، لا في إسبانيا وحدَها،.

بل في أكثر من ثلاثين جامعة في أمريكا اللّاتينيَّة أيضًا. ومن هذا المنطلق، يمكن فهم اختيار قاعة



قاعة «البرانينفو» التّاريخية في جامعة سلامنكا

«البرانينفو» التاريخية في جامعة سلامنكا منذ عام 1992 لاستضافة جائزة الملكة صوفيا للشعر الإيبروأمريكي، وهي أرفع جائزة أدبيَّة تُمنَحُ في هذا المجال.

## المكتبة القديمة للجامعة

يُعدّ الإرث النَّصّيُّ الثَّمين الذي تحتَفِظُ به المكتبةُ القديمةُ ثمرةً لتأسيسها المبكِّر وامتداد تاريخها العريق. تقع هذه المكتبة داخل المبنى التّاريخيّ



المكتبة القديمة للجامعة

للجامعة، وتضمُّ اليوم مجموعةً فريدةً تشمل 2,774 مخطوطة، و483 من المطبوعات النّادرة (المحامل)، إلى جانب نحو 62,000 مجلَّد مطبوع يتراوحُ تاريخها بينَ القرنَين السّادس عشر والثّامن عشر.

أمّا الرَّصيد العربيُّ في هذه المكتبة، فإنَّه يظلُّ محدودًا جدًّا على الرَّغم من غناه الرَّمزيّ، ويُعزى ذلك إلى القَرارِ الّـذي أصــدَرَه الملك فيليب الثّاني (1527–1598) والقاضي بجَمعِ كافَّة المخطوطات والوثائق العربيَّة المنتشرةِ في إسبانيا آنذاك ونقلِها إلى مكتبة الإسكوريال، وتَعرِضُ الصّورة التّالية ترجمةً لاتينيَّة لكتاب النَّحو المعروف بـ«الآجُرّومية»، تعود إلى عام 1617، لتكونَ شاهدةً على ما بَقِيَ من حضورِ العربيَّة في هذا الأرشيفِ العريق.

تجدرُ الإشارةُ أيضًا إلى ما وصفَه الأكاديميُّ والكاتب المعروف توريس بياروبل (1694–1770) بـ«الكتب المستَديرة»، في إشارةٍ إلى عشرِ كُراتٍ أرضيَّة محفوظة في المكتبة، تعودُ إلى القرنِ الثّامن عشر، وتُمثِّل أنموذجًا فريدًا للتَّفكير الكونيِّ والاهتمامِ المعرفيِّ بالجغرافيا في تلكَ المرحلةِ.






**تضمُّ المكتبةُ القديمةُ اليوم مجموعةً فريدةً تشمل 2,774 مخطوطة، و483 من المطبوعات النّادرة (المحامل)، إلى جانب نحو 62,000 مجلَّد مطبوع يتراوحُ تاريخها بينَ القرنَين السّادس عشر والثّامن عشر.**







مخطوطاتٌ عربيّة «الآجُرّومية»

## الجامعة بالأرقام

تُجسِّدُ جامعة سلامنكا في بنيَتِها الأكاديميَّة المعنى الاشتقاقي لاسمها؛ إذ تجمعُ تحتَ مظلَّتِها طيفًا واسعًا من العلومِ والتَّخَصُّصات، فهي تضمُّ تسعة أحرامٍ جامعيَّة موزَّعة على أربع مدن، على الرَّغم من أنَّ الغالبيَّة العُظْمى من كُلِّيَّاتها -وعددها تسعَ عشرةَ- تتمركَزُ في مدينة سلامنكا نفسها، وتشمَلُ أيضًا ثلاثَ مدارس عليا مُتعدِّدَة التَّخصُّصات ومدرستَين جامعيَّتَين، ما يجعلها من المؤسَّسات القليلة التي تُغطّي تقريبًا جميع مجالات المعرفة .

أمّا على صعيدِ البحثِ العلميّ، فتتميَّزُ جامعة سلامنكا ببنيَةٍ بحثيَّة مُتقدِّمة، تضمُّ ثلاثةَ عشرَ معهدًا نشِطًا في مختلف مجالات المعرفة، من العلوم البحتةِ إلى العلوم الإنسانيَّة، ومن بينِ هذه المعاهد: معهدُ علمِ الأحياء الوظيفيّ والجينوميّ، ومعهد الدِّراسات الوسيطةَ والنّهضويّة والعلوم الإنسانيَّة الرَّقميّة، ومعهد البحوث الطبيَّة الحيويَّة، والمعهد الجامعيّ المشترك لعلوم الأعصاب في قشتالة وليون، إلى جانب معاهد متخصِّصَة في السَّرطان، والفيزياء والرِّياضيّات، والتَّربية، والتُّكنولوجيا الحيويَّة الزِّراعيَّة، والدِّراسات الإيبيريَّة والأمريكيَّة، والفنون الرَّقميّة.

وعلى المستوى الثَّقافيّ والدّوليّ، تحتضنُ الجامعةُ تسعةَ مراكز نوعيَّة تُعزِّزُ حضورَها العالميّ، منها: المركز الثَّقافيّ الإسبانيّ اليابانيّ، ومركز الدِّراسات البرازيليَّة، ومركز دراسات المرأة، ومركز التَّوثيق الأوروبيّ، ومركز أبحاث الأمراض الاستوائيَّة، كما افتُتِحَ مؤخَّرًا "معهد كونفوشيوس" لتعزيزِ التَّبادل الثَّقافيِّ مع الصّين.



كليّة اللّغات – مقرّ قسم اللّغة العربيّة



كليّة التّقنيّة العليا – أفيلا

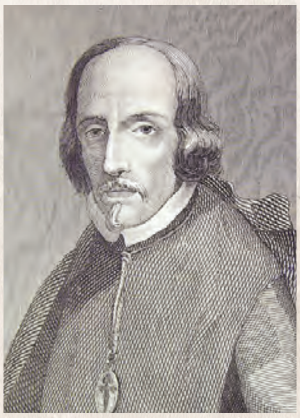


حرم بيرياتو – مدينة سمورة




أكاديمية الطيران


ميغيل دي أونامونو


كالديرون دي لا باركا


أنطونيو دي نيبريخا


لويس دي غونغورا

وتنعكسُ هذه الحيويَّة البحثيَّة والثَّقافيَّة في المشهد الفنِّيّ للمدينة، حيث تلعبُ الجامعةُ دورًا فاعِلًا في تنشيطِ الحياة الثَّقافيَّة من خلال فِرَقِها الموسيقيَّة، مثل: الأوركسترا الباروكيَّة والكورال الجامعيّ، وأنشطةِ الفنون الأدائيَّة، مثل: مهرجانات المسرح الجامعيّ، إلى جانبِ دعمها للفنِّ المعاصر وسائر أشكال التَّعبير الفنِّيّ.

### الطلبة

نظرًا إلى تنوُّع التَّخصُّصات الدِّراسيَّة المتوفّرة، تُعَدُّ هذه الجامعة الخَيار المفضَّل للعديد من الطُّلّاب الجُدد، ففي مدينة متوسِّطَة الحجم (يقل عدد سكانها عن 200 ألف نسمة)، يجتمعُ سنويًّا أكثر من 28 ألف طالب.

ومع ذلك، فإنَّ المعلومة الأكثر دلالة على أهميَّة الجامعة تتمَثَّلُ في عددِ طلباتِ الالتحاق، فقد تلقَّت الجامعةُ للعام الأكاديميِّ القادم (2025–2026) أكثر من 18 ألف طلبٍ من طُلّاب جدد (بكالوريوس) للتَّنافس على 6,300 مقعدًا فقط، ويتخرَّجُ من الجامعة سنويًّا حوالي 4,000 طالب.

> **نظرًا إلى تنوُّع التَّخصُّصات الدِّراسيَّة المتوفّرة، تُعَدُّ هذه الجامعة الخَيار المفضَّل للعديد من الطُّلّاب الجُدد، ففي مدينة متوسِّطَة الحجم (يقل عدد سكانها عن 200 ألف نسمة)، يجتمعُ سنويًّا أكثر من 28 ألف طالب.**

ومن الجدير بالذِّكر أنَّ جزءًا كبيرًا من هؤلاء الطُّلّاب هم من الأجانب؛ إذ يلتَحِقون إمّا ببرامج دراسيَّة كاملة، أو يشاركون في برامج التَّبادل المختلفة، سواء مع أوروبّا أو أمريكا، ومع دول من خارج هاتَين المنطقتَين –حديثًا– (مثل الجزائر، المغرب، مصر، الأردنّ، الصّين) وغيرها.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ النِّسبةَ الأكبر من الطُّلّاب الأجانب يلتَحِقون ببرامج الماجستير والدُّكتوراه (32.5% في الماجستير، و51.7% في الدّكتوراه).

وإلى جانب برامجها الأكاديميَّة المنْتَظَمة، توفِّرُ الجامعةُ مسارات مُخصَّصة للطَّلبة الأجانب عبر مركزِها المعروف بـ«الدَّورات الدّوليّة لجامعة سلامنكا»، وقد استقبلَ المركزُ في صيفِ هذا العام وحدَه 2800 طالب من 82 دولة مُختلفة، ما يعكسُ جاذبيَّته العالميَّة واتِّساع نطاق تأثيره الأكاديميِّ والثَّقافيّ.

### شخصيات بارزة من خريجي الجامعة

يمكنُ تقسيمُ خرّيجي جامعة سلامنكا إلى فترتَين رئيستَين: الفترة التّاريخيّة والفترة المعاصرة.

في الحقبة الأولى، يبرز اسم أنطونيو دي نيبريخا في القرن الخامس عشر، الذي ألَّف أوَّل كتاب في قواعد اللُّغة الإسبانيَّة، وكان بذلك رائدًا في تقعيدِ لغات أوروبّا الرُّومانسيَّة –وفق ما ذُكِرَ

سابقًا-، وتلاه الأخ لويس دي ليون في القرن السّادس عشر، الشّاعر والكاتب الذي تجرَّأَ على ترجمةِ مقاطعَ من الكتاب المقدَّس إلى الإسبانيَّة، في خطوة أثارت الجدل آنذاك، ومن الأسماء الّتي يصعُبُ اختزالُ أثرِها في سطورٍ قليلة، الفَقيه فرانسيسكو دي فيكتوريا، الذي يُعدُّ من رُوّاد القانون الدّوليّ والمدافعين الأوائل عن حقوق الإنسان.

وتستمرّ القائمة عبر العُصور بأسماء أدبيَّة وفكريَّة بارزة، منها: توريس بيارويل في القرن الثّامن عشر، وميغيل دي أونامونو في القرن العشرين، ولويس دي غونغورا في القرن السّابع عشر، إضافة إلى موسيقيّين وكتّاب مسرحيّين مثل فرانسيسكو ساليناس وكالديرون دي لا باركا.

وتجدُرُ الإشارةُ إلى أنَّ أولى الطّالبات اللَّواتي التَحقن رسميًّا بالجامعة في تاريخ إسبانيا تخرَّجنَ من جامعة سلامنكا، وهما: بياتريس خاليندو المعروفة بـ«اللّاتينا»، ولويسا دي مدرانو، وذلك في القرن السّادس عشر.

ومع ذلك، تبقى الإشارةُ الأوضحُ إلى المكانة الرَّفيعة التي تحتلُّها الدِّراسات اللُّغويَّة في جامعة سلامنكا متمثِّلة في العددِ اللّافت من مديري الأكاديميَّة الملكيَّة للُّغة الإسبانيَّة الذين تخرَّجوا في قاعات كليَّة اللُّغات فيها ، ومن أبرزهم: فرناندو لازارو كاريريت (1991–1998)، فيكتور غارسيا دي لا كونشا (1998–2010)، رافائيل لابيستا (1988)، وإميليو ألاركوس يوراش (1988–1991).

وتُعدّ هذه الأكاديميَّة، التي تأسَّسَت عام 1716، المرجعيَّة الأعلى والأكثر احترامًا في العالم النّاطق بالإسبانيَّة، إذ تضطلع بمهمَّة الإشـراف على اللُّغة، وتنظيم شؤونها وحماية تطوُّرها.

أما في الفَترة المعاصِرة، فتَكفي الإشـارة إلى أنَّ أوّلَ رئيس للحكومة الإسبانيَّة بعد نهاية حكم فرانكو، أدولفو سواريز، هو أحد خرّيجي جامعة سلامنكا، ومن الأسماء البارزة أيضًا: هيلينا بيمينتا، التي شغَلَت منصب مديرة الشَّركة الوطنيَّة للمسرح الكلاسيكيّ حتى عام 2019، إلى جانب نخبة من الأُدَباء والمثقَّفين، من بينهم: ميغيل دي أونامونو وكارمن مارتين غايت، الذين مرّوا بقاعات هذه الجامِعَة العريقَة.

وتبرز العَلاقةُ العَميقةُ بين جامعة سلامنكا وأمريكا اللّاتينيَّة من خلال عدد من خرّيجيها الذين تولّوا مناصب رفيعة في بُلدانهم، في السِّياسة والثَّقافة والإدارة، من بينهم: غوستافو بيترو، رئيس كولومبيا الحالي، وجينا بارودي، وزيرة التعليم في كولومبيا بين عامي 2014 و2016، وأريستيدس رويّـو، وزير شؤون قناة بنما ورئيس البلاد في الفترة من 1978 إلى 1982، إلى جانب الكاتب المكسيكيّ خورخي فولبي، الذي ظهرَ على غِلاف مجلَّة "كتاب" في الشّارقة في يونيو 2025.

كما تخرّج منها عددٌ من المسؤولين البارزين في تشيلي، منهم: لوكاس بابلو، وزير الاقتصاد والتَّنمية والسِّياحة، وخـوان خوسيه روميرو غوزمان، رئيس المحكمة الدُّستوريَّة، ونيكولاس مونكبيرغ، وزيـر العمل والضَّمان الاجتماعيّ السّابق وسفير تشيلي الحاليّ لدى الأرجنتين، ومن البرازيل: واغنر دي كامبوس روزاريو، وزير الشَّفافيَّة والتَّدقيق والسَّيطرة؛ وأندريه لويس دي ألميدا مندوسا، وزير العدل والأمن العامّ.

كما تضمُّ القائمة ماركو فيولي فيلالوبوس، وزير العدل في كوستاريكا بين عامي 2015 و2018، وزافيير بيسيرا، وزير الصِّحَّة والخدمات الإنسانيَّة في إدارة الرئيس جو بايدن (2021–2025)، وهذه الأسماء وغيرها تشكّل شاهدًا حيًّا على الامتداد المؤسَّسيّ والثَّقافيّ للجامعة في الضِّفَّة الأخرى من الأطلسيّ.


افتتاح معرض أصوات من أجل السلام

## اللُّغة العربيَّة في جامعة سلامنكا

### تاريخ قديم.....لا يزال حيًا

في عام 1311، أصدر البابا كليمنت الخامس مرسومًا كنسيًّا يوجّه الجامعات الأوروبيَّة الأربع الكبرى في ذلك الحين -أكسفورد، باريس، بولونيا، وسلامنكا – إلى تدريس اللُّغات "الشَّرقيَّة": العربيَّة، والعبريَّة، والكلدانيَّة، وقد دخل هذا المرسوم حيِّزَ التَّنفيذ على الفور، وكانت جامعة سلامنكا من أولى المؤسَّسات التي التزمت به، لتبدأ بذلك مسيرة تدريس اللُّغة العربيَّة فيها، وهي مسيرة امتدَّت لأكثر من سبعة قرون.

ورغم ما واجهه تعليم العربيَّة من تحدِّيات وتقلُّبات عبر هذا الزَّمن الطَّويل، فإنَّ بقاءه واستمراره في سلامنكا يُعدُّ من العلامات التّاريخيَّة المميّزة لهذه الجامعة، وأحد مصادر فخرها الأكاديميّ، وقد كانت دائمًا بمثابة المرجع الأول في إسبانيا لتأسيس دراسات اللُّغة العربيَّة، ممّا أتاح لجامعات أخرى استلهام تجربتها والبناء على إرثها.



كلية اللّغات – مقر قسم اللّغة العربيّة

### برامج دراسة اللغة العربية

تندرجُ دراسة اللُّغة العربيَّة في جامعة سلامنكا ضمن إطار الدِّراسات الثَّقافيَّة، حيث يُقدَّم برنامج مُتَكامل على مستوى البكالوريوس تحت مسمّى "الشهادة في الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة"، ولا يقتصر هذا البرنامج على تعليم اللُّغة فحسب، بل يشمل طيفًا واسعًا من المقرَّرات، منها: التّاريخ العربيّ من الجاهليَّة حتى العصر الحديث، الأدب العربيّ، الفنّ الإسلاميّ والأندلسيّ، تاريخ اللُّغة، اللِّسانيّات العربيّة، وفقه الخط، إلى جانب مواد أخرى تُسهِم في بناء رؤية شاملة ومتعمِّقة للثَّقافة العربيَّة.

> **"تندرجُ دراسة اللُّغة العربيَّة في جامعة سلامنكا ضمن إطار الدِّراسات الثَّقافيَّة، حيث يُقدَّم برنامج مُتَكامل على مستوى البكالوريوس تحت مسمّى "الشهادة في الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة"»**

أما على مستوى الدِّراسات العليا، فتُتاح للطَّلبة فرصة التَّخصُّص في أحد برنامجين للماجستير: أوّلهما "الماجستير الأوروبيّ في اللُّغات والثَّقافات والمجتمعات"، ويُركِّز على الجوانب اللُّغويَّة، خصوصًا في ما يتَّصل باللُّغة العربيَّة كلغة موروثة لدى الجاليات المهاجرة، ويُدرّس في كليَّة اللُّغات، وثانيهما "الماجستير في التُّراث النَّصيّ والعلوم الإنسانيَّة الرَّقميّة"، ويهدف إلى تمكين الطّالب من التَّعامل الأكاديميّ والتّقنيّ مع النُّصوص التُّراثيَّة ضمن إطار رقميّ حديث، ويُدرّس في معهد البحوث في الدِّراسات الوسيطة والنَّهضويَّة.

ويتفـرَّع عن برنامـجَي الماجستير

برنامجان للدُّكتوراه، ممّا يوفّر للطَّلبة مسارًا مُتكاملاً للبحث والتَّخصُّص في مجال الدِّراسات العربيَّة ضمن بيئة علميَّة ثريَّة.

## طلاب اللغة العربية

تعاني دراسات اللُّغة العربيّة في إسبانيا حاليًّا من انخفاض ملحوظ في أعداد المسجِّلين، وهي ظاهرة تشملُ معظم الجامعات الإسبانيَّة، لا سيّما في أقسام العلوم الإنسانيَّة، وتعود هذه الأزمة إلى عوامل متعدِّدة، من بينها التَّراجع الدّيموغرافيّ، والتَّحوُّلات الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، وغيرها من التَّحدِّيات المعاصرة.

في هذا السّياق، يبذل قسم الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة في جامعة سلامنكا جهودًا حثيثة للحفاظ على حضور العربيَّة وتعزيز الإقبال عليها، ومن بين الخطوات التي أثمرت نتائج ملموسة: فتح المجال أمام طلّاب من تخصُّصات لغويَّة أخرى لاختيار العربيَّة كلغة ثانية، وهو ما أتاح توسيع قاعدة المتعلِّمين.

وإضافة إلى ذلك، سيُدرج تدريسُ العربيَّة ضمن برنامج "الدِّراسات العالميَّة" في كليَّة الحقوق ابتداءً من العام الأكاديميّ 2026–2027، ما يمنح المادة مَنفَذًا جديدًا إلى جمهور مختلف من الطلّاب.

وعلى مستوى التَّعاون الدّوليّ، يعمل القسمُ منذ سنواتٍ على تطويرِ شبكة تبادل أكاديميّ مع عددٍ من الجامعات في العالم العربيّ، من بينها جامعة اليرموك وجامعة عمّان في الأردن، وجامعتا وهران 2 وتلمسان في الجزائر، والجامعة



كلية اللّغات - مقر قسم اللّغة العربيّة

الدّوليّة بالرّباط في المغرب، وقد وقّعت أكثر من عشر اتفاقيّات تعاون خلال السَّنوات الأخيرة، ومن المرتقب أن يُعاد تجديدها وتوسيع نطاقها خلال العام الدِّراسيّ المقبل، بما يشمل دولاً عربيَّة إضافيَّة.

## أساتذة قسم الدراسات العربية والإسلامية و البحث

يتكوَّن قسم الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة في جامعة سلامنكا حاليًّا من ثمانية أساتذة، من بينهم اثنان برتبة أستاذ كرسي: ميغيل أنخيل مانثانو رودريغيث، ورشيد الحور.

يُعدُّ هذا القسم من أبرز الأقسام البحثيَّة في مجاله على المستوى الوطنيّ على الرَّغم من صغر حجمه، بل ويتميّز بحضوره في المشهد الدّوليّ، إذ يضطلع بتنفيذ مشروعَين بحثيَّين بدعم من تمويل وطنيّ حُصل عليه من خلال منافسة علميَّة، ويُشرف على تطويرهما فِرَق متعدِّدَة الجنسيّات.

ويتَقاطع اهتمام أعضاء القسم جميعًا حول الدِّراسات المغاربيَّة، ما جعلَه مرجعًا علميًّا في هذا الحقل، وتتركَّز محاور البحث الأساسيَّة على مسألتَين: تتناول الأولى نشأة التَّديُّن الإسلاميّ في المغرب وتطوُّره وتحوُّلاته، بينما تُعنى الثّانية برصد التَّحوُّلات السُّكّانيَّة والمجاليَّة في المنطقة المغاربيَّة، من خلال تحليل

المصادر الوسيطة، لا سيّما كتب الجغرافيا والتّاريخ وأدب الرِّحلة، ويُنظَّم في هذا السِّياق مؤتمر علميٌّ دوليٌّ واحد على الأقل سنويًّا يرتبط بهذه المشاريع.

ولا يقتَصِرُ دورُ الأساتذة على النَّشاط البحثيّ، بل ينخَرِطون بفاعليَّة في دعم الدِّراسات العربيَّة وتعزيز حضورها، من خلال توسيعِ الاتِّفاقيّات الأكاديميَّة مع مؤسَّسات وجامعات دوليَّة، ومشاركتهم النَّشِطة في الهيئات والرَّوابط العلميَّة المتخصِّصَة. وقد أسهمَ بعضهم في تأسيس "الجمعيَّة الإسبانيَّة لأساتذة اللُّغة العربيَّة"، التي أُنشئَت عام 2022.

كما يشهدُ القسمُ على تاريخ طويل من المبادرات التَّعليميَّة، كتنظيمه للمؤتمر الدّوليّ لتعليم اللُّغة العربيَّة في عامي 2009 و2012، وتنظيمِه في العام 2023 بالتَّعاون مع الجمعيَّة الإسبانيَّة، إلى جانب مشاركته في مجلس مُنْتدى باحثي العالم العربيِّ والإسلاميِّ (2013). كما أصدرَ القسمُ عددًا من المؤلَّفات العلميَّة المتخصِّصة في تعليم العربيَّة للنّاطقين بغيرها، من بينها كتاب: على طول.

وتقديرًا لهذا العطاء الأكاديميّ، مُنح الأستاذان ميغيل أنخيل مانثانو ورشيد الحور جائزة "ماريا دي مايسترو" عن مجمل مسيرتهما البحثيَّة، وذلك في عامي 2024 و2025 على التَّوالي.



أنشطة قسم اللّغة العربيّة




## ألف نشاط ونشاط...بتنسيق قسم الدراسات العربية والإسلامية

في ظلِّ التَّحدّيات المرتبطة بانخفاض أعداد الطُّلّاب المسجِّلين، والحاجة الملحَّة إلى تفكيكِ الصُّوَر النَّمطيَّة السّائدة حول اللُّغة والثَّقافة العربيَّتَين، انطلق قسمُ الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة خلال العامَين الأخيرَين بسلسلة من الأنشطة التَّحفيزيَّة المفتوحة للجمهور والمجتمع المحليّ، كما تهدفُ هذه المبادرات إلى خلقِ فضاءٍ حيّ للحوار والتَّبادُل، يتيح للمهتمّين التعرُّف عن قُرب على ثَراءِ العالم العربيِّ لغويًّا وثقافيًّا، خارج الصُّور النَّمطيَّة المتَداولة.

واللّافت أنَّ عددًا من هذه الأنشطة تَقوده فرق طُلّابيَّة من برنامج البكالوريوس، ممّا يعزِّزُ من روحِ المبادرةِ والانخراط الفعليِّ للطَّلَبة في نشرِ المعرفةِ وتعميقِ التَّواصل.

**انطلق قسمُ الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة خلال العامَين الأخيرَين بسلسلة من الأنشطة التَّحفيزيَّة المفتوحة للجمهور والمجتمع المحليّ، كما تهدفُ هذه المبادرات إلى خلقِ فضاءٍ حيّ للحوار والتَّبادُل، يتيح للمهتَمّين التعرُّف عن قُرب على ثَراءِ العالم العربيِّ لغويًا وثقافيًا، خارج الصُّور النَّمطيَّة المتَداولة.**



أنشطة قسم اللّغة العربيّة




**ومنِ أبرز هذه المبادرات:**

### إنشاء برنامج «القاعة المفتوحة للدراسات العربية والإسلامية»

**(تحت إشراف لاورا غاغو غوميث)**

يتضَمَّن هذا البرنامج سلسلةَ محاضرات موجَّهة إلى الجمهور العامّ، تُطرَح فيها موضوعات متعدِّدة ترتبطُ غالبًا بصور نمطيَّة مشوَّهة في وسائل الإعلام، وتسعى هذه اللِّقاءات إلى تقديم رؤية أكثر عُمْقًا واتِّزانًا، مع التَّركيزِ على الجوانب الثَّقافيَّة المهمَلة أو المغيَّبة، كالأدب العربيِّ المعاصر وغيرِه.

وابتداءً من العام الأكاديميّ 2025–2026، سيُقدَّمُ ضمن هذا الإطار مساقٌ تدريبيٌّ مجّانيٌّ عبر الإنترنت، بهدف الوصول إلى جمهور أوسَع، وتوسيع دائرة الاهتمام بالإنتاج الثَّقافيِّ العربيِّ، من سينما وأدب وفنون أخرى، عبر مقاربةٍ معرفيَّةٍ تُتيحُ إعادة بناءِ الصُّورة بعيدًا عن التَّلقينِ والصُّور الجاهزة .

معرض «أصوات من أجل سلام في العالم العربي» (تحت إشراف لاورا غاغو غوميث)

هو معرض متنقِّلٌ موجَّه إلى طلّاب المرحلة الثّانويَّة، ينتقِلُ بين المدارس ويُقدَّم بصيغة ثنائيَّة اللُّغة، وقد أعدَّهُ طلّاب برنامج الدِّراسات العربيَّة

والإسلاميَّة، ويسلِّطُ المعرض الضَّوء على واقع خمس دول عربيَّة شهِدت نزاعات، وذلك من منظورٍ إنسانيٍّ بعيدٍ عن التَّناول الإعلاميِّ المعتاد.

وتتضمَّن المادَّةُ المعروضةُ مُقتَطفات مترجمة من روايات عربيَّة مُعاصرة تعبُّر عن التَّجربة من الدّاخل، اختارها واشتغلَ عليها الطُّلّاب أنفسهم، في محاولةٍ جادَّة لجعلِ الصَّوتِ العربيِّ يُسمَع بلسانه لا بالنِّيابَة عنه، ويمكنُ الاطِّلاع على مُحتوى المعرض ونُصوصِه الكاملِة من خلال الدَّليل الإلكترونيّ:

HTTPS://VOCESPARALAPAZENELMUNDOARABE.USAL.ES/AR/



الاحتفال بيوم اللّغة العربيّة

## الاحتفال بيوم اللغة العربية (18 ديسمبر)

(تحت إشراف لاورا غاغو غوميث)

من خلالِ أنشطةٍ ومسابقات مفتوحة للجُمْهور، يَحتَفِلُ الطُّلّاب باللُّغة التي اختاروها لدراستهم، وتشمَلُ الفعاليّات عرض أفلام عربيَّة، ومُسابقات حول التَّعريب، ونقش الحنّاء، ومعرضًا للمُنْتَجات العربيَّة، وأجنحة لكتب مترجَمة من العربيَّة، وفتح ميكروفون لقراءات ثنائيَّة اللُّغة لقصص (يوحى)، وغيرها.

## زيارات دراسيَّة في مكتب

(تحت إشراف رشيد الحور وفيرجينيا فاسكيز)

منذ العام الدِّراسيّ 2012–2013، يَستفيدُ الطُّلّاب من زيارات دراسيَّة إلى أبـرزِ المكتبات المتخصِّصَة



الاحتفال بيوم اللغة العربية

**بالتَّعاون مع مكتبة «لاس كونشاس» -وهي أشهر مكتبة تابعة لبلديَّة سلامنكا وأكبرها حجمًا- ستُفتَتَح دورة سينمائيَّة مخصَّصة للأفلام العربيَّة في العام المقبل، تُعرَض خلالها الأعمال باللُّغة العربيَّة، وتُتبع كلّ عرض بمناقشة مفتوحة تهدفُ إلى تقريب الثَّقافة والفنِّ العربيِّ المعاصِر من الجُمهور العامّ.**

في دراسات العربيَّة والإسلاميَّة في إسبانيا، مثل: المكتبة الوطنيَّة، ومكتبة توماس نافارو توماس التَّابعة للمجلس الأعلى للبحوث العلميَّة، ومكتبة إسكوريال، حيث يطَّلعون على المخطوطات العربيَّة ويتَعاملون مع بعض أعمالِ ابن خلدون، ويتَكامَلُ هذا التَّكوين العلميُّ من خلال زياراتهم للمكتبة القديمة في جامعة سلامنكا.

## مشاريع للابتكار التَّدريسيّ مختلفة (كل أعضاء القسم)

يقودُ أعضاءُ القِسم مشاريع للابتكار التَّدريسيِّ سنويًّا ويُشارِكون فيها، وذلك



قبة السماء – جامعة سلامنكا

ضمن جهود مديريَّة الجامعة في مجالَي الابتكار والتَّكوين، وتركِّزُ هذه المشاريعُ على إدماجِ التّكنولوجيا في تعليم اللُّغة العربيَّة، بما في ذلك تطبيقات الذَّكاء الاصطناعيّ، في سياق تطوير الوسائلِ التَّعليميَّة ورفع كفاءة التَّعلُّم.

## دورة سينمائيَّة عربيَّة

(تحت إشراف لاورا غاغو غوميث وفيرجينيا فاسكيز)

بالتَّعاون مع مكتبة«لاس كونشاس» -وهي أشهر مكتبة تابعة لبلديَّة سلامنكا وأكبرها حجمًا- ستُفتَتَح دورة سينمائيَّة مخصَّصة للأفلام العربيَّة في العام المقبل، تُعرَض خلالها الأعمال باللُّغة العربيَّة، وتُتبع كلّ عرض بمناقشة مفتوحة تهدفُ إلى تقريب الثَّقافة والفنِّ العربيِّ المعاصِر من الجُمهور العامّ.

ختامًا، يمكن تلخيصُ عمل قسم الدِّراسات العربيَّة والإسلاميَّة في جامعة سلامنكا في محورَين رئيسيَّين، أوّلهُما: الانفتاح الدّوليّ بوصفه وسيلةً لتحسينِ جودة التَّعليم المقدَّم للطُّلّاب، وثانيهما: الاندماج الاجتماعيّ من خلال تنظيمِ أنشطةٍ ثقافيَّة موجَّهة للجُمهور.

ورغم أنَّ جهود التَّدويل تتركَّز أساسًا على التَّعاون مع الدُّول العربيَّة، فإنَّ العلاقة التّاريخيَّة العميقة للجامعة مع أمريكا اللّاتينيَّة تُمثِّلُ فرصةً مثاليَّة لبناء جسور ثقافيَّة جديدة بين العالم العربيِّ والضِّفَّة الأُخرى من الأطلسيِّ، اعتمادًا على هذا الامتدادِ التّاريخيِّ ورؤية القسم المستقبليَّة.

وفي هذا السِّياق، نثمِّنُ بشكل خاص المبادرات التي يضطلع بها مجمعُ اللُّغة العربيَّة بالشّارقة، من مؤتمرات مُتَخصِّصَة في تعليم العربيَّة في أوروبّا، وأنشطةٍ ترويجيَّة تخدِمُ اللُّغة، فهذه الجهود لا تَنسجِمُ فقط مع تطلُّعات القسمِ في جامعة سلامنكا، بل تعبُر أيضًا عن احترامٍ عميق للُغة العربيَّة وتراثها.

# مجمع اللّغــة العربيّة بالشّــارقة يعــزّز مهــارات كوادر المدينة الجامعيّة بأســاليب «تحرير الأخبار وصــياغتها»









نظّم مجمّع اللّغة العربيّة بالشّارقة خلال شهر يوليو 2025 بالتّعاون مع المدينة الجامعيّة، دورةً تدريبيّةً متخصّصة بعنوان: "تحرير الأخبار وصياغتها – مهارات وأساليب-"، قدّمها الدّكتور بهاء الدّين دنديس، خبير الـدّراسـات والبحوث في المجمع، بمشاركة 12 موظّفًا من كوادر المدينة الجامعيّة.

واستهدفت الدّورة تطوير كفاءات المشاركين في إعــداد الأخبار وصياغتها، والارتقاء بمهاراتهم التّحريريّة واللّغويّة، بما يعزّز من جودة المنتج الإعلاميّ، ويُمكّنهم من التزام المعايير المهنيّة والأسلوبيّة في العمل الإخباريّ.

## أسس مهنيّة للكتابة الإخباريّة

وفي حديثه حول الدّورة، أكّد الدّكتور امحمّد صافي المستغانمي، أمين عامّ مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، أنّ أساليب الكتابة تتنوّع بتنوّع غاياتها وأهدافها، وأنّ الكتابة الإخباريّة والصّحفيّة لها سمات خاصّة وأسس مهنيّة تختلف عن غيرها من أنماط الكتابة، الأمر الّذي يستدعي من الموظّفين، وخاصّة العاملين في أقسام الاتّصال الحكوميّ، امتلاك معرفة دقيقة بهذه الأساليب، ومهارة عالية في طرق صياغتها.

وأشـار المستغانمي إلى أنّ مخاطبة







الجمهور تتطلّب اعتماد أسلوبٍ سهلٍ وواضح، يُرسّخ الفكرة في أذهان المتلقّين بأبسط العبارات، وهو ما يشكّل ركنًا أصيلاً في بلاغة الخطاب العربيّ منذ القِدم، ومؤكّدًا أنّ العمق الحقيقيّ لا يكون في التّعقيد، بل في القدرة على التّبسيط دون إخلالٍ بالمضمون أو المعنى.

**عناصر بناء خبر احترافي**

وشملت الدّورة محورًا نظريًّا تناول أنواع الأخبار، ومواصفات الخبر الجيّد، والعناصر البنائيّة لصياغته، إضافة إلى جانب تطبيقيّ خُصِّص لتدريب المشاركين على تحرير الأخبار بأسلوب احترافيّ، مع مراعاة السّلامة اللّغويّة، ودقّة التّركيب، والمواضع الصّحيحة لوضع علامات التّرقيم.

وفي ختام الدّورة، كرَّم سعادة أمين عامِّ مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، الدّكتور امحمّد صافي المستغانمي، المشاركين، ومنحهم شهادات المشاركة تقديرًا لتفاعلهم والتزامهم.

وتأتي هذه الدّورة ضمن جهود مجمّع اللّغة العربيّة بالشّارقة في خدمة المجتمع المحليّ، ودعم المهارات اللّغويّة والإعلاميّة في المؤسّسات الحكوميّة، بما ينسجم مع رؤيته في تعزيز حضور اللّغة العربيّة في المجالات المهنيّة والتّواصليّة.

# إضاءةٌ على آخرِ إنْجازاتِ مَجْلِسِ اللِّسانِ العَرَبِيِّ في موريتانيا

## مَجْلِسُ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ يُراجِعُ الكُتُبَ المَدْرَسِيَّةَ في مُورِيتَانْيَا

أنجزَ مجلسُ اللّسانِ العربيِّ بموريتانيا التّدقيقَ اللّغويَّ والمراجعةَ العامّةَ للمضمونِ المعرفيِّ والقِيميّ لعشراتِ الكُتبِ المدرسيّةِ الموريتانيّةِ. وشاركَ في المراجعةِ عشراتُ اللُّغويّين، وتناولتْ إلى حينِه نحو 60 كتابًا مدرسيًّا تغطّي مراحلَ التّعليمِ الابتدائيّ والإعداديِّ والثّانويِّ بمختلفِ شعبِه، وفي مختلفِ الموادِّ: اللّغةِ العربيّةِ، التّربيّةِ الإسلاميّةِ، التّاريخِ، الجغرافيَا، العلومِ الطّبيعيّةِ، التّربيّةِ المدنيّةِ، الرّياضيّاتِ، الفكرِ الإسلاميِّ، الفقهِ وأصولِه، الفلسفةِ.

وتأتي هذه المراجعةُ المستمرّةُ تنفيذًا لاتّفاقٍ وقّعَه المجلسُ مع المعهدِ التّربويِّ الوطنيِّ، وهو الهيئةُ الحكوميّةُ الموريتانيّةُ المكلّفةُ بإصدارِ الكُتبِ المدرسيّةِ.

ونظّمَ المجلسُ تمهيدًا للاتّفاقِ ومواكبةً له دورتَيْن تدريبيّتَيْن حول ضوابطِ التّدقيقِ اللُّغويِّ احتضنَتْهُما القاعةُ القاسميّةُ وقاعةُ الدّيوانِ بمقرِّ المجلسِ.

وكان المجلسُ قد وقّعَ عددًا منَ الاتّفاقاتِ مع هيئاتٍ رسميّةٍ من أجلِ التّمكينِ للّغةِ العربيّةِ؛ فقد وقّعَ اتّفاقًا مع المجلسِ الجهويِّ لمدينةِ نواكشوط للتّعاونِ في مجالِ التّمكينِ للّغةِ العربيّةِ في اللّافتاتِ ولَوْحاتِ التّعريفِ والإشهارِ في واجهاتِ وشوارعِ العاصمةِ الموريتانيّةِ. كما وقّعَ اتّفاقًا مع السّلطةِ العُليا للصّحافةِ والسّمعيّاتِ البصريّةِ، نشأ بمُقتضاه مرصدٌ للسّلامةِ اللّغويّةِ في الإعلامِ الموريتانيِّ، ويستعدُّ المجلسُ، بمقتضَى هذا الاتّفاقِ، لإصدارِ تقريرٍ دوريٍّ عنِ الأداءِ اللُّغويّ لأبرزِ القنواتِ التّلفزيّةِ والإذاعاتِ والصّحفِ الورقيّةِ والرّقميّةِ في موريتانيا.

وقد وقعَ المجلسُ كذلك اتّفاقًا مع سُلطةِ الإشهارِ، يَهدفُ إلى فحْصِ اللّافتاتِ والوسائطِ الإشهاريّةِ العامّةِ والتّثبّتِ من احترامِها لمقتضياتِ قانونِ الإشهارِ الذي يفرضُ أن يُمارسَ الإشهارُ باللُّغةِ العربيّةِ، وأن تأخذَ الحيّزَ الأبرزَ والأعلَى في حالِ وجودِ لُغةٍ ثانيةٍ في الإشهارِ.




عيّنةٌ منَ الكُتبِ المدرسيّةِ موضوعِ المراجعةِ

# مَجْلِسُ اللِّسَانِ العَرَبيِّ يُنَظِّمُ نَدْوَةً حوْلَ المَخْطُوطِ العَرَبِيِّ في موريتانيا وجِوَارِهَا الإفْرِيقِيِّ




لقطةٌ من منصّة النّدوة إبّانَ حفْلِ الافتتاح برئاسة وزير الثّقافة الموريتانيّ

نظّمَ مجلسُ اللّسانِ العربيِّ بموريتانيا، بالتّعاوُنِ مع اللّجنةِ الوطنيّةِ للتّربيّةِ والثّقافةِ والعلوم الموريتانيّةِ، ندوةً علميّةً تحت عنوانِ «المخطوطُ العربيُّ في موريتانيا والجوارِ الإفْريقِيِّ»، مصحوبةً بمعرضٍ حيٍّ للمخطوطاتِ، وذلك بإشرافِ معالي السّيّدِ وزيرِ الثّقافةِ والفنونِ والاتّصالِ والعلاقاتِ مع البرلمانِ، النّاطقِ الرّسميِّ باسم الحكومةِ، الدّكتور الحسين مدو.

نُظِّمتِ النّدوةُ والمعرضُ في مباني المقرِّ الجديدِ لمجلسِ اللّسانِ العربيِّ المشَيَّدِ بمنحةٍ كريمةٍ من صاحب السّموِّ الشّيخِ الدّكتور سلطانِ بنِ محمّد القاسميِّ حاكمِ الشّارقة الذي يحيطُ المجلسَ برعايةٍ خاصّةٍ.

وقد شاركَ في النّدوةِ عددٌ مهمٌّ منَ العلماءِ والخبراءِ والباحثين والأساتذةِ الجامعيّين الموريتانيين، كما شاركَ في أعمالها كلٌّ من د. مراد الرّيفي المديرِ السّابقِ لمعهدِ المخطوطاتِ العربيّةِ، المديرِ الحالي لمكتبِ تنسيقِ التّعريبِ بالرّباطِ، ود. محمد دياغيتي المديرِ العامِّ لمعهدِ أحمد بابا التُّمبكتيّ في مالي. وقد شاركتْ في النّدوة والمعرضِ هيئاتٌ أخرى منها المعهدُ الموريتانيُّ للتّكوين في مجالاتِ الثّقافة والتّراث ودارُ المخطوطِ العربيّ ومركزُ ابنِ مُقلةَ للخطِّ.

وجديرٌ بالذّكر أنَّ النّدوةَ المذكورةَ هي ثالثُ ندوةٍ ومعرضٍ ينظّمُها المجلسُ حولَ المخطوطات. وكانتِ النّدوةُ الأُولى المنظّمةُ عام 2019 قد شهدت تنظيمَ أوّلِ معرضٍ عنِ الخطِّ العربيِّ في إفريقيا، بمناسبةِ انعقادِ مؤتمرِ اللّغةِ العربيّةِ في إفريقيا.

> **نظّمَ مجلسُ اللّسانِ العربيِّ بموريتانيا، بالتّعاوُنِ مع اللّجنةِ الوطنيّةِ للتّربيّةِ والثّقافةِ والعلوم الموريتانيّةِ، ندوةً علميّةً تحت عنوانِ «المخطوطُ العربيُّ في موريتانيا والجوارِ الإفْرِيقيِّ.**

# نَدْوَةٌ عن صِنَاعَةِ المَوْسُوعَاتِ ... في مَجْلِسِ اللِّسَانِ العَرَبِيِّ



لقطةٌ منَ النّدوةِ

بمناسبةِ انـطلاقِ العملِ في مشروعِ الموسوعةِ الشّاملةِ، برعايةٍ ساميّةٍ من صاحبِ السّموّ الشّيخ الدّكتور سلطانِ بنِ محمّد القاسميِّ حاكم الشّارقة، عُضوِ المجلسِ الأعلَى لدولةِ الإماراتِ العربيّةِ المتّحدةِ، نظّمَ مجلسُ اللّسانِ العربيِّ بموريتانيا ندوةً حولَ تاريخِ وتقنياتِ صناعةِ الموسوعاتِ عربيًّا وعالميًّا. وقد شاركَ في النَّدوةِ ما يربُو على عشرين باحثًا من كبارِ الأساتذةِ الجامعيّين واللّغويّين والمختصّين في العلومِ الإنسانيّةِ.

وقد شاركَ في النّدوة طيْفيًّا سعادةُ الأستاذِ الدّكتور امحمد صافي المستغانمي الأمينُ العامُّ لمجمعِ اللّغةِ العربيّةِ بالشّارقة، وألقَى كلمةً افتتاحيّةً تحدّثَ فيها عن مشروعِ «الموسوعةُ العربيّةُ الشّاملةُ» الذي جاء بمبادرةٍ من صاحبِ السّموّ الشّيخِ الدكتور سلطانِ بنِ محمّد القاسميِّ، ليكونَ إنجازًا علميًّا عربيًّا جديدًا تتواصلُ به المسيرةُ بعد اكتمالِ ونجاحِ مشروعِ المُعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيِّ الذي دخلَ موسوعةَ غينس للأرقامِ القياسيّةِ بوصْفِه أكبرَ مُعجمٍ لُغويٍّ في العالَم. وقال إنَّ الموسوعةَ الجديدةَ ستكونُ أيضًا أضْخمَ تدوينٍ موسوعيٍّ لشتّى معارفِ العلومِ والفنونِ والآدابِ والأعلام، داعيًا الفريقَ الموريتانيَّ لأداءِ مهمّتِه في فريقِ الموسوعةِ، لما عُهِد عنه منَ العطاءِ والكفاءةِ خلالَ مشاركتِه البارزةِ في إنجازِ المعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ.

وقد تضمّنتِ النّدوةُ عرضًا موسَّعًا قدّمَه رئيسُ المجلسِ الأستاذُ الخليلُ النّحويُّ تحدّثَ فيه عن تاريخِ تأليفِ الموسوعاتِ في العالم، وعيّناتٍ منها، وعن عطاءِ العربيّةِ في هذا المجال. وذكرَ جملةً منَ المبادئِ والضّوابطِ المرعيّةِ في صناعةِ الموسوعاتِ.

> **إنَّ الموسوعةَ الجديدةَ ستكونُ أيضًا أضْخمَ تدوينٍ موسوعيٍّ لشتّى معارفِ العلومِ والفنونِ والآدابِ والأعلامِ، معتمدةً على فرقِ عملٍ متميّزةٍ، من بينها الفريقِ الموريتانيِّ، لما عُهِدَ عنه منَ العطاءِ والكفاءةِ خلالَ مشاركتِه البارزةِ في إنجازِ المعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ.**



# نظراتٌ في البيانِ القرآنيّ


- اللّه نُــــورُ السَّـــمَاوَاتِ والأَرْضِ
- أَفانِيـنُ الكَلامِ في التَّعـــامُلِ مع الحُـــروفِ عنـدَ ابنِ عاشُـــور
- المَســـافَــةُ الجَمالِيَّـــــةُ في القِصَّـــةِ القُـــرْآنِيَّةِ
- الوَظِيفَةُ الدَّلالِيَّةُ لِلْفَاصِلَةِ القُـرْآنِيَّةِ، قِـــرَاءَةٌ تَارِيخِيَّــةٌ نَقْــــدِيَّةٌ

# اللّٰه نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ

دارَ البحثُ على تفسيرِ آيةِ النّور [سورة النور: 35] بتحليلِ التّشبيهِ التّمثيليِّ فيها وبيانِ ما أُريدَ بكلِّ جُزءٍ من أجزائه، فانتهى إلى أنَّ (النّور) هو الإسلامُ، و(المشكاة) هي مكّةُ المكرّمةُ، و(المصباح) هو النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، و(الزّجاجة) همُ الصّحابةُ رضوان الله عليهم، و(الشّجرة المباركة) هي الوحيُ الإلهيُّ، و(الزّيتونة) هي رسالةُ الإسلام، و(الزّيت) هو القرآنُ الكريم، و(النّار) هي النّبوّةُ، وأنّ نورَ القرآن باقٍ ولو انقطعتِ النّبوّةُ بوفاة محمّد صلّى الله عليه وسلّم؛ وجاءت بعد هذه الآية آيةٌ تُناظرُها [سورة النور: 40]، وتكادُ تقابلُها كلمةً كلمةً، فبسطَ القولَ في أوجه التّقابُلِ بينهما، وكان لتتبُّعِ هذه الأوجُهِ أثرٌ كبيرٌ في تحريرِ المرادِ من كلتا الآيتَين؛ وعرضٌ لموقفٍ جرى مع أبي تمّام اعتصمَ فيه بآيةِ النّورِ في ردِّ كيدِ بعضِ الطّاعنين، فارتجلَ بيتَين لا يَصمدان على التّنقير والبحث، لكنْ ما يشفعُ له فيهما أنّه قالهما على البديهة، وتخلّصَ بهما من شرٍّ أُريدَ به.



د. عبد البديع النيرباني
أكاديمي وباحث

آيةٌ عظيمةٌ، وقفَ عندها كثيرٌ منَ العلماء مليًّا(1)، ومنهم من أفردَها بالتّأليف، كأبي حامدٍ الغزاليّ (ت505هـ) في كتابِه (مِشْكاةُ الأنوار ومِصْفاةُ الأسرار)(2)، غيرَ أنّ القرآنَ الكريم لا تنتهي عجائبُه، ولا يَخلَقُ على كثرةِ الرَّدّ.

وأنا أُلقي بدلوِي بين الدِّلاء، عسى أن تجيءَ بمِلْئها وإن لم أكن في القدْر كهؤلاء، والله تعالى وليُّ التّوفيق يؤتيه مِن عباده مَن يشاء.

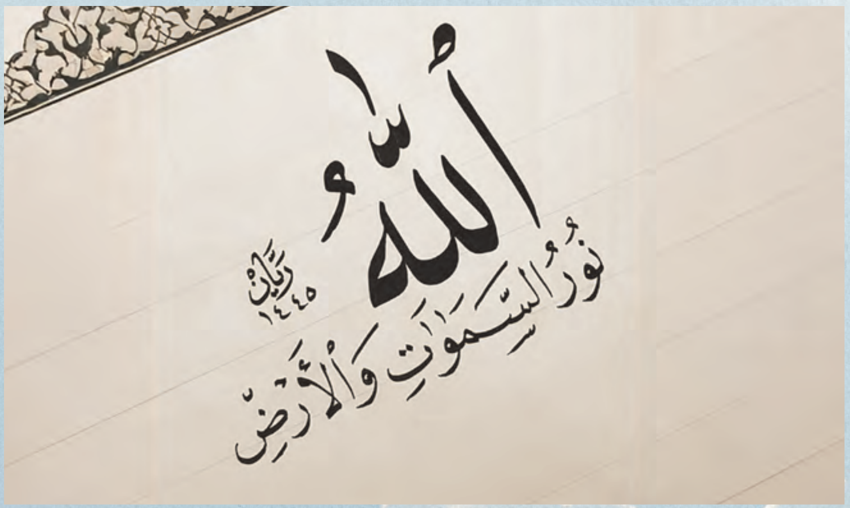
وأساسُ القولِ هنا حَلُّ التّشبيهِ الذي في الآيةِ الكريمة، وبيانُ ما أُريدَ بكلِّ جُزءٍ مِن أجزائه، فأقولُ مستعينًا بالله:

1. ﴿اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾: قال ابنُ عبّاس (ت68هـ): معناهُ هادي أهلِ السّماواتِ والأرضِ(3)، وقيل: معناه الأنوارُ كلُّها منه، كما يُقال: فلانٌ رحمةٌ، أي منه الرّحمةُ(4)، وما أَعْلاه مِن قِيلٍ(5)!

2. «مَثَلُ نُورِه»: الضّميرُ في (نوره) يعودُ على الله(6)، ونورُ الله: الإسلام(7)، قال تعالى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها﴾ [الأنعام 122].

3. «كَمِشْكاةٍ»: هي الكَوّةُ(8) في الجِدار لا مَنفَذَ لها(9)، وفائدتُها توجيهُ الضّوءِ وضبطُه بما يحولُ دون تشتُّته، فيصلَ أبعَدَ مَدًى، كما يجمع أحدُنا كفَّيْه حولَ فيه حينما ينادي بعيدًا، على هيئة مُكبِّراتِ الصّوت، «فإنّ المصباحَ إذا كان في مكان مُتضايِقٍ كالمشكاةِ كان أَضْوَأ له وأجْمَعَ

(1)التفسير الكبير 23/223-239، فتوح الغيب 11/87-104، روح المعاني 18/352-381.
(2) التفسير الكبير 23/225.
(3)جامع البيان 17/295-296، تأويلات القرآن 10/164، الهداية إلى بلوغ النهاية 5091، النكت والعيون 4/102، التفسير البسيط 16/253، تفسير القرآن للسمعاني 3/529، معالم التنزيل 6/45، المحرر الوجيز 6/385، زاد المسير 6/39، التفسير الكبير 23/225، الجامع لأحكام القرآن 15/256، لباب التأويل 3/296، التسهيل لعلوم التنزيل 2/92، البحر المحيط 6/418، تفسير القرآن العظيم 6/57، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/497، إرشاد العقل السليم 4/118، روح المعاني 18/360.
(4)معالم التنزيل 6/45، البحر المحيط 6/418.
(5)سيأتي وجه ترجيحه.
(6)جامع البيان 17/298، الهداية إلى بلوغ النهاية 5093، التفسير البسيط 16/257، معالم التنزيل 6/45، المحرر الوجيز 6/386، زاد المسير 6/40، الجامع لأحكام القرآن 15/261، لباب التأويل 3/297، الدر المصون 8/404، تفسير القرآن




**انتهَى البحث إلى أنَّ (النّور) هو الإسلامُ، و(المشكاة) هي مكّةُ المكرّمةُ، و(المصباح) هو النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، و(الزّجاجة) همُ الصّحابةُ رضوان الله عليهم، و(الشّجرة المباركة) هي الوحيُ الإلهيُّ.**

**«اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ»: قال ابنُ عبّاس (ت68هـ): معناهُ هادي أهلِ السّماواتِ والأرضِ، وقيل: معناه الأنوارُ كلُّها منه كما يُقال: فلانٌ رحمةٌ، أي منه الرّحمةُ، وما أَعْلاه مِن قِيلٍ!**

لنوره بسبب انضمامِ الشُّعاع المنعكسِ منه إلى أصل الشُّعاع، بخلاف المكانِ المتّسعِ فإنَّ الضّوءَ يَنبثّ فيه ويَنتشرُ»(10).

ولكي تُحقِّقُ المشكاةُ تلك الغايةَ ينبغي أن تُتّخَذَ في وسط البيتِ، لينتشرَ ضَوءُ المصباحِ في أرجائه على نحوٍ مُتساوٍ.

**فما المرادُ بالمشكاة هنا؟**

إنّها مكّةُ المكرَّمةُ، التي منها بدأ الإسلامُ، وهي سُرّةُ الأرضِ ووسطُ الدّنيا وأُمُّ القُرى(11)، قال تعالى بعد آية تحويلِ القِبْلة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:143]، وأرى أن تُحمَل كلمةُ (الوَسَط) على معناها الجغرافيِّ.

ومن غريبِ ما اتّفقَ للطِّيبِيّ (ت743هـ) قولُهُ ولم يُرِدْ بالمشكاة ما ذُكِرَ آنِفًا: «جَعَلَ المُشبَّهَ به في كَوّة، لِيُؤذِنَ أنّ المستضيءَ به إنّما ينتفعُ إذا انتصبَ مُحاذيًا له قِبَلًا إيّاه»(12)، وتأويلُهُ توليةُ الوَجْهِ شَطْرَ البيت الحرامِ في الصّلاة.

4. {فِيها مِصْباحٌ}: المصباحُ: السِّراج(13)، وأصلُه منَ الضّوء ومنه الصُّبْحُ(14)، والمرادُ به النّبيُّ محمّد صلّى الله عليه وسلّم، سمّاه الله مصباحًا كما سمّاه سراجًا(15)، قال تعالى: ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَداعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:45-46].

---

العظيم 6/58، نظم الدرر 13/272، روح المعاني 18/364، التحرير والتنوير 18/234.

(7)التحرير والتنوير 18/234.

(8)بفتح الكاف، والضمّ لغة [اللسان (كوي) 15/236].

(9)معاني القرآن للفراء 2/252، تأويل مشكل القرآن 328، جامع البيان 17/301، معاني القرآن وإعرابه للزجاج 4/43، تأويلات القرآن 10/162، الهداية إلى بلوغ النهاية 5095، النكت والعيون 4/102، التفسير البسيط 16/259، تفسير القرآن للسمعاني 3/530، معالم التنزيل 6/46، الكشاف 4/306، المحرر الوجيز 6/387، زاد المسير 6/40، التفسير الكبير 23/236، الجامع لأحكام القرآن 15/257، لباب التأويل 3/297، التسهيل لعلوم التنزيل 2/92، البحر المحيط 6/419، الدر المصون 8/404، تفسير القرآن العظيم 6/58، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/497، نظم الدرر 13/272، إرشاد العقل السليم 4/119، روح المعاني 18/364، التحرير والتنوير 18/235.

(10) إرشاد العقل السليم 4/121، وانظر الكشاف 4/307، التفسير الكبير 23/233، البحر المحيط 6/420، نظم الدرر 13/273، روح المعاني 18/373، التحرير والتنوير 18/242.

> **فائدةُ الزّجاجة للمصباح أنّها تقِيه الرّيحَ، ويتزايدُ نورُه بكثرة انعكاسِ ضوئِه على جوانبها.**

5. «المِصْباحُ فِي زُجاجةٍ»: وفائدةُ الزّجاجة للمصباح أنّها تقِيه الرّيحَ، ويتزايدُ نورُه بكثرة انعكاسِ ضوئِه على جوانبها. ففي الأولى يقول الإمام الغزاليّ: «فإنّ الزّجاجةَ في الأصل من جوهرٍ كثيفٍ، ولكنْ صُفِّيَ ورُقِّقَ حتى صارَ لا يحجبُ نُورَ المصباح، بل يؤدِّيه على وجهه، ثمّ يحفظُه عنِ الانطفاءِ بالرّياحِ العاصفةِ»(16)، وفي الأخرى يقول الإمام الرّازي (ت604هـ): «إنَّ المصباحَ إذا كان في زجاجةٍ صافيةٍ فإنَّ الأشعّةِ المنفصلةَ عن المصباحِ تنعكسُ من بعضِ جوانبِ الزّجاجةِ إلى بعضٍ؛ لمَا في الزّجاجة منَ الصّفاء والشّفافيّةِ، وبسببِ ذلك يزدادُ الضّوء والنّورُ»(17).

### فما المرادُ بالزّجاجةِ هنا؟

إنّهم الصّحابةُ رضوانُ الله عليهم، كانوا يَحْمُونَ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم حافِّينَ به، ويُبلِّغون عنه هدْيَه، فتكاثَرَ بهم نورُه وتألّقَ، حتى بلغ الغايةَ.

6. «الزُّجاجةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ»: مَدْحٌ عظيمٌ لمنِ اختارَهم الله لصحبةِ نبيِّه صلّى الله عليه وسلّم، «دُرِّيٌّ»: منسوبٌ إلى الدُّرِّ في بياضِه وتلألئه(18)، وقُرئت: «درّىء» بكسر الدّال وضمِّها مع المدّ والهمزِ(19)، منَ الدَّرْءِ بمعنى الدَّفْعِ(20)، والمرادُ به شدّةُ اللّمعان بكثرة انعكاسِ الضّوء على أسْطحِه.

7. «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ»: المرادُ بالشّجرة المباركةِ هنا الوحيُ الإلهيُّ(21)، أي يُؤيِّدُ اللهُ نبيَّه صلّى الله عليه وسلّم بوحيٍ مِن عنده.

8.{زَيْتُونةٍ}: رسالةُ الإسلام، شُبِّهت بها لكثرة خيرِها بلا انقطاع، وفي إبهامِ الشّجرة ثمّ وصْفِها بقوله: «مُبارَكةٍ» ثمّ بيانِها بقوله: «زَيْتُونةٍ» تعظيمٌ لشأنها وتفخيمٌ لأمرها(22).

9. ﴿لا شَرْقِيّةٍ ولا غَرْبِيّةٍ﴾: أي رسالةُ الإسلام عامّةٌ، وهي للنّاس كافّةً، وليست خاصّةً بقوم دونَ غيرهم؛ أو ليست نصرانيّةً؛ لأنّ النّصارى يُصلُّون قِبَلَ المشرق، ولا يهوديّةً؛ لأنّ اليهود يُصلُّون قِبَلَ المغرب(23)، وهو كقوله تعالى: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضّالِّينَ﴾ [الفاتحة:7].

10. ﴿يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾: الزّيت: خُلاصةُ الوحيِ، وهو القرآنُ الكريم، والنّارُ: النُّبوّةُ، أي يبقى نورُ القرآن لفَرْطِ بريقِه قريبًا مِمّا كان عليه في زمن النّبوّةِ، ولوِ انقطعت بوفاةِ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بمعنى أنّ دينَ الله باقٍ لا يزولُ، وقد جاء الرّمزُ إلى (النّبوّة بالنّار) وإلى (الوحيِ بالشّجرة) في قصّةِ موسى عليه السلام بقوله تعالى: ﴿فَلَمّا قَضى مُوسى الأَجَلَ وَسارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ

---

(11) معجم البلدان 4/463.
(12) فتوح الغيب 11/88.
(13) تأويل مشكل القرآن 328، جامع البيان 17/304، معاني القرآن وإعرابه للزجاج 4/43، تأويلات القرآن 10/162، الهداية إلى بلوغ النهاية 5101، النكت والعيون 4/102، التفسير البسيط 16/263، معالم التنزيل 6/46، الكشاف 4/306، زاد المسير 6/40، التفسير الكبير 23/236، لباب التأويل 3/297، البحر المحيط 6/419، الدر المصون 8/405، تفسير القرآن العظيم 6/59، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/498، نظم الدرر 13/272، إرشاد العقل السليم 4/119، روح المعاني 18/365.
(14) معالم التنزيل 6/46، التفسير الكبير 23/236.
(15) معالم التنزيل 6/48، الجامع لأحكام القرآن 15/266، لباب التأويل 3/298.
(16) مشكاة الأنوار 103، التفسير الكبير 23/234 (بتصرف يسير).
(17) التفسير الكبير 23/233 (بتصرف يسير)، وانظر نظم الدرر 13/273.
(18) الكشاف 4/307، المحرر الوجيز 6/387، الجامع لأحكام القرآن 15/262، التسهيل لعلوم التنزيل 2/93، البحر المحيط 6/419، الدر المصون 8/406، نظم الدرر 13/273.
(19) جامع البيان 17/307–308، كتاب السبعة في القراءات 455–456، نشر القراءات العشر 2502.
(20) جامع البيان 17/308، النكت والعيون 4/103، التفسير البسيط 16/265، معالم التنزيل 6/46، المحرر الوجيز 6/387، التفسير الكبير 23/237، الجامع لأحكام القرآن 15/263، التسهيل لعلوم التنزيل 2/93، البحر المحيط 6/419، الدر

الطُّورِ نارًا قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ فَلَمّا أَتاها نُودِىَ مِنْ شاطِئِ الوادِ الأَيْمَنِ فِى البُقْعَةِ المُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنا اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾ [القصص:29-30].

11. {نُورٌ عَلى نورٍ}: أي مُتضاعِفٍ، تَعاوَنَ عليه المشكاةُ والمصباحُ والزّجاجةُ والزّيتُ(24)، والمعنى: اجتمعت في الإسلام أسبابُ الهدايةِ من كلِّ جانب.

12. ﴿يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾: عاد الكلامُ إلى الإسلام(25) من جديد، فهو من رَدِّ العَجُز على الصَّدْر(26)، أي يَهدي الله لدينه مَن يشاء مِن أوليائه(27).

13. ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنّاسِ﴾: تقريبًا إلى الأفهام وتسهيلًا لسُبلِ الإدراك(28)، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم:25]، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21]، ﴿وَما يَعْقِلُها إِلّا العالِمُونَ﴾ [العنكبوت 43].

14. ﴿وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾: فيأتي بالمَثَل مُطابِقًا للمُمثَّل به في كلِّ أجزائِه، ولا يستطيعُ هذا إلّا اللّطيفُ الخبيرُ.

ومن بديع نظْمِ القرآنِ الكريمِ أنّ لهذه الآيةِ نظيرةً تكادُ تُقابلُها(29) كلمةً كلمةً، وهو مِمّا أعانَ على تحرير المرادِ في كلتا الآيتَين، وهي قولُه تعالى بعدُ: ﴿أَوْ كَظُلُماتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور 40]، وتفصيلُ ذلك:

1. أنّ قولَه: {كَظُلُماتٍ} يقابلُ قولَه: «مَثَلُ نُورِهِ». وجاء النّورُ مفردًا؛ لأنّ الحقّ واحدٌ، في حين جاءتِ الظّلماتُ جمعًا؛ لأنّ الباطل مُتعدِّد، قال تعالى: ﴿وأَنَّ هَذا صِراطِى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[الأنعام:153].

2. وأنّ قولَه: {فِى بَحْرٍ لُجِّيٍّ} يقابلُ قولَه: {كَمِشْكاةٍ}، والبحرُ اللُّجّيُّ: الذي لا يُدرَكُ قَعْرُهُ(30). فإن كان حقُّ الإسلامِ أن يكون في مشكاةٍ تجعلُ في صدرِ البيت لِيَعُمَّه نورُه، فحقُّ الكفرِ أن يُدفَن في قاع المحيطِ لئلّا يطفُوَ على السّطح منه شيءٌ.

3. وأنَّ قولَه: {يَغْشاهُ مَوْجٌ} يقابلُ قولَه: {فِيها مِصْباحٌ}. ويشتركان في الموج؛ لأنّ المصباحَ آلةُ الضّوء، وهو ضربٌ لطيفٌ منَ الموج، لكن شتّانَ ما بين موجٍ يكون سببًا للهِداية، وآخرَ يكون سببًا للعَماية.

4. وأنّ قولَه: {مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ} يقابلُ قولَه: {المِصْباحُ فِى زُجاجةٍ}. فكما أنّ أتباعَ الحقّ يُسهِمُون في نشرِه وتألُّقِه، فإنّ أتباعَ الباطل يزيدونَه اضطرابًا وتحيُّرًا.

5. وأنَّ قولَه: {مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ} يقابلُ قولَه: {يُوقَدُ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكَةٍ}. فإذا حُملتِ الشّجرةُ المباركةُ على الوحيِ، حُمل السّحابُ على الهَوى؛ لأنّه ضدُّه، قال تعالى: ﴿وَما يَنْطِقُ عَنِ الهَوى إِنْ هُوَ إِلّا وَحْىٌ يُوحى﴾ [النجم:3-4]. والمعنى: إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ينصرُه ربُّه بالوحي، في حين أنّ رؤوس الكُفر تخذُلُهم أهواؤُهم وتزيدُهم ضلالةً.

6. وأنّ قولَه: ﴿ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ﴾ يقابلُ قولَه: {نُورٌ عَلى نُورٍ} (31)، و«معناه أنَّ البحرَ اللُّجِّيَّ يكون

المصون 8/406، تفسير القرآن العظيم 6/59، إرشاد العقل السليم 4/119، روح المعاني 18/366، التحرير والتنوير 18/239.

(21) المحرر الوجيز 6/386، زاد المسير 6/45، الجامع لأحكام القرآن 15/261، فتوح الغيب 11/96، البحر المحيط 6/419، روح المعاني 18/375، التحرير والتنوير 18/243.

(22) أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/498، إرشاد العقل السليم 4/119، روح المعاني 18/368، التحرير والتنوير 18/240.

(23)تأويلات القرآن 10/163، النكت والعيون 4/105، تفسير القرآن للسمعاني 3/533، معالم التنزيل 6/48، الجامع لأحكام القرآن 15/266، لباب التأويل 3/298.

(24) تأويل مشكل القرآن 328، النكت والعيون 4/105، الكشاف 4/307، زاد المسير 6/43، الجامع لأحكام القرآن 15/260، التسهيل لعلوم التنزيل 2/94، البحر المحيط 6/420، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/498، نظم الدرر 13/275، التحرير والتنوير 18/242.

(25) التفسير البسيط 16/287، معالم التنزيل 6/49، زاد المسير 6/44.

(26) هو أن يُجعَلَ أحد اللفظين المكررين في أول الفقرة والآخَر في آخِرها (شرح تلخيص المفتاح 812، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع 407).

(27) النكت والعيون 4/105.

(28) التفسير البسيط 16/287، معالم التنزيل 6/49، زاد المسير 6/45، الجامع لأحكام القرآن 15/268، لباب التأويل 3/298، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 2/499، نظم الدرر 13/277.

(29) تأويلات القرآن 10/179، مشكاة الأنوار 105-107،

قعرُه مُظلمًا جدًّا بسبب غُمُورة الماءِ، فإذا ترادفتِ الأمواجُ ازدادتِ الظُّلمةُ، فإذا كان فوقَ الأمواج سحابٌ بلغت الظُّلمةُ النّهايةَ القُصوى»(32). فإنّ تلك ظُلماتٌ متكاثفةٌ، كما أنّ ذلك نورٌ مترادفٌ.

7. وأنّ قولَه: {إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها} يقابلُ قولَه: ﴿يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ﴾، من معاني اليد: الاستسلامُ(33)، قال تعالى: ﴿حَتّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ﴾ [التوبة: 29]، ويُقال في خلافِه: نزعَ يدَه منَ الطّاعةِ(34)، و(ها) في {يَراها} تعودُ على اليدِ بمعنًى غيرِ الأوّلِ وهو السُّلْطانُ(35)، وهو من بابِ الاستخدام(36)، والمعنى: إذا تبرّأ الكافرُ من كفرِه لم يكد يرى سلطانَه عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّما سُلْطانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:100]. وبهذا الفهم يَتّضِحُ وجهُ التّقابُل بين التّركيبَين، فإذا كان دينُ الله راسخًا رسوخَ الجبال، فإنّ الكفرَ أوهامٌ، وهو أوهَى من بيتِ العنكبوت.

8. وأنّ قولَه: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ يقابلُ قولَه: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ﴾(37). فإنِ اعتددْنا بهما مُقدّمتَينِ صُغرَى وكُبرَى، كانتِ النّتيجةُ قولَه: ﴿اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأَرْضِ﴾، أي ما مِن نورٍ في السّماوات والأرضِ إلّا منه جلّ وعلا، حتى كأنّه النُّور، وإن لم يكن هو هو(38).

**أبو تَمّام وهذه الآيةُ:**

تَروي كُتبُ الأدب أنَّ أبا تَمّام مدحَ أحدَ الأُمراءِ بقصيدةٍ مطلعُها:

**ما فِي وُقُوفِكَ ساعةً مِنْ باسِ**
**تَقْضِي ذِمامَ الأَرْبُعِ الأَدْراسِ(40)**

حتى إذا ما بلغَ قولَه:

**إِقْدامُ عَمْرٍو فِي سَماحةِ حاتِمٍ**
**فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكاءِ إِياسِ**

قال له بعضُ الحاضرين، وأراد الطَّعنَ عليه: الأميرُ فوقَ مَنْ وصفتَ! فأطرقَ قليلاً، ثمَّ أنشدَ على البَدِيهة:

**لا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ**
**مَثَلاً شَرُودًا فِي النَّدى والباسِ**
**فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الأَقَلَّ لِنُورِهِ**
**مَثَلاً مِنَ المِشْكاةِ والنِّبْراسِ(41)**

فتعجّبُوا من سرعةِ فطْنتِه واتّقادِ قريحتِه.

غيرَ أنَّ التّشبيه في الآيةِ الكريمةِ لم يُؤْتَ به بيانًا لمقدارِ نورِ اللهِ على نحوِ ما يُفهَمُ مِن قول الشّاعرِ، وإنّما أُتِيَ به بيانًا لمَا اجتمعَ في هذا الدِّين من آيات الهدايةِ، ولإنزالِ كلٍّ منها منزلتَها مِنَ الأخرى(42).

وقد تساءلَ بعضُ مَن وَقَفَ عندَ هذه الآيةِ عن سببِ اختيارِ المصباحِ مثلاً لنُورِ اللهِ دون الشّمس والقمر(43)، وأجابُوا بأجوبةٍ غيرِ شافيّةٍ، وذلك لِذُهُولِهم عن غَرَضِ التّشبِيه فيها.

---

التفسير الكبير 223/23، 24/7، فتوح الغيب 92/11، البحر المحيط 423/6.

(30) الجامع لأحكام القرآن 301/15، نظم الدرر 286/13.

(31) فتوح الغيب 92/11، إرشاد العقل السليم 128/4، روح المعاني 402/18.

(32) لباب التأويل 300/3.

(33) اللسان (يدي) 423/15.

(34) اللسان (يدي) 423/15.

(35) اللسان (يدي) 423/15.

(36) هو أن يُرادَ بلفظٍ له معنيانِ أحدُهما ثمّ يُرادَ بضميرِهِ معناه الآخَرُ (شرح تلخيص المفتاح 762، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع 364).

(37) فتوح الغيب 92/11، تفسير القرآن العظيم 71/6–72.

(38) تأويلات القرآن 163/10–164، الهداية إلى بلوغ النهاية 5099، التفسير الكبير 224/23، التسهيل لعلوم التنزيل 92/2، فتوح الغيب 90/11، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 497/2، نظم الدرر 272/13، روح المعاني 358/18، التحرير والتنوير 231/18–232.

(39) أخبار أبي تمام 230–232، نضرة الإغريض في نصرة القريض 335–336.

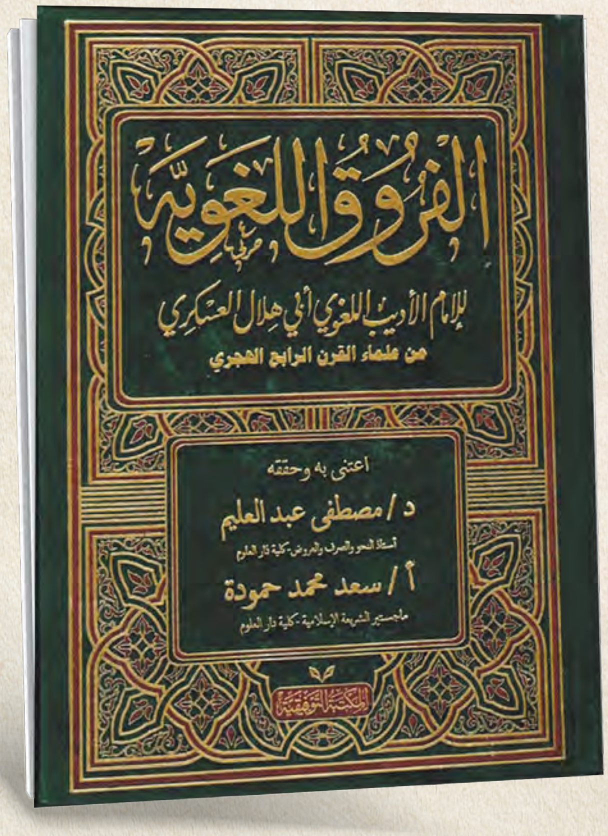
(40) الأدراس جمع دَرِيس، وهو الخَلَق البالي [اللسان (درس) 79/6].

(41) النبراس: المصباح، وذهب بعض العلماء إلى أن نونه زائدة وأنه مشتقّ من (البرس) وهو القطن، لأن الفتيلة في الأغلب تكون منه [اللسان (برس) 25/6].

(42)التحرير والتنوير 235/18.

(43)التفسير الكبير 233/23، التسهيل لعلوم التنزيل 93/2، التحرير والتنوير 234/18–235.

# التّحسّس والتّجسّس




التّحسّس، بالحاء، هو طلب الأخبار أو تتبّع الأثر بحاسّة السّمع أو البصر، وغالبًا ما يُستخدم في سياق الخير، كما في قوله تعالى على لسان يعقوب: {يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ} [يوسف: 87]، أي التمسوا الخبر عنهما بما يصل إليكم من أثر أو قول. أما التجسّس، بالجيم، فيحمل دلالة سلبيّة، إذ هو التّتبع الخفيّ لأسرار النّاس وعوراتهم، وهو ما نهى الله عنه في قوله تعالى: {وَلَا تَجَسَّسُوا} [الحجرات: 12]، لما فيه من تعدٍّ على خصوصيّات الآخرين. ويُروى أن ابن عباس سُئل عن الفرق بينهما، فقال: التّحسس في الخير، والتّجسس في الشّر.

# أَفانينُ الكَلامِ في التّعامُلِ مع الحُروفِ عندَ ابنِ عاشُور



**تنوّعتْ مظاهرُ عنايةِ ابنِ عاشُور في التّعاملِ مع حروفِ المعاني والمباني في تفسيره، وكان يتفنّنُ في ذكْرِ الوجوهِ البلاغيّةِ المختلفةِ لاستعمالاتِ هذه الأحرفِ، بل إنّه كان يجمعُ أحيانًا بين الآراء المتباعدةِ في التّوجيه لهذه الأحرف، وهذا يدلّ على سَعة اطّلاعِه من جهة، وعلى عدم تعصّبِه وتحزّبِه لرأيٍ دون آخرَ من جهة أخرى، ولا شكَّ أنّ ابنَ عاشور وهو يجمعُ بينَ كلّ الوجوه المحتملةِ يقرّرُ دائمًا أنّ الغرضَ الأساسَ من ذلك كلّه في القرآن الكريم هو العنايةُ بأفانينِ الكلامِ أو ما يُسمِّيه أحيانًا بالتّفنُّنِ في الأسلوب.**



أ.د جهاد النصيرات
أستاذ التفسير وعلوم القرآن- الجامعة الأردنية

**أوّلًا: تَرجمةُ الطّاهر ابن عاشور(1879م - 1973م).**

هو الإمامُ التّونسيُّ محمّد الطّاهر الثّاني بن محمّد بن محمّد الطّاهر الأوّل بن محمّد الشّاذلي بنِ عاشور، الإمام العالمُ النّحريرُ في شتّى العلومِ الشّرعيّةِ واللُّغويّةِ والتّاريخيّةِ.

أتقن كثيرًا منَ العلوم كالنّحو والبلاغة والمنطق وعلمِ الكلام والفقه وأصوله والحديثِ والسّيرة والتّاريخ حتّى تشبَّعَ فكرُه بالثّقافة الإسلاميّةِ، تدرّجَ في مناصبِ التّدريس والقضاء والإفتاءِ في الدّيار التّونسيّةِ لسنينَ طويلةٍ، زيادةً على كونِه عُضوَ المَجمعَين العربيّين في دمشقَ والقاهرةِ، ورئيسَ المُفتين المالكيّين وشيخَ جامعِ الزّيتونة وفروعِه بتونس، كذلكَ هو أوّلُ من أحرزَ الجائزةَ التّقديريّةَ للرّئيس الحبيبِ بورقيبة سنة 1968م.

أمّا عن آثارِه العلميّةِ فقد اهتمَّ رحمه الله بالكتابةِ والتّصنيفِ، والمكتبةُ الإسلاميّةُ والعربيّةُ تزخرُ بمؤلّفاتِه التي تتميّزُ بتحرير المسائلِ وتدقيقِها، ومن أهمِّ ما طُبِعَ منها: (تفسيرُ التّحرير والتّنوير)، (مقاصدُ الشّريعةِ الإسلاميّةِ)، (النّظامُ

الاجتماعيُّ في الإسلام)، (التّوضيحُ والتّصحيحُ لمشكلات التنقيح في أصول الفقه للقرافيّ)، (قصّةُ المولدِ النّبويّ الشّريفِ)، (الوقفُ وأثرُه في الإسلام)، (أليس الصّبحُ بقريبٍ)، وفي علم الحديث لهُ كذلك: كتابُ (النّظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصّحيح)، وكتاب (كشف المغطّى منَ المعاني والألفاظِ الواقعة في الموطّأ)، وله في مجال العلوم اللُّغويّة: (أصول الإنشاء والخطابة)، (موجز البلاغة)، (شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلّق)، (ديوان النابغة الذبياني جمع وشرح وتعليق)، (جمع وشرح ديوان سحيم)، (شرح معلقة امرئ القيس)، (شرح ديوان ابنِ الحسحاس)، وغيرُها.

**ثانيًا: التّعريفُ بتفسير التّحريرِ والتّنوير.**

إنَّ أشهرَ ما عُـرِفَ بهِ ابنُ عاشور تفسيرُه للقرآن الكريم الذي أسماه "تحريرُ المعنى السّديد وتنويرُ العقل الجديد من تفسير الكتابِ المجيد"، والذي اشتُهِرَ بين النّاس باختصاره "التّحريرُ والتّنويرُ"، أتمَّ فيه تفسيرَ القرآن كاملاً منَ الفاتحة إلى النّاس، وقدِ استهلّ كتابه بعشرِ مقدّماتٍ مُعنونةٍ بعنواناتٍ مختلفةٍ شملت أبوابًا مهمّةً ومنوّعةً من علوم القرآنِ الكريم كالقراءاتِ والإعجازِ والقَصصِ وأسبابِ النّزولِ واسمِ القرآن وآياتِه وسُورِه وترتيبِها وأسمائِها..

ويُعدّ تفسيرُه في الجُمْلَة تَفْسيرًا بلاغيًّا لُغويًّا في الدّرجة الأولى، مع اهتمامِه بالمأثورِ دونَ الإكثارِ من أقوال الصّحابةِ والتّابعين، مُبْرِزًا فيه آراءَه العلميّةَ والاجتهاديّةَ في جُلّ المسائل، مُطِيلاً في أحيانٍ أخرى بمسائلِ الفقه وأصولِه، مُشيرًا إلى العلُوم الحديثةِ وإلى الرّياضةِ والفلسفةِ والمعجزاتِ الكونيّةِ في المسائلِ التي تَحويها آياتُ الكتابِ العزيز.

**ثالثًا: مظاهرُ عنايةِ ابنِ عاشور في تفسيره بإبرازِ التّفنّنِ في استعمالِ الأحرُفِ:**

**1. القولُ بالتّضمين:**

اعتنَى ابنُ عاشور كثيرًا بموضوع التّضمين وتوسّع فيه،حيث تجاوزَ عددُ المواضع التي قالَ فيها بالتّضمين ما يزيدُ عَلى المئتَين وخمسين موضعًا. وقد عرَّف ابنُ عاشور التّضمينَ بقوله: "أَنْ يُضَمَّنَ الفِعْلُ أوِ الوَصْفُ مَعْنَى فِعْلٍ أَوْ وَصْفٍ آخَرَ وَيُشَارَ إِلَى المَعْنَى المُضَمَّنِ بِذِكْرِ مَا هُوَ مِنْ مُتَعَلَّقَاتِهِ مِنْ حَرْفٍ أَوْ مَعْمُولٍ فَيَحْصُلُ فِي الْجُمْلَةِ مَعْنَيَانِ»(1). ولعلّ تعريفَه هذا من أجوَدِ التّعاريف لهذا المصطلحِ إذ إنَّه الأكثرُ شموليّةً لحالاتِ

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾



التّضمين، حيثُ أشارَ فيه إلى قرينتَينِ منَ القرائنِ الدّالّةِ على التّضمين، وهذا ما لا نجدُه عند غيره منَ العلماء، وهما: قرينةُ حرفِ الجرّ، وقرينةُ (المعمول) الدّالّةُ على حالةِ تضمينِ اللّازم بمتعدٍّ ممّا يُوجِدُ منصوبًا في الجملة .

يُضاف إلى ذلك أنَّ ابنَ عاشور نصَّ على وقوع التّضمين في الفعل والاسم دون الحرف، وهو رأيٌ له وجهتُه عند علماءِ اللّغة.

ومنَ المواضع التي صَرَّحَ فيها بالتّضمين: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود:15]، قالَ: «عُدِّيَ فِعْلُ نُوَفِّ بِحَرْفِ (إِلَى) لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى نُوَصِّلُ أَوْ نُبْلِغُ لِإِفَادَةِ مَعْنَيَيْنِ»(2)، وكذلكَ عند قوله تعالى: ﴿مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْـًٔا﴾ [الجاثية:10]، قالَ: «عُدِّيَ بِحَرْفِ (عَنْ) لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى يَدْفَعُ، فَكَأَنَّهُ عَبَّرَ بِفِعْلَيْنِ لَا يُغْنِيهِمْ وَبِالدَّفْعِ عَنْهُمْ»(3).

ومنَ المواضع الأخرى الدّالّةِ على تنبيه ابنِ عاشور لتحقيق التّضمين للمعنيين ما ذكره عندما فسَّرَ قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص:20]، قال: «يَأْتَمِرُونَ بِكَ يَتَشَاوَرُونَ. وَضُمِّنَ مَعْنَى (يَهُمُّونَ) فَعُدِّيَ بِالْبَاءِ فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَأْتَمِرُونَ وَيَهُمُّونَ بِقَتْلِكَ»(4)، كذلكَ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ [الإسراء:40]، قالَ: «ضَمَّنَ أَصْفَى مَعْنَى آثَرَ فَتَكُونُ الْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى الِاخْتِصَاصِ بِمَجْرُورِهَا، فَصَارَ (أَصْفَى) مَعَ مُتَعَلَّقِهِ بِمَنْزِلَةِ فِعْلَيْنِ، أَيْ قَصَرَ الْبَنِينَ عَلَيْكُمْ دُونَهُ، أَي جعل الْبَنِينَ خَالِصَةً لَا يُسَاوِيكُمْ هُوَ بِأَمْثَالِهِمْ، وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ الْإِنَاثَ الَّتِي تَكْرَهُونَهَا»(5)، وغيرُها منَ المواضع(6).

> **يرى ابنُ عاشور وقوعَ الاستعارةِ التّبعيّةِ في الحرف، وهي الاستعارةُ التي يكون فيها الحرفُ مستعارًا لمتعلّقِ حرفٍ آخَر، ولكنَّه لمْ يُجمع القولَ بالتّضمين والاستعارة التّبعيّة في الحرف كمَخرجَين للتّعدية الواحدة.**

**2. القولُ بالاستعارةِ التّبعيّة في الحرفِ:**

يرى ابنُ عاشور وقوعَ الاستعارةِ التّبعيّةِ في الحرف، وهي الاستعارةُ التي يكون فيها الحرفُ مستعارًا لمتعلّقِ حرفٍ آخرَ، ولكنَّه لمْ يُجمعِ القولَ بالتّضمين والاستعارة التّبعيّة في الحرف كمَخرجَين للتّعدية الواحدة. وفي بعضِ المواضعِ التي قالَ فيها ابنُ عاشور بالاستعارةِ التّبعيّةِ في الحرف لم يُسوِّغ سببَ اعتباره إيّاها على ذلك دون التّضمين.

ومن ذلك أنّه في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [يونس:88]، قالَ: «حَرْفُ (عَلَى) مُسْتَعَارٌ لِمَعْنَى الظَّرْفِيَّةِ اسْتِعَارَةً تَبَعِيَّةً لِإِفَادَةِ تَمَكُّنِ الشِّدَّةِ، وَالْمَعْنَى: أَدْخِلِ الشِّدَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ»(7). وفي قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:78]، قالَ: «(على) فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ الْمُسْتَعْمَلِ فِي تَمَكُّنِ الْمُلَابَسَةِ، فَهِيَ اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ لِمَعْنَى بَاءِ الْمُلَابَسَةِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الْبَقَرَة:5]، قُصِدَ مِنْهَا الْمُبَالَغَةُ فِي الْمُلَابَسَةِ، أَيْ لعنُوا بِلِسَانِ دَاوُودَ، أَيْ بِكَلَامِهِ الْمُلَابِسِ لِلِسَانِهِ»(8).

وأيضًا في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾

---

(1) ابن عاشور، محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد الطّاهر التونسي (ت 1393هـ/ 1973م)، التّحرير والتّنوير، د.ط، 12م، تونس: دار سحنون، د.ت، ج1، ص:123.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج5، ص:24.
(3) المصدر نفسه، ج10، ص:334.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج8، ص:96.
(5) المصدر نفسه، ج6، ص:108.
(6) ينظر في تفسير ابن عاشور للآيات الكريمة الآتية: البقرة:102، النساء:2، الأعراف:9، 36، 103، هود:59، إبراهيم:5، السجدة:26، يس:66.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج5، ص:270.
(8) المصدر نفسه، ج3، ص:292.

**ذهب بعضُ النُّحاة والمفسّرين إلى القولِ بنيابةِ حروف الجرِّ عن بعضِها بعضًا عند تقارُب معانِيها في بعض التّراكيب؛ وهو ما يُسمَّى بتناوُبِ حروف الجرِّ أو تعاوُرِها أو تعاقُبِها.**



[الأعراف:151]، قالَ: «حَرْفُ (فِي) اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ، أَوْقَعَ حَرْفُهُ الظَّرْفِيَّةَ مَوْقِعَ بَاءِ المُلَابَسَةِ»(9). وفي قوله: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل:2]، قالَ: «ظَرْفِيَّةُ الكَيْدِ فِي التَّضْلِيلِ مَجَازِيَّةٌ، اسْتُعِيرَ حَرْفُ الظَّرْفِيَّةِ لِمَعْنَى المُصَاحَبَةِ»(10). وقالَ في اللّام المُتّصلة بكلمة (الأذقان) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[الإسراء:107]: «أَصْلُ هَذِهِ اللَّامِ أَنَّهَا اسْتِعَارَةٌ تَبَعِيَّةٌ؛ اسْتُعِيرَ حَرْفُ الاِخْتِصَاصِ لِمَعْنَى الاِسْتِعْلَاءِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَزِيدِ التَّمَكُّنِ كَتَمَكُّنِ الشَّيْءِ بِمَا هُوَ مُخْتَصٌّ بِهِ»(11).

### 3. القولُ بالتّناوُب:

ذهب بعضُ النُّحاة والمفسّرين إلى القولِ بنيابةِ حروف الجرِّ عن بعضِها بعضًا عند تقارُب معانِيها في بعض التّراكيب؛ وهو ما يُسمَّى بتناوُبِ حروف الجرِّ أو تعاوُرِها أو تعاقُبِها، ورأى القائلون بذلك أنَّ لهذه الحروف معانيَ عديدةً، وهي كثيرةُ الدّوران في الكلام العربيّ الفصيحِ؛ لذلكَ لا بأس أن يُؤدّي حرفٌ ما دورَ غيره منَ الحروف في تركيبٍ معيّنٍ عند تقاربِ معناهما.

وعلى الرّغم من عدمِ استحسانِ القول بنيابةِ الحروف بَعْضِها عَنْ بَعْضٍ في الدّرس النّحويِّ العامِّ، إلَّا أنَّ ابنَ عاشور ذهبَ في بعض التّراكيب إلى القول بالتّناوُب؛ فرأى مثلًا أنَّ (الباء) للملابسةِ بمعنى (مع) في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:103](12)، وأنَّها بمعنى (من) في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام:136](13)،وأنَّها بمعنى (عن) في قوله:﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:138](14)، وفي قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان:25]

(9) المصدر نفسه، ج4، ص:118.
(10) المصدر نفسه، ج12، ص:549.
(11) المصدر نفسه، ج6، ص:234.
(12) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج2، ص:34.
(13) قالَ ابن عاشور: "الْبَاءُ الدَّاخِلَة على (زَعْمِهِمْ) إِمَّا بِمَعْنَى (مِن) أَيْ: قَالُوا ذَلِكَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَأَعْلَنُوا بِهِ قَوْلًا نَاشِئًا عَنِ الزَّعْم، أَي: الاِعْتِقَادِ الْبَاطِلِ، وَإِمَّا لِلسَّبَبِيَّةِ؛ أَيْ قَالُوا ذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُمْ زَعَمُوا"، المصدر نفسه، ج4، ص:96.
(14) وجوَّز أن تكون للسببية أيضًا، ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص:107.

(15)، وفي قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان:59](16)، كذلك قالَ إنّها بمعنى (في) في قوله:﴿فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ ﴾ [الأعراف:57] (17)، وقوله: ﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف:86] (18)، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنبياء:49](19)، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [النور:39] (20).

وفي تفسير قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمۡ يَدۡعُنَآ إِلَىٰ ضُرّٖ مَّسَّهُۥۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡمُسۡرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [يونس:12]، قالَ ابنُ عاشور ما نصُّه: "اللَّامُ فِي قَوْلِهِ: لِجَنْبِهِ بِمَعْنَى (عَلَى) كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ﴾ [الْإِسْرَاء:109]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: 103]. أَلَا تَرَى أَنَّهُ جَاءَ فِي مَوْضِعِ اللَّامِ حَرْفُ (عَلَى) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النِّسَاء: 103]، وَقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمرَان: 191]»(21).

> **من التّوجيهات النّحوية البديلة للتّضمين ما ذهب إليه بعض النُّحاة والمفسّرين من القول بزيادة حروفِ الجرّ في بعض المواضع، وقد تناولت كتبُ النّحو والتّفسير هذا الموضوعَ وتجاذبتْهُ بين الرّدِّ والقَبول، ولهُ عند العلماء تعريفاتٌ عدّةٌ؛ تكاد تكون متشابهةً في مدلولها.**

**4. القولُ بنزْعِ الخافض:**

يُعدُّ القولُ بنزعِ الخافض توجيهًا نحويًّا قال به غيرُ واحدٍ من علماء العربيّة في أثناءِ دراستِهم وتحليلِهم لكثيرٍ منَ التّراكيب اللُّغويّةِ التي جاء فيها الفعلُ أوِ المُشتقُّ متعدّيًا إلى مفعوله بنفسِه وهو يتعدّى إليه عن طريق حرفِ جرٍّ في العادة، وقد تناولَ النّحاةُ هذا الموضوعَ بالشّرحِ والبسْطِ في كُتبهم؛ فالمبرّدُ في (المقتضب) يقول: «اعْلَم أَنَّك إِذا حذفتَ حُرُوفَ الْإِضَافَة منَ الْمقسم بِهِ نصبتَه؛ لِأَنَّ الْفِعْل يصلُ فَيعْملُ فَتقول: اللهَ لأَفْعلَنَّ؛ لِأَنَّك أردْتَ: أَحْلفُ اللهَ لأَفْعلَنَّ، وَكَذَلِكَ كلُّ خافضٍ فِي مَوضِع نصبٍ إِذا حذفتَه وصلَ الْفِعْل فَعملَ فِيمَا بعده، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا﴾ [الأعراف:155]، أَي من قومه.

وقد قالَ ابنُ عاشور بنزع الخافضِ في آياتٍ عديدةٍ منَ الذّكر الحكيم؛ فعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:10]، جعلَ (سعيرًا) منصوبةً على نزع الباء(22)، وفي قوله تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ [التوبة:64]، جعلَ تعديَةَ فعْلِ (تنبئهم) إلى ضمير المنافقين على نزع الخافض؛ والتّقديرُ: تنبئ عنهم(23)،

(15) ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص:10.

(16) وجوّزَ أن تكون (الباء) مُتعلقة بلفظ (خبيرا) وتقدم الجار والمجرور للاهتمام ولمراعاة الفاصلة، ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص:61.

(17) قالَ ابن عاشور إنَّ (الباء) قد تعود على (البلد) في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ﴾ [الأعراف:57]، فتكون بمعنى (في)، وقد تعود على (الماء) فتكون الباء للآلة، ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص:183.

(18) قال ابن عاشور: "الْبَاءُ لِلْإِلْصَاقِ، أَوْ هِيَ بِمَعْنَى (فِي) كَشَأْنِهَا إِذَا دَخَلَتْ عَلَى أَسْمَاءِ الْمَنَازِلِ"، ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج4، ص:246.

(19) ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص:90.

(20) ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص:252. ويرى أن (الباء) بمعنى (في) أيضًا في قوله: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان:19]، ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص:342، كذلكَ في قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ]الروم:23[، ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص:76، وفي قوله: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ﴾ [الزمر:61]، ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص:52.

(21) المصدر نفسه، ج5، ص: (110-112).

(22) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج2، ص:205.

(23) ينظر: المصدر نفسه، ج5، ص:248.



وفي قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:67]، جعلَ الضّمير في (ناسكوه) منصوبًا على نزع الخافض؛ والأصلُ: هم ناسكون فيه(24).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان:13]، قالَ إنَّ (مكانًا) منصوبٌ على نزع الخافض، وأصلُها: في مكانٍ ضيقٍ(25)، وفي قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:14]، قالَ إنَّ الفعل (استيقنَتْها) تعدّى إلى مفعوله على نزع الخافض؛ أي: أيقنت بها(26)، كذلكَ في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن:9]، قالَ إنَّ (الميزان) منصوبٌ على نزع الخافض(27)، وفي قوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة:8]، قالَ إنَّ فعل (تبرُّوهم) تعدَّى بنفسه على نزع الباء؛ والتّقدير: تبرّون بهم(28)، وغيرُها منَ الآيات التي قالَ فيها بالحذف والايصال، والتي تدلُّ على عنايته بهذا الأسلوب واعتدادِه بهِ كثيرًا.

**5. القولُ بزيادةِ الحروف:**

منَ التّوجيهات النّحويةِ البديلةِ للتّضمين ما ذهبَ إِلَيْهِ بعضُ النُّحاةِ والمفسّرين منَ القول بزيادة حروفِ الجرّ في بعض المواضع(29)، وقد تناولت كتبُ النّحو والتّفسير هذا الموضوعَ وتجاذبتْهُ بين الرّدِّ والقَبول، ولهُ عند العلماء تعريفاتٌ عدّةٌ؛ تكاد تكون متشابهةً في مدلولها، منها ما ذكره ابنُ جنّي بقوله: «أعني بالزّائد ما دخولُه كخروجِه، نحو: لستُ بزيدٍ، وما في الدّار من أحدٍ»(30)، وكذلكَ السّيوطيّ في الأشباه والنّظائر قال: «نعني بالزّائد أن يكون دخولُه كخروجِه من غير إحداثِ معنًى»(31).

والطّاهرُ ابنُ عاشور هو واحدٌ منَ المفسّرين الذين ذكروا الزّيادةَ في الحروف؛ فالقارئُ في تفسيره يجدُ كثيرًا منَ الآياتِ الكريمةِ التي قالَ بالزّيادة فيها؛ مع تأكيدِه في كلِّ المواضع أنَّ الحرفَ المزيدَ جاءَ (للتّوكيد)؛ ومن هذه المواضع: تفسيرُه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:195]؛ إذ قالَ: "البَاءُ زَائِدَةٌ لِتَوْكِيدِ اتِّصَالِ الْفِعْلِ بِالـمَفْعُولِ كَمَا قَالُوا لِلْمُنْقَادِ "أَعْطَى بِيَدِهِ"؛ أَيْ: أَعْطَى يَدَهُ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَسْلِمَ فِي الحَرْبِ وَنَحْوِهِ يَشُدُّ بِيَدِهِ، فَزِيَادَةُ البَاءِ كَزِيَادَتِهَا فِي: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مَرْيَم: 25]»(32).

وعند تفسيرِه لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ

---

(24) ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص:327.

(25) ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص:334.

(26) ينظر: المصدر نفسه، ج8، ص:232.

(27) ينظر: المصدر نفسه، ج11، ص:240.

(28) ينظر: المصدر نفسه، ، ج11، ص:253.

(29) نريد بالزيادة هنا زيادة حروف الجر، لا الزيادة التي يشرحها علماء الصرف؛ والتي يعنون بها الزيادات التي تحدث على بنية الكلمة، والتي جُمِعَت حروفها في كلمة (سألتمونيها).

(30) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ/ 1002م)، سر صناعة الإعراب، ط1، 2م، بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ/ 2000م، ج1، ص: 136.

(31) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر(ت 911هـ/ 1505م)، الأشباه والنظائر في النحو، د.ط، 4م، (تحقيق عبد الإله نبهان)، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1407هـ/ 1987م، ج1، ص:453.

(32) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج1، ص:213.

نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس:92]؛ قال: "الْأَظْهَرُ أَنَّ الْبَاءَ مِنْ قَوْلِهِ: (بِبَدَنِكَ) مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، أَيْ تَأْكِيدِ آيَةِ إِنْجَاءِ الجَسَدِ، فَيَكُونُ قَوْلُهُ: (بَدَنِكَ) فِي مَعْنَى البَدَلِ المُطَابِقِ مِنَ الكَافِ فِي (نُنَجِّيكَ) كَزِيَادَةِ البَاءِ فِي قَوْلِ الْحَرِيرِيِّ: "فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ بِعَيْنِهِ وَمَيْنِهِ"(33).

وقالَ ابنُ عاشور بزيادة (الباء) للتّأكيد في قوله: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ [الأنعام:57](34)، وفي قوله: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:25](35)، وقال بزيادتها في (بِإِلْحادٍ) في قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:25](36)، وعند تفسيره لقوله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:31]؛ قالَ: «البَاءُ فِي قَوْلِهِ (بِخُمُرِهِنَّ) لِتَأْكِيدِ اللُّصُوقِ مُبَالَغَةً فِي إِحْكَامِ وَضْعِ الخِمَارِ على الجَيْبِ زِيَادَةً على المُبَالَغَةِ المُسْتَفَادَةِ مِنْ فِعْلِ يَضْرِبْنَ»(37)، وغيرها منَ المواضع التي قالَ بزيادة الباء فيها(38).

وعلى الرّغم من وجودِ هذا الرّأي – زيادة الحروف – بين النّحويّين والمفسّرين إلّا أنَّ مِن العلماء مَنْ لا يُفضّلُ القولَ بزيادة الحرف إذا أمكنَ القولُ بغيره؛ قالَ المُراديُّ: «المختار أنّ ما أمكن تخريجُه على غير الزّيادة، لا يُحكمُ عليه بالزّيادة، وتخريجُ كثيرٍ من هذه الشّواهد ممكنٌ على التّضمين، أو حذفِ المفعول. وقد خرّجَ عليهما قولَه تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ فقيل: لا تلقُوا مضمَّنٌ معنى: لا تفضُوا. وقيل: حذفَ المفعولَ والباءُ للسّببية، أي: لا تلقُوا أنفسَكم بسببِ أيديكم، كما تقول: لا تفسدْ حالَك برأيك....»(39).

رابعًا: منهجُ ابنِ عاشور في الجمع بين أكثرَ من وجْهٍ بلاغيٍّ في توجيه الحروف:

يُلاحظُ القارئُ في تفسير التّحرير والتّنوير أنّ ابنَ عاشور قد يتوسّعُ في توجيه هذه الحروفِ على أكثرَ من وجه، ومن ذلك:

### 1. الجمعُ بين القولِ بالتّضمين والقولِ بالتّناوُبِ:

يرى القائلون بالتّضمين أنَّ الأولى حملُ التّركيب اللّغويِّ عليه عندَ مجيء فعلٍ منَ الأفعال أو مُشتقٍّ متعَدٍّ بغير ما هو مألوفٌ في كلام العرب؛ أن يُضمَّنَ هذا الفعلُ أوِ المُشتقُّ معنى فعلٍ أو مُشتقٍّ آخرَ يُناسب حالةَ التّعديةِ الواردةِ في نظْمِ الجملة، على نحوٍ يُبقِي حرفَ الجرّ على معناه الموضوعِ له في أصل اللّغة، في حين يرى القائلون بالتّناوُبِ أنَّ الحرف المذكور في الجملةِ نابَ عن حرفٍ آخرَ يُناسبُ الفعلَ أوِ المُشتقَّ المذكورَ في التّركيب.

وبناءً على ذلك يُمكنُ القولُ بأنَّ إيقاعَ التّضمين في الجملة يُشكّلُ رأيًا بديلًا عنِ القول بالتّناوُب بين الحروفِ؛ فإذا ذهبتَ إلى التّضمين أغنَى ذلكَ عن قولك بالتّناوُب والضّدّ كذلك.

لكنَّ اللّافت للنّظر أنَّ ابنَ عاشور في بعض الأحايين كانَ يذكرُ التّضمين في الآية ثُمَّ يذكرُ إمكانيةَ حمْلِ الجملةِ على التّناوُبِ بين الحروف أيضًا بلا ترجيحٍ أو مُفاضلة، ممّا يُكوِّن توجيهَين اثنين عندهُ في التّركيب الواحد. ومنَ الأمثلة على ذلك:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف:61]، قالَ ابنُ عاشور إنَّ فعل (تَمْتَرُنَّ) تعدَّى بحرف (الباء) بسبب تضمينِه معنى (تُكَذِّبُنَّ)، أو أنَّ (الباء) بمعنى (في) الظّرفيّة (40)، ولم يُفاضل ابن عاشور بين الرّأيين.

وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون:66–67]، قالَ ابنُ عاشور إنَّ الضّمير المتّصل في (به) يمكنُ أنْ يعودَ على الآيات في قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ...﴾ [المؤمنون:66]؛ لأنّها في تأويل القرآن،

---

(33) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج5، ص:277.

(34) ينظر: المصدر نفسه، ج3، ص:266.

(35) ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص:88.

(36) ينظر: المصدر نفسه، ج7، ص:239.

(37) المصدر نفسه، ج8، ص:208.

(38) ينظر أيضًا في تفسيره للآيات الآتية: النساء:83، مريم:22، النمل:46، القصص:11، ص:33، الحجرات:16، ق: (16، 28)، الواقعة:74، الممتحنة:1.

(39) المرادي، الجنى الداني، ص:52.

(40) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج10، ص:244.

(41) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج8، ص:85، وقد ذكرَ ابن عاشور احتمالات أخرى في عود الضمير (به)، ولكنَّ المراد توضيحه هنا هي الحالة المذكورة أعلاه، والتي خرَّجَ فيها ابن عاشور التركيبَ على التناوب بين الحروفِ تارةً وعلى التّضمين

ويكونُ (مُسْتَكْبِرِينَ) بمعنى (مُعْرِضِينَ) وحرف (الباء) بمعنى (عَـنْ)، أو على الوجه الآخر: أنْ تكون الباء للتّعديةِ بتضمين (مُسْتَكْبِرِينَ) مَعْنَى (سَاخِرِينَ) والباء دالّةٌ على هذا التّضمِين(41)، ولم يُفاضلِ ابن عاشور بين الرّأيين.

**2. الجمعُ بين القولِ بالتّضمين والقولِ بنزعِ الخافض:**

ذهبَ ابنُ عاشور في بعض الآيات إلى القول بالتّضمين وذكرَ معه القولَ بنزع الخافض بوَصْفِهِ وجهًا آخرَ محتملاً في التّركيب الواحد؛ وهو ما يَعنينا في هذا المقام، ومنَ الشّواهد على ذلك:

في قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ..﴾ [فصلت:12]، قالَ ابنُ عاشور: إنَّ لفظ (أمرها) منصوبٌ على نزعِ الخافض؛ والتّقدير: أوحى في كلِّ سماءٍ بأمرها، أو أنَّه منصوبٌ على تضمين (أَوْحَــى) مَعْنَى (قَــدَّرَ أَوْ أَوْدَعَ)، ولم يُفاضلِ ابن عاشور بين الرّأيين إنّما ذكر نزعَ الخافض أوّلاً، ثُمَّ ذكرَ بعده التّضمينَ بقوله: (أو).(42)

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ أَمۡ هُمۡ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾ [الفرقان:17]، قالَ ابنُ عاشور إنَّ حقَّ فعل (ضلَّ) أنْ يُعَدَّى بِحرف (عَنْ) وَلَكِنَّهُ في هذه الآية تعدّى إلى مفعوله بنفسه؛ لتَضَمّنِه معنى (أخطؤوا)، أَوْ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ(43).

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:158]، قالَ ابنُ عاشور إنّ لفظ (خيرًا) منصوبٌ على نزع الخافض؛ والتّقدير: من تطوّعَ بخيرٍ، أو على كونه مفعولاً به بتضمين فعلِ (تطوّع) معنى (فَعَلَ أَوْ أَتَى)، ولم يُفاضل بين الرّأيين(44).

في قوله تعالى: ﴿ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ﴾ [يوسف:9]، قالَ ابن عاشور: " انْتَصَبَ أَرْضاً عَلَى تَضْمِينِ اطْرَحُوهُ مَعْنَى أَوْدِعُوهُ، أَوْ عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ، أَوْ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِالْمَفْعُولِ فِيهِ لِأَنَّ أَرْضاً اسْمُ مَكَانٍ فَلَمَّا كَانَ غَيْرَ مَحْدُودٍ وَزَادَ إِبْهَامًا بِالتَّنْكِيرِ عُومِلَ مُعَامَلَةَ أَسْمَاءِ الْجِهَاتِ، وَهَذَا أَضْعَفُ الْوُجُوهِ.»(45).

**3. الجمعُ بين القولِ بالتّضمين والقولِ بزيادةِ الأحرف:**

في بعض الآيات الكريمة كان ابنُ عاشور يُصرّحُ بأنَّ هذا الحرف زائدٌ؛ فيقولُ في تخريج التّعدية احتمالان: التّضمينُ أو كونُ الحرف زائدًا.

ومن الأمثلة على ذلك قولُه تعالى: ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمٗا﴾ [الإسراء:40]، قالَ ابنُ عاشور: "الْإِصْفَاءُ: جَعْلُ الشَّيْءِ صَفْوًا، أَيْ خَالِصًا...، وَقَوْلُهُ: (بِالبَنِينَ) الْبَاءُ فِيهِ إِمَّا مَزِيدَةٌ لِتَوْكِيدِ لُصُوقِ فِعْلِ (أَصْفَى) بِمَفْعُولِهِ. وَأَصْلُهُ: أَفَأَصْفَى لَكُمْ رَبُّكُمُ الْبَنِينَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [الْمَائِدَة:6]، أَوْ ضَمَّنَ أَصْفَى مَعْنَى آثَرَ فَتَكُونُ الباءُ لِلتَّعْدِيَةِ دَالَّةً عَلَى مَعْنَى الِاخْتِصَاصِ بِمَجْرُورِهَا، فَصَارَ (أَصفى) مَعَ مُتَعَلَّقِهِ بِمَنْزِلَةِ فِعْلَيْنِ، أَيْ قَصَرَ الْبَنِينَ عَلَيْكُمْ دُونَهُ، أي جعل لكم البَنينَ خَالِصَةً لَا يُسَاوِيكُمْ هُوَ بِأَمْثَالِهِمْ، وَجَعَلَ لِنَفْسِهِ الإِنَاثَ الَّتِي تَكْرَهُونَهَا»(46).

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا﴾ [يوسف:31]، قالَ ابنُ عاشور: «حَقُّ سَمِعَ أَنْ يُعَدَّى إِلَى الْمَسْمُوعِ بِنَفْسِهِ، فَتَعْدِيَتُهُ بِالبَاءِ هُنَا إِمَّا لِأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى أُخْبِرَتْ، كَقَوْلِ الْمَثَلِ: «تَسْمَعُ بِالْمُعَيْدِيِّ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ» أَيْ تُخْبَرُ عَنْهُ. وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ البَاءُ مَزِيدَةً لِلتَّوْكِيدِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ [الْمَائِدَة:6]»(47)، وفي حدود البحث في كُتب التّفسير لم أجد منَ المفسّرين من ضمَّن هنا قبلَه.

---

تارةً أخرى، حينَ أعادَ ضمير الهاء في (بهِ) على الآيات.

(42) قالَ ابن عاشور: "انْتَصَبَ (أَمْرَهَا) عَلَى نَزْعِ الْخَافِضِ، أَيْ بِأَمْرِهَا أَوْ عَلَى تَضْمِينِ أَوْحَى مَعْنَى قَدَّرَ أَوْ أَوْدَعَ". التّحرير والتّنوير، ج9، ص:251.

(43) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج8، ص:338.

(44) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج1، ص:64.

(45) المصدر نفسه، ج5، ص: (222–223).

(46) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج6، ص:108.

(47) ينظر: ابن عاشور، التّحرير والتّنوير، ج5، ص:261.

# المَسَافَةُ الجَمَالِيَّةُ في القِصَّةِ القُرْآنِيَّةِ



**يهتمُّ هذا البحثُ بجماليّةِ التّلقّي في القُرآن الكريم من خلال المسافةِ الجماليّةِ في القصّةِ القرآنيّةِ، وذلك لغايةِ استجْلاءِ بعضِ النّماذج والصُّورِ الجماليّةِ التي تحفلُ بجلالِ البيانِ الإلهيِّ في شتّى المواقفِ والأحداثِ، من أجلِ الكشفِ عن مواطنِ التّصويرِ الجماليِّ وأساليبِه الفنّيةِ، التي تُخاطبُ الحسَّ وتُداعبُ الخيالَ وتأسرُ الشّعورَ وتتملّكُ الوجدان، جرّاءَ تحوُّلِ المعاني الذّهنيّةِ والصُّورِ المجرّدةِ التي تُحدثُها كلمةُ البيانِ القرآنيِّ إلى لَوْحاتٍ تصويريّةٍ تشخيصيّةٍ محسوسةٍ ومتخيَّلةٍ، يسمُها الإغرابُ الآسرُ والإدهاشُ المفارقُ والتّوقُّعُ واللاّتوقُّعُ المفاجئُ، وما يحملُه من قيَمٍ فنّيةٍ جماليّةٍ من ناحيةٍ، وتدبُّرٍ وافتكارٍ وتأمُّلٍ وعِظاتٍ واستلهامِ دروسٍ وعِبَرٍ من ناحيةٍ أخرى.**



**د. عاشور توامة**
أستاذ محاضر في النقد الأدبي المعاصر

• **مَفهومُ الجماليّةِ:**

يُعدُّ مفهومُ الجماليّةِ مفهومًا واسعًا حيث إنّ الجماليّةَ لا تشيرُ إلى الجميلِ فحسْبُ أو إلى مجرّدِ الدّراسةِ الفلسفيّةِ لِما هو جميلٌ فقط؛ بل تتّجهُ إلى جملةٍ منَ المعتقداتِ حول الجمالِ ومكانتِه في الحياة عمومًا، لذلك سنقتصرُ على مفهومِ الجماليّةِ من منحَى التّوجُّهِ النّقديّ القديمِ والمعاصرِ وما يتوافقُ وذهنَ القارئِ وذوْقَ السّامعِ، وعلى هذا الأساسِ فإنَّ الجماليّةَ في هذا الشّأن النّقديِّ ستقطعُ كلَّ صلةٍ بعلمِ الجمالِ؛ لِتُحيلَ على مفهومِ الفنِّ الكلاميِّ والقولِ الجميلِ من خلال التّجاربِ الذّاتيّةِ والدّراساتِ التّأريخيّةِ للممارسةِ الجماليّةِ، التي تتأسّسُ عليها من خلالِ سَيرورةِ التّواصُلِ وعمليتَي الإنتاجِ والتّلقّي معًا لكلِّ ما هو أثرٌ فنّيٌّ جميلٌ، ولا ريبَ أنّ جمالَ الفنّ أوِ الأدبِ أوِ التّعبيرِ هو الجمالُ الفنيّ الأصيلُ والخالدُ، وهذه الخصوصيّةُ في التّعبيرِ هي سبيلُ الدّهشةِ ومنبعُ المتعةِ وقبلةُ التّأثيرِ والتّأثُّرِ.

• **مَفهومُ المسافةِ الجماليّةِ:**

تُستشفُّ المسافةُ الجماليّةُ بين أُفقِ توقُّعاتٍ ما والنّصّ الجديدِ، وتتجلّى بصورةٍ واضحةٍ في العلاقةِ بين المتلقّي

وما يحدثُه النّصّ من تأثيرٍ ومن تخييبِ الأُفقِ أو تأكيدِهِ لدَى القارئِ، ويُحدثُ التّخييبُ ''مسافةً جماليّةً/ aesthetic distance'' تفصلُ بين أفقِ الانتظارِ السّائدِ وبين الأفقِ الذي يُحدثُه القارئ، وهناك من يرى أنَّ الجماليّةَ النّاتجةَ عن قواعدَ لها أهمّيّةٌ خاصّةٌ، فلمّا نتصّورُ –مثلاً– شخصيتَين متشابهتَين الأُولى مُدرّبةٌ دون قواعدَ والثّانيةُ لها ثقافةٌ عاليةٌ وفي نفس الوقت لها معرفةٌ بالقواعدِ؛ فإنّه منَ الضّروريِّ ستظهرُ أهمّيّةُ الجماليّةِ لدى الشّخصيّةِ الثّانيةِ بصفةٍ أخَصَّ.

والأثرُ الجماليُّ يقومُ على جدليّةِ النّصّ والقارئِ وتفاعُلِهما المشتركِ، ولا ريبَ أنَّ الطّريقةَ التي يتمُّ بها ضبطُ الحِوارِ بين المتلقّي والنّصّ في نظريّةِ الاتّصال؛ تتجسّدُ في العلاقةِ القائمةِ بين التّوقُّعِ الذي هو انتظارٌ يشوبُه التّمنّي مثلَ درجةِ النّجاحِ التي يرجو المرءُ بلوغَها نتيجةَ عملٍ ما، واللاّتوقّعِ الذي هو كسْرٌ لهذا الانتظارِ وخيبةٌ تواجهُ عمليّةَ التّوقُّع .

- المسافةُ الجماليّةُ والمُفاجآتُ المركّبةُ:

تتوالَى المفاجآتُ أو خيْباتُ التّوقّعِ مركّبةً داخلَ مسارِ القَصصِ القُرآنيّ، والقصدُ منها أنَّ وعْيَ المتلقّي يَندمجُ بوعْيِ الشّخصيّات فيَشتركان في عمليّةِ الاندهاشِ والانذهالِ، وهذا الوعيُ يجعلُ المتلقّي يعيشُ الأحداثَ مع الشّخصيّاتِ، ففي معرضٍ آخرَ من قصّةِ موسى –عليه الصّلاة والسّلام– مع العبدِ الصّالحِ (الخَضر) يهيّئُ النّصُّ المتلقّيَ لحدوثِ مفاجآتٍ عبْرَ الاشتراكِ الذي اشترطه العبدُ الصّالحُ لمصاحبةِ موسى – عليه السلام – حيث قال كما ورد في الذّكْر الحكيم على لسانه: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ٧٠﴾ [الكهف: 70].

يهيّئ هذا الاشتراطُ ذهنَ الشّخصيّةِ وذهنَ المتلقّي لوقوعِ أحداثٍ غريبةٍ لكنّهما يَتصادمان بما هو أغربُ ممّا توقّعاه، لذلك يندهشُ موسى –عليه السلام– فلا يستطيعُ منْعَ نفسِه منَ الكلام لمغالاةِ الأشياء التي تحدثُ، ويستفزُّ المتلقّي وهو ينظرُ إلى الأحداثِ الغريبةِ، وهذا في قوله سبحانه وتعالى:

1 – ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١﴾ [الكهف: 71].

2 – ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ٧٤﴾ [الكهف: 74].

3– ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ٧٧﴾ [الكهف:77].

تُبرزُ هذه المراحلُ الثّلاثُ أنّ رحلةَ موسى – عليه السلام – ومصاحبتَه للرّجل الصّالح بدأتْ وانتهتْ بمُفاجآتٍ عجيبةٍ، وحتّى لحظةِ الافتراقِ وانتهاءِ القصّةِ، وهذا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾ [الكهف: 78].

حتّى هذه اللّحظةِ يجدُ المتلقّي نفسَه والشّخصيّةُ كذلك- أمامَ مفاجآتٍ متواليةٍ لا يجدُ مُسوّغًا لها، فلا يعرفُ المتلقّي من هو الذي يتصرّفُ تلك التّصرّفاتِ العجيبةَ، فلم يُنبئْه السّردُ باسمِه تكملةً للجوِّ الغامضِ الذي يحيطُ به إذِ القُوى العجيبةُ تتحكّمُ في القصّة منذ بداية نشأتِها .

وقدِ انطلقت توليفةُ هذه الأحداثِ المتتاليةِ كلِّها بأسلوبٍ واحدٍ وبصيغةٍ واحـدةٍ وهي (فانطلقا)، إذ يُوحِي التّكرارُ لفعلِ الانطلاقِ باستمراريةِ الحدثِ ومواصلةِ مصاحبَةِ موسى -عليه السّلام- لهذا الرّجلِ الغريبِ، إلّا أنَّ حادثةَ الافتراقِ تقطعُ مساراتِ هذا التّوقّع، وتعودُ بالمتلقّي إلى نقطةِ البدايةِ كما عادت بموسى -عليه السّلام- إلى النّقطةِ نفسِها.

وفي مشهدِ عـودةِ موسى -عليه السلام- من مدْينَ إلى مصرَ عبْرَ طورِ سيناء لا يَستشفُّ موسى -عليه السّلام- ولا المتلقّي أيّةَ علاماتٍ إلى حادثةٍ غريبةٍ قد تحصلُ كما استشفّاه في التّجربةِ السّابقةِ مع العبْدِ الصّالح، وقد جاءَ هذا في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ۝٣١﴾ [القصص: 30-31]

فسيّدُنا موسى -عليه السّلام- توقّعَ أن تكون النّارُ نارًا طبيعيّةً ليأتي منها بجذوةٍ لأهلِه، وبمجرّدِ الوصولِ إليها يجدُ نفسَه أمامَ أمرٍ جللٍ خلخلَ توقُّعاته وتوقُّعاتِ المتلقّي، لذلك لم يمتلك نفسَه أمامَ الأمرِ العجيبِ نداءِ الباري عزّ وجلّ سبحانه وتعالى عمّا يَصفون أوّلًا، ثمّ تحوّلِ العصا إلى أفعى ممّا جعلَه يفرُّ هاربًا، وإمعانًا في المفاجأة يرصدُ النّصُّ ذهولَ موسى – عليه السّلام – وعدمَ معرفةِ مصدرِ النّداء بدلالةِ الفعل المبنيِّ للمجهول (نُودي).

> ”
> **سيّدُنا موسى -عليه السّلام- توقّع أن تكون النّارُ نارًا طبيعيّةً ليأتي منها بجذوةٍ لأهله، وبمجرّدِ الوصولِ إليها يجدُ نفسَه أمامَ أمرٍ جللٍ خلخلَ توقُّعاتِه وتوقُّعاتِ المتلقّي، لذلك لم يمتلك نفسَه أمامَ الأمرِ العجيبِ: نداءِ الباري عزّ وجلّ سبحانه وتعالى عمّا يَصفون.**

ومن صُورِ مظاهرِ المفاجآتِ المركّبةِ تعلقُ مفاجأةُ المتلقّي بالمفاجأةِ النّصّيّةِ السّياقيّةِ الحاصلةِ على الشّخصيّاتِ، وهذا ما يُسمّى في نظريّةِ التّلقّي والتّوصيلِ بـ (انصهارُ الآفاق)، ويُقصد به مواجهةُ أفقِ التّوقّعِ الذي يفترضُه العملُ وأُفقُ التّجربةِ الذي يُكملُه المتلقّي وانصهارُهما ليكون فهمُ العمل على أحسنِ صورةٍ ، ففي قصّةِ يوسفَ- عليه السّلام – وفي مشهدِ استضافةِ امرأةِ العزيزِ للنّسوةِ، قال الله سبحانه عزّ وجلّ :﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ۝٣١﴾ [يوسف: 31].

اندهشتِ النّسوةُ وتعجّبنَ وقطّعنَ أيديَهن نتيجةَ الانبهارِ أمامَ جَمالِ يوسف -عليه الـسّلام- وحُسنِه، والمتلقّي يتعجّبُ ويُصابُ بالاندهاشِ والإغرابِ بسببِ الانبهارِ والانذهالِ الذي أصاب النّسوةَ حتى وصلَ بهن الأمرُ إلى حدِّ الاندماجِ في روعةِ جمالِ وحسنِ يوسف – عليه السلام – ونسيانِ ذاتهنّ في تلك اللّحظة، فالحادثةُ حادثةٌ عاديةٌ وإن كان جمالُ الفتى غيرَ اعتياديٍّ، إلّا أنّ الذي حوّلَها إلى حادثةٍ مُدهشةٍ غريبةٍ لدى المتلقّي هو حالةُ الانبهارِ وقطْعِ الأيادي لدى النّسوة .

وقد يتوقّفُ الذّهولُ وخيبةُ التّوقُّعِ على الشّخصيّاتِ فقط، والمتلقّي ينظرُ إلى الأحداثِ من خلال زاويةِ نظرٍ محدّدةٍ من قِبَل السّاردِ، كما تجدُ هذا النّوعَ في قصّة أصحابِ الجنّة، فقد صِيغتِ القصّةُ وَفْق مبنًى فنّيٍّ يعتمدُ كسْرَ أُفقِ توقّعِ الإخوةِ الثّلاثةِ ، ويتجلّى هذا في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ

# نظراتٌ في البيانِ القرآنيّ

﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم: 17-32].

تسردُ هذه الآياتُ الكريماتُ قصّةَ الإخوةِ الثّلاثةِ الذين اتّفقوا على أن يَقطفُوا ثمارَ حديقتِهم في الصّباحِ دون أن يمنحُوا المساكينَ والفقراءَ منها شيئًا، غيرَ أنّهم عادُوا إلى رُشدِهم بعدما تبيّنَ لهم ضيْمُهم لأنفسِهم، ولعلَّ المفارقةَ المفاجئةَ لهم تحدثُ عندما يَعتقدون أنّ الجنّةَ المحترقةَ ليست جنّتَهم؛ لكنْ سُرعان ما يتيقّنون أنّها جنّتُهم ذاتُها، التي قـرّروا حرمانَ نصيبِ الفُقراءِ والمُعوَزين من ثمارِها فيَشعرون أنّهم المحرومون لا المساكين ذوي الفاقةِ والمسْغبةِ، وأنَّ الجنّةَ ليست ملكًا لهم كما ظنُّوا بل هي لله سبحانه عزَّ ملكُه وجلّت قُدرتُه، وأنَّ للفقراء نصيبًا وحقًّا كحقِّهم فيها، وبـهذه المفارقةِ الحكيمةِ تكون قد وصلتْ إليهم رسالةُ الله، لذلك ندمـُوا فتابُوا ورجعُوا إلى جادّةِ طريق الحقِّ والصّوابِ.

ولاريبَ أنَّ القصّةَ القرآنيّةَ تُمثّلُ إحدَى طرائقِ الأداءِ الفنّيّ في القرآنِ الكريم، فهي تعتمدُ مفاجآتٍ مُشوّقةً ومُذهلةً وخيْباتٍ صارخةً لأفقِ توقُّعاتِ الشّخصيّاتِ الثّلاث، كما أنَّ فيها سُخريّةً بالكيدِ البشريِّ العاجزِ أمامَ تدبيرِ الله ومقتضَى حكمتِه، وفيها حيويّةٌ في العرضِ حتى لكأنَّ المتلقّي يشهدُ القصّةَ حيّةً حين تقعُ أحداثُها أمامَه وتتوالى، وقد جعل السّردُ القرآني من هذه الطّريقةِ في العرضِ سبيلاً لخلْقِ الوعْي لدى المتلقِّي، بحيث يجعلُ من هذا الوعْيِ منطلقًا لخلْقِ التّوازُنِ في الممارساتِ اليوميّةِ تُجاهَ ذاتِه وتُجاهَ الآخرين ممّا يجعلُه في حالةِ توافُقٍ بين مفهومَي الأخذِ والعطاءِ/ السّماءِ والأرضِ/ الأغنياءِ والفقراءِ/ مثلما حدثَ للشّخصيّاتِ الثّلاث التي خرجت بتجربةٍ إيجابيّةٍ من حالةِ الخيبةِ التي حصلتْ لها، فانتهت إلى القولِ في الذكر الحكيم: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم: 31-32]، ذلك لأنَّ (خيبةُ التّوقّع) تُعدُّ عاملَ التّقدّمِ الأهمِّ في العلمِ كما في التّجربةِ الحياتيّةِ، إنّها تُشبهُ تجربةَ رجلٍ أعمَى لا يحسُّ بوجودِ عائقٍ في طريقِه إلّا حين يصطدمُ به، لذلك نحن لا ندخلُ حقيقةً في علاقةٍ مع (الواقع) إلّا حينَ نلاحظُ أنَّ فرضياتِنا كانت خاطئةً بحيث يكونُ دحْضُ أخطائنا هو التّجربةَ الإيجابيّةَ التي نَستخلِصُها منَ الواقعِ المَعيشِ.


**المصادر والمراجع**

• ر. ف. جونسون، الجمالية، موسوعة المصطلح النقدي، تح. عبد الواحد لؤلؤة، وزارة الثقافة والفنون، العراق، بغداد، 1978م.

• هانس روبيرت ياوس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر. رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2004م.

• حلمي مرزوق، النقد والدراسة الأدبية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1982م.

• فاطمة البريكي، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار الشروق، عمّان، الأردن، 2006م.

• Jean François, Goubet, Gérard Raulet, Aux sources de l'esthétique : Les débuts de l'esthétique philosophique en Allemagne, Edition de la Maison des Sciences de l'Homme, Paris, 2005.

• عبد المجيد سالمي وآخرون، معجم مصطلحات علم النفس، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1989م.

• سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، طبعات متعددة.

• يادكار لطيف الشهرزوري، جماليات التلقي في السرد القرآني، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2010م.

• رنا أحمد عبد الحليم، جماليات المفارقة في القصص القرآني، مطبعة حلاوة النموذجية، وزارة الثقافة، عمّان، الأردن، 2014م.

• سامي إسماعيل، جماليات التلقي: دراسة في نظرية التلقي عند روبرت ياوس وفولفجانج إيزر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2002

# الوَظيفَةُ الدَّلاليَّةُ لِلْفاصِلَةِ القُـرْآنِيَّة، قـراءَةٌ تارِيخِيَّــةٌ نَقْــدِيَّةٌ



د. إلهام مبروك
دكتوراه الفلسفة في التفسير وعلوم القرآن

**جاءت الفاصلة في البيان الأعلى لرعاية الرونق اللَّفظيِّ، وائتلاف الجرس الصوتيِّ كما أتت لمقتضيات معنوية على نحوٍ تتقاصر دونه بلاغة البلغاء، غير أن كثيرا من علماء التفسير قَصَرُوا درس الفاصلة على المناسبة اللفظية لها، وتكرر لديهم التعليل بمراعاة الفاصلة في حين نهضت همم آخرين للغوص في أعماق التعبير القرآنيِّ فالتمسوا لمقاطع الآي أسبابا تَمُتُّ إلى البلاغة بنسبٍ وإلى الحكمة بسببٍ، وذكروا لها مناسباتٍ بحسب ما هداهم إليه تأملهم. ويأتي هذا المقال ليسلط الضوءعلى الوظيفة الدلالية للفاصلة، ويرصد التطور التاريخي في بحثها كما يقدم للقارئ أمثلة لفواصل البيان المجيد استرعت نظر العلماء لمجيئها على نسق خاص، فاستكشفوا دلالتها وقدموا بذلك نكتا بلاغية وأسرارًا بيانية تنتصب برهانا على إعجازه القرآنيِّ .**

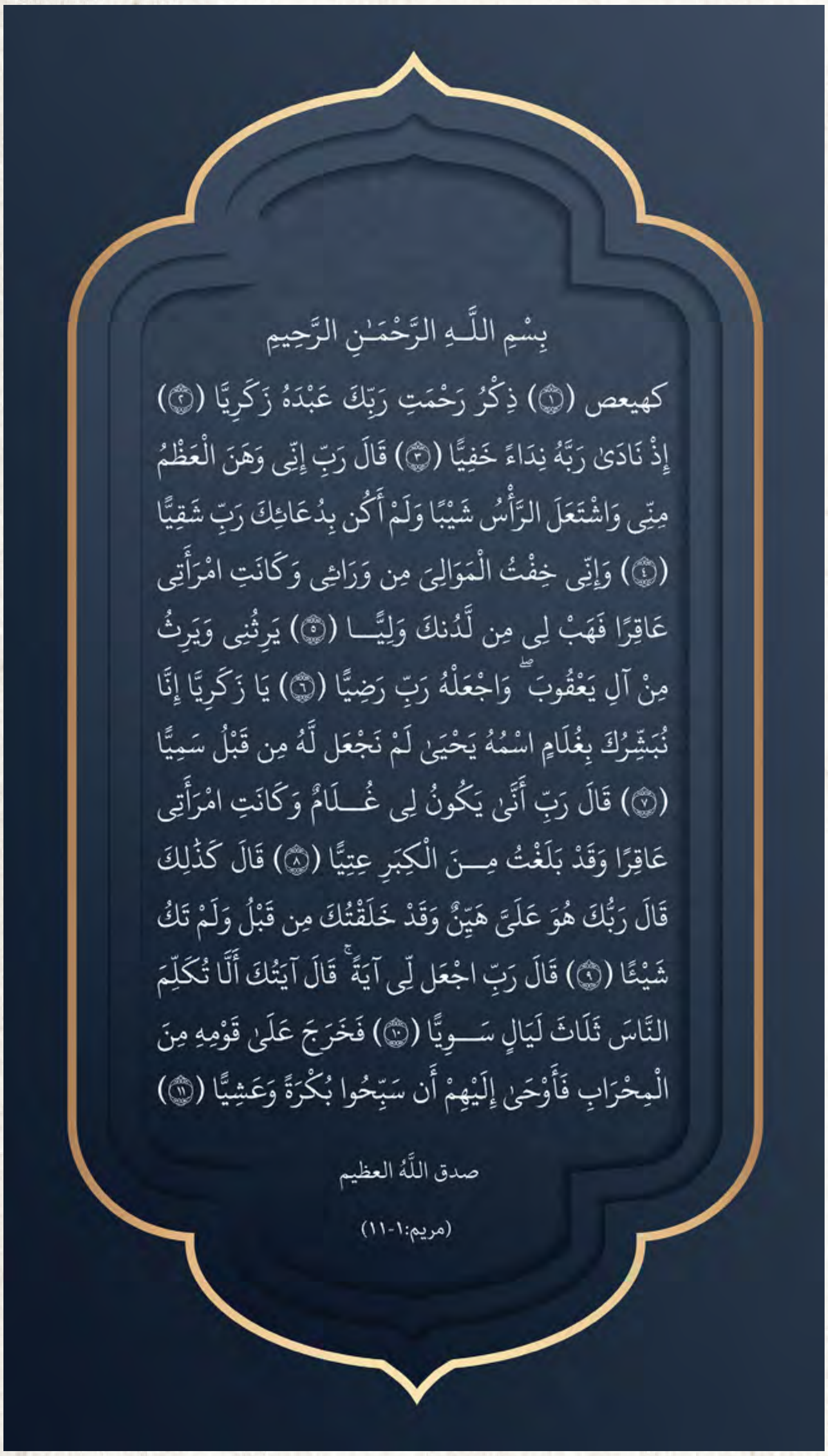
شهد بحث الفاصلة القرآنية(1) في أدبيات التفسير تطورا واسعا على مرِّ العصور، متأثرا في بداياته بالجدل في مسألة السجع وإمكان وقوعه في القرآن الكريم حيث ألقى هذا الجدل بظلاله على تَطْبِيقات القرآن وتعليلات الفاصلة منذ عهد الدراسات القرآنية الأولى؛ فحمل الفرَّاء (ت207هـ) كثيرا من الفواصل اللغوية على المشاكلة اللفظية بين رؤوس الآي، تعليلا لإيثار نسق على آخر، أو العدول عن لفظ إلى غيره في معناه، دون الإشارة إلى مناسبة معنوية مستحضرا مذهب المثبتين للسجع وأنه أسلوب عربيٌّ سائغ.

ومع ازدهار الحركة العلمية والأدبية في القرنين الثالث والرابع الهجريَّيْنِ أخذت اللغة العربية حظًا وافرًا من الاهتمام، فانبرى لها العلماء يؤلفون في فنونها المختلفة.

وبدأ التنظير للكتابة الفنية شعرا ونثرا صيانة للعربية عن اللحن، والخروج على سنن فصحائها من العرب أو تمكينا للمتأدبين من استعمال اللغة العربية استعمالا صحيحا، وكان من تلك الفنون التي لقيت اهتماما، وحظيت بالتأليف الواسع (علم البديع) الذي أُسِّسَ على يد ابن المعتز( 296هـ ) ثم استكمل مباحثه، وأوضـح معالمه قدامة بن جعفر(ت337هـ).

وفي سياق التنظير لعلم البديع تناول علماء البلاغة نصوص الشعر بالتحليل، وعُنوا بقافية الشعر وسجعة النثر، وبدأ الاهتمام بمناسباتها المعنوية إضافة إلى

**شهد بحث الفاصلة القرآنية في أدبيات التفسير تطورًا واسعًا على مرِّ العصور، متأثّرًا في بداياته بالجدل في مسألة السجع وإمكان وقوعه في القرآن الكريم حيث ألقى هذا الجدل بظلاله على تَطْبيقات القرآن وتعليلات الفاصلة منذ عهد الدراسات القرآنية الأولى.**




مناسبات الوزن؛ فعقد قدامة بن جعفر في كتابه (نقد الشعر) بابا أسماه (نعت ائتلاف القافية)؛ وهو أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلُّقَ نظمٍ لَهُ، وملائمةً لِمَا مَرَّ فيهِ(2) وأضافها إلى مناسبات البديع الأخرى كالتوشيح والإيغال؛ وهي مناسبات معنوية للقافية(3)، حَيْثُ وَصَّفَ علماء البلاغة -من خلالها-

**العلاقة بين الفواصل اللفظية وما تقدمها من سائر الكلام**

ومثلوا لها بشواهد من عيون شعر العرب للدلالة على أن المعاني كانت في نفوس الناس قديما، وأن البليغ منهم لا يأتي باللفظ إلا مقتضيًا لمعنى في نفس الشاعر فجاءت المعاني في أشعارهم تامة مستوفاة لم تضطر بإقامة الوزن إلى نقصها عن الواجب أو الزيادة فيها عليه(4)، وما لم يستوف المعنى من شعرهم نزل عن رتبة البلاغة وانتُقد على صاحبه(5). ومع اتساع الدراسات البلاغية نقل ابن أبي الإصبع المصريّ (ت654هـ) تِلْكُمُ المناسباتِ البديعيَّةَ إلى القرآن الكريم، فقدم لها نماذج من البيان الأعلى في كتابه (بديع القرآن المجيد)، في باب

كامل نعته بـ(ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام) دلَّل من خلاله على الملاءمة بين الفاصلة وما تقدمها، وذكر لها مقتضيات لفظية ومعنوية كثيرة زائدا على ما ذكره ابن المعتز، وقدامة، وذلك بحسب ما انتهى إليه علم البديع في عصره.

فكان هذا العمل لبنة في بناء الوظيفة الدلاليَّة للفاصلة على طريقة أهل البديع؛ وبذلك تجاوز البحث مسألة السجع في القرآن من حيث إمكانُه أو عدمُه حسب ما تداوله أهل الكلام، وانتقل إلى الدرس التطبيقي فبُحثت دلالة رأس الآية بالنظر إلى بلاغتها وملاءمتها لما تقدم مهما كانت فاصلة أو سجعة وفق تداول أهل اللغة.

أما أهل التفسير فقد عُنُوا ضرورة ببيان دلالة الفاصلة في سياق بيان معاني الكتاب العزيز، وقدموا بدورهم تطبيقات للعلاقات التي ذُكرت في كتب البديع وفي كتب المعاني أيضا؛ فوجدت عبارات تعلِّل مخالفة الفاصلة لمقتضى النظم ومألوف الكلام كقولهم في التقديم والتأخير الواقع في رأس الآية إنه للاختصاص، وللعدول من صيغة إلى أخرى أو لتغيير في بنية الفاصلة ذكروا تعليلات اقتضاها السياق، وقدموا بذلك نماذج رائعة لإعجاز القرآن البيانيِّ.

وعلى رأس هؤلاء المفسرين الإمام الزمخشريّ(ت583هـ)، والفخر الرازيّ(ت606هـ) وكذا أبو حيان الأندلسي(ت745هـ)، وزادوا على عمل البلاغيين الذين اقتصروا على دراسة الفاصلة في سياق نصِّ الآية فأعملوا سياقات أخرى كسبب النزول، ووظفوا النظائر والأشباه لاستكناه دلالة الفاصلة، ورعوا لذلك مقاصد السورة وموضوعها.



عائشة بنت الشاطئ

وانتظم في سلك التدليل على الإعجاز البياني لفيف من العلماء المعاصرين كالآلوسيّ (ت1342هـ) وابن عاشور(ت1393هـ) فأدلوا بدلوهم، وبدورهم كشفوا في تفسيرهم عن دلالات الفاصلة إما تعزيزا لكلام سلفهم من المحررين في التفسير مع حسن عبارة وتوسع في العرض، أو إضافة لدلالات جديدة هداهم إليها التدبر في آي الذكر الحكيم، وكان لكل مفسر منحى في توجيه دلالة الفاصلة تبعا للعلم الذي برع فيه أو الصنعة التي تأثر بها.

ولم تزل العناية بالفاصلة تزداد وتتطور على مرِّ العصور حتى اتسع نطاق بحثها عند المعاصرين ليتناول كما أسلفت سياقات متعددة، وأصبحت عبارة (رعاية الفاصلة) غير مقنعة للباحث المعاصر بل غدت مستفزة فضوله للبحث عن وجه إعجازها، ومكمن بلاغتها.

وإلى القارئ الكريم بعض الأمثلة التي تعكس التطور في بحث الفاصلة ومسالك تعليل النظم، مرتبة وَفْقَ سياقٍ تاريخيٍّ، مع تعقب للتعليلات البعيدة استنادا إلى اجتهادات الباحثين قديما وحديثا.

**العناية بتعليل الفاصلة من خلال النماذج المتداولة في كتب العلماء:**

**أ - قضية الحذف لرعاية الفواصل:**

**1 -** حذف كاف الخطاب من سورة الضحى:

قال تعالى:﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى:1-3]

ذهب الفراء(6) إلى أن القرآن جرى فيها على طرح كاف الخطاب من: قلاك، اكتفاء بالكاف الأولى في (ودعك) ولمشاكلة رؤوس الآيات، وعدّ الفخر الرازي(7) من

(1) المقصود بالفاصلة القرآنية آخر الآية. الراغب الأصفهاني ، المفردات، ص 638

(2) قدامة بن جعفر، أبو الفرج، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، ط1ـ1302هـ، ص 62ـ وسماها من بعده بالتمكين على ما ذكره ابن أبي الإصبع ( 654هـ) في (بديع القرآن المجيد)، ص 89ـ

(3) التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال هي المناسبات التي انتهى إليها ابن المعتز وقدامة بن جعفر وهي التي تتعلق بالفاصلة تعلقا مباشرا على ما ذكره ابن أبي الإصبع وقد أضاف إليها هذا الأخير مناسبات بالغة في الأناقة تنظر في كتابه (بديع القرآن)ـ

(4)ينظر باب (نعت ائتلاف المعنى والوزن)، نقد الشعر، ص62 وفيه تحرير بديع عنْ قضية الضرورة الشعريةـ

والمتأمل في تلك العلاقات يستنتج أنها علاقات عقلية هي من مقتضيات البلاغة ومراعاة البيان للمقام ومقتضى الحال، ولأن




وجوه حذف الكاف رعاية الفاصلة، ومثلُه النيسابوريّ(ت850هـ)، وممن نحا نحوهم من المعاصرين ابن عاشور(ت1393هـ) حيث لم يزد على تأكيد ملحظ الإيجاز في ذلك الحذف(8) ثم ظهر نقد جديد لهذا المنحى حيث اعترضت الدكتورة عائشة بنت الشاطئ (ت1419هـ) تلك التحليلات ونفت أن يتعلق البيان القرآنيّ بهذا الملحظ اللفظيّ فحسب، فقد عدل عن رعاية الفاصلة في الآيات بعدها: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ وليس في السورة كلها «ثاءٌ فاصلة بل ليس فيها حرف ثاء، على الإطلاق، وعلى مذهبهم، كانت الفواصل تُرعى بمثل لفظ: فخَبِّرْ، لمشاكلة رؤوس الآيات بالعدول إلى هذا اللفظ، عن: «فحدِّثْ».

ورأت أن حذف كاف من: «وما قلى» مع دلالة السياق عليها، تقتضيه حساسيَّة مرهفة بالغة الدقة واللطف، هي ما تحاشى خطابه رسوله المصطفى صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ، في موقف الإيناس، بصريح القول: وما قلاك لما في القلى من حسِّ الطرد والإبعاد وشدة البغض، وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحسَّ اللغويَّ فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل البقاء.

وحُذفت كاف الخطاب في الفواصل بعدها، لأن السياق بعد ذلك أغنى عنها؛ ومتى أعطى السياق الدلالة المرادة مستغنياً عن الكاف، فإن ذكرها يكون من الفضول والحشو المنزه عنهما أعلى بيان(9).

2 – حذف الياء من سورة الفجر:

قال تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ ۝٩ وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر: 1–10].

صرح الفراء(10) بأن ياء العلة حذفت من: يسرِ (ي) لمشاكلة رؤوس الآيات، وكذلك ابن سنان الخفاجي(466هـ) (11) ذهب إلى حذفها وحذف ياء المنقوص من بالوادِ (ي) قصداً إلى تماثل الفواصل؛ لأن القاعدة عندهم إثبات ياء العلة في الفعل المضارع المرفوع، وإثبات ياء الاسم المنقوص مجروراً ومرفوعاً، إذا اقترن بـ: ال، أو أضيف.

ولم يجد هذا التعليل إنكارا من نفاة السجع أنفسهم كابن قتيبة ( ت276هـ) رغم تحفُّظه الشديد على تعليل مسالك

---

النظم المجيد هو أفصح الكلام وأعلاه طبقة في البلاغة ارتأى ابن أبي الإصبع أن يقدم شواهد القرآن على شواهد الشعر لتكون نماذج رائقة عالية للبلاغة، وربما احتاج إلى ذكر بعض الشواهد الشعرية لضرورة الإيضاح

(5) هذا ما قرره قدامة بن جعفر في (نقد الشعر)، ص62

(6) الفراء، معاني القرآن،3/274

(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير ، 30/ 397– 398

(9) د. عائشة بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الأزرق، ص 268

(10) الفراء، معاني القرآن، 3/260

(11) الخفاجي، سر الفصاحة، ص173

(12)تقدم رد ابن قتيبة على الفراء في مسألة رعاية الفاصلة- ص 71-72

(13)الزمخشري، الكشاف،4/747

النظم بمشاكلة رؤوس الآي(12) فقد رأى هذا القول سائغا لأنه لا يغير المعنى ولا يحيله مع موافقته أسلوب العرب في صياغتهم لقوافي الشعر.

ونبه الزمخشريّ(ت538هـ) إلى القاعدة اللغوية في حذف الياء واكتفى بها في تعليل الفاصلة فقال:

"وياء يَسْرِ تحذف في الدرج، اكتفاء عنها بالكسرة. وأما في الوقف فتحذف مع الكسرة"(13).

إلا أن د. بنت الشاطئ رأت أن القول بالحذف لرعاية الفواصل في هذه السورة وفي نظائرها ضرب من التعجل، واحتكام مجرد إلى قواعد اللغويين والنحاة في المعتل الآخر والمنقوص دون استقراء لكل مواضع الحذف والإثبات في الكتاب المحكم. وقد قامت بتتبع بعض تلكم المواضع لتخلص إلى القول بأن القرآن الكريم لم يقتصر على حذفهما هنا في مقاطع الآيـات، ليسلم لهم القولُ بأن الحذف قصد إلى رعاية الفواصل وتماثل رءوس الآيات، وإنما حذفت ياء المضارع المرفوع المعتل الآخر، وواوه أيضاً، وياء منقوص مضافاً ومعرفاً بأل، في أواسط الجمل ودرج الكلام؛ وقد عقد الإمام "أبو عمرو الداني" بابا في ذكر أصول القراء الأئمة، في الياءات المحذوفة من الرسم ومنها في غير الفواصل: [هود: 105] ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا

**رأت د. بنت الشاطئ أن القول بالحذف لرعاية الفواصل في هذه السّورة وفي نظائرها ضرب من التّعجّل، واحتكام مجرد إلى قواعد اللغويين والنّحاة في المعتل الآخر والمنقوص دون استقراء لكل مواضع الحذف والإثبات في الكتاب المحكم.**

بِإِذْنِهِۦ﴾، [الإسراء: 11] ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾، القمر 6: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ ، [القمر:8]﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾،[ق:41] ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾، [النازعات: 15 - 16] ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾، ومعها: القصص 30، طه 12، النمل 18: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، [الروم: 53] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾، [البقرة: 186] ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى﴾، [الصافات: 163] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ،[الرحمن: 24] ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ ، [التكوير: 15-16] ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾(14).

ويتأيَّد كلام الدكتورة الفاضلة بورود قراءات أثبت فيها الياء كقراءة ابن كثير ويعقوب؛ قال ابن الجزري(833 هـ):

"(وَمِنَ الزَّوَائِدِ(15)أَرْبَعُ يَاءَاتٍ) يَسْرِ أَثْبَتَهَا وَصْلاً الْمَدَنِيَّانِ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَفِي الْحَالَيْنِ يَعْقُوبُ وَابْنُ كَثِيرٍ. بِالْوَادِ أَثْبَتَهَا وَصْلاً وَرْشٌ، وَفِي الْحَالَيْنِ يَعْقُوبُ وَابْنُ كَثِيرٍ بِخِلَافٍ عَنْ قُنْبُلٍ فِي الْوَقْفِ كَمَا تَقَدَّمَ. أَكْرَمَنِ وَأَهَانَنِ أَثْبَتَهُمَا وَصْلاً الْمَدَنِيَّانِ، وَأَبُو عَمْرٍو وَبِخِلَافٍ عَنْهُ عَلَى مَا ذُكِرَ فِي بَابِ الزَّوَائِدِ، وَفِي الْحَالَيْنِ يَعْقُوبُ وَالْبَزِّيُّ"(16).

وبورود قراءات مثبتة للياء في حالي الوصل والوقف مما يؤكد وجود قيم معنوية وراء الحذف مقابل الإثبات وأن رعاية النسق الصوتيّ ليس غرضًا وحيدًا للحذف.

وبالنظر إلى عدد المواضع التي حذفت

(14)بنت الشاطئ، الإعجاز البياني، ص 270 .

(15) وَهِيَ الزَّوَائِدُ عَلَى الرَّسْمِ تَأْتِي فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمِ. كما في النشر في القراءات العشر 2/ 179

(16) ابن الجزري، محمد بن محمد، أبو الخير، شمس الدين، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع ، المطبعة التجارية الكبرى (تصوير دار الكتاب العلمية)،2/400-401

(17) ينظر تفاصيل هذه الياءات وأمثلتها: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/ 181

(18) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر،2/180

(19) وقد تقدم كلام الفراء في مسألة الحذف وتعقب ابن قتيبة له حيث لَمْ يقر من جواز الحذف في القرآن إلا ما لا ينقص المعنى كما في الموضع المذكور في المثال، ينظر: ص 71-72

فيها الياء في فواصل القرآن الكريم خاصة نجدها تقارب ستَّةً وثمانين موضعا "مِنْهَا خَمْسٌ أَصْلِيَّةٌ، وَهِيَ (الْمُتَعَالِ) فِي الرَّعْدِ وَ(التَّلَاقِ)، وَ(التَّنَادِ) فِي غَافِرٍ وَ(يَسْرِ)، وَ(بِالْوَادِ) فِي الْفَجْرِ. وَالْبَاقِي، وَهُوَ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ الْيَاءُ فِيهِ لِلْمُتَكَلِّمِ، وَهِيَ ثَلَاثٌ فِي الْبَقَرَةِ فَارْهَبُونِ، فَاتَّقُونِ، وَلَا تَكْفُرُونِ، وَفِي آلِ عِمْرَانَ وَأَطِيعُونِ، وَفِي الْأَعْرَافِ فَلَا تُنْظِرُونِ، وَفِي يُونُسَ مِثْلُهَا. وَفِي هُودٍ ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ، وَفِي يُوسُفَ ثَلَاثٌ: فَأَرْسِلُونِ، وَلَا تَقْرَبُونِ، وَلَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ، وَفِي الرَّعْدِ ثَلَاثٌ: مَتَابِ، وَعِقَابِ، وَمَآبِ، وَفِي إِبْرَاهِيمَ ثِنْتَانِ وَعِيدِ، وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ، وَفِي الْحِجْرِ ثِنْتَانِ فَلَا تَفْضَحُونِ، وَلَا تُخْزُونِ، وَفِي النَّحْلِ ثِنْتَانِ فَاتَّقُونِ، فَارْهَبُونِ، وفي الرعد: 9 (المتعالِ)، وفي غافر: 15 (التَّلاقِ)، وفي غافر: 32 (التَّنادِ)"(17).

وهو عدد يستدعي رعاية الباحثين للوقوف على المناسبات المعنوية لها حيث إن المتتبع لتعليلات الحذف في كتب التفسير لا يجد ما يشبع فضوله إذ ينتهي إلى أنها تدور عَلى أمرين اثنين:

1 - بسبب وقوع هذه الياءات في الفواصل.

2 - بسبب الاكتفاء عن هذه الآيات بالكسرة.

وهذا ما نجده في كتب عدد كبير من المفسرين كالزمخشريّ، والرازيّ، وأبي حيان، وأبي السعود ( ت982هـ)، والصاوي (ت1241هـ)، والآلوسيّ، وابن عاشور وغيرهم.

**قد قدح وقوف البقاعيِّ عند أسرار الحذف في الفاصلة شرارة الاجتهاد لدى الباحث المعاصر، فخرج عدد من الدارسين بتعليلات جديدة صدرت عن تأمل وتدبر لعدد من الفواصل ممّا جاء على نمط الحذف.**

أما كتب القراءات(18) فذهبت إلى تحديد علة حذف الياء بأحد أمرين:

1 - أن حذف الياء جرى على لغة مشهورة عند العرب فقد كانوا يحذفون بعض الحروف في مثل تلك المواضع(19).

2 - أن الحذف راجع إلى الرسم حيث لم ترد مكتوبة في خط المصحف الإمام.

ولعل الإمام البقاعيَّ (885هـ) تفرد بتخريج عدد من تلك المواضع تخريجًا معنويًّا، وعددها سبعة في كتابه (نظم الدرر) وتبع المفسرين في بقيتها(20)؛ فاقترح مثلا في فاصلة (يسر) من سورة الفجر تعليلا معنويًّا استنتجه من الموازنة بين قراءة الحذف وقراءة الإثبات(21)، وذهب إلى أن الساري ليلة النفر بَيْنَ مجاورٍ وراجعٍ إلى بلاده، فأشير إلى المجاورين بالحذف تخفيفا وحثًّا لهم على السير حتى لا يستطيلوا ليله ولا يهابوا جلالة المسالك، وإلى الراجعين بالإثبات إذ سرى الليل بحذافيره عنهم و آبوا راجعين إلى ديارهم فيما انكشف من نهارهم، وأما من جهة ما وقع فيه السرى فللإشارة إلى طوله تارة وقصره أخرى، فالحذف إشارة إلى القصير والإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع من تمام سراه وماوقع للسارين فيه من قيام وصف الأقدام بين يدي الملك العلام"(22).

وقد قدح وقوف البقاعيِّ عند أسرار الحذف في الفاصلة شرارة الاجتهاد لدى الباحث المعاصر، فخرج عدد من الدارسين بتعليلات جديدة صدرت عن تأمل وتدبر لعدد من الفواصل مما جاء على نمط الحذف نذكر منها:

1 - قوله تعالى على لسان صاحب يوسف:﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف:45]

قال الدكتور جمال محمود أبو حسان: "حذف الياء لعله إشارة إلى تطلب سرعة إنفاذه، مع تلهفه للقاء يوسف عليه السلام كي لا يسبقه إليه سابق- وجزمه بالحصول على جواب يقطع تنازعهم في هذه الرؤيا"(23).

---

(20) انظر تلك المواضع مجتمعة مع تعقيبات عليها- د- أبو حسان، جمال محمود، الدلالة المعنوية للفواصل القرآنية، دار الفتح للدراسات والنشر، ط1، 1431هـ2010-م، ص 198-2011

(21) قال ابن الجزري: «لَيْسَ إِثْبَاتُ هَذِهِ الْيَاءَاتِ فِي الْحَالَيْنِ، أَوْ فِي حَالَةِ الْوَصْلِ مِمَّا يُعَدُّ مُخَالِفًا لِلرَّسْمِ خِلَافًا يَدْخُلُ بِهِ فِي حُكْمِ الشُّذُوذِ لِمَا بَيَّنَّاهُ فِي الرُّكْنِ الرَّسْمِيِّ، أَوَّلَ الْكِتَابِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ" ابن الجزري، النشر في القراءات العشر،2/194.

(22) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،22/24

(23) د-جمال محمد أبو حسان، الدلائل المعنوية في الفاصلة القرآنية، ص201

(24) الدبل، محمد سعيد، النظم القرآني في سورة الرعد، دار النصر، مصر، 1981م ، ص88

2 – قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد:11]

قال سعيد الدبل: "وانظر لم خطفت الياء من لفظة (وال)،فليس ذلك لمجرد تناسق الفاصلة، وإنما في ذلك تعبير عن إنزال العذاب وسرعته وعدم القدرة على رده والإفلات منه"(24).

لكن هذه التخريجات يعكِّر عليها عدم استيعاب أصحابها لوجوه القراءة؛(25) فمع التسليم بأن الفاصلة مبناها على الوقف إلا أننا نجد من القراء من أثبت الياء في حال الوقف فقد قرأ يعقوب بن إسحاق الحضرميّ (فأرسلون) بإثبات الياء في حال الوصل والوقف، وقرأ الباقون بحذفها في الحالين.

أما لفظة (وال) فقد قرأها ابن كثير بالتنوين وصلًا، ووقف بياء مدية، وقرأها باقي الــرواة بالتنوين وصلاً، ووقفوا بالسكون.

وإغفال الــقــراءات الأخــرى موجب للاعتراض على ما ذهبوا إليه؛ وقد تنبه لذلك الإمام البقاعيُّ فدرأ الإيراد عليه، ووجه الفاصلة بعد أن استوعب القراءات الواردة موازنًا بين قراءة الحذف وقراءة الإثبات في أغلب الأمثلة التي ساقها فكان تعليله أسعد بالمنهجية العلمية، وأوفق لأصول البحث مهما كان حظها من النظر.

**ب – قضية رعاية القرآن للفاصلة في اختيار اللفظ**

**1 – إِيثَارُ أَغْرَبِ اللَّفْظَتَيْنِ نَحْوَ:﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ وَلَم يَقُلْ "جَائِرَةٌ" لِمُرَاعَاةِ فَوَاصِلِ السُورَةِ.**

جاء مثال هذه الفاصلة في تطبيقات ابن الصائغ (ت720هـ) التي نقلها عنه السيوطي، وتُــدُوولَ تعليلها بأنها لمشاكلة رؤوس الآي إلَّا أنَّ محمد صادق الرافعي(ت1356هـ) استطاع أن يُلمح إلى نكتة فيها بديعة فوظف غرابتها منبها إلى دور السياق في الكشف عن سر استعمالها هكذا غريبة دون المألوف من كلام العرب فقال: "وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قطٌّ إلا في موقعها منه،

وهــي كلمة "ضِــيــزى" مــن قوله تعالى:﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم:22]؛ ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ ولو أدرتَ اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها؛ فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء؛ فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناتٍ لله مع أولادهم البنات فقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكارَ في الأولى والتهكم في الأخرى؛ وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المدَّين فيها إلى الأسفل والأعلى، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية. وإن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ هذه الكلمة الغريبة وائتلافها على ما قبلها، إذ هي مقطعان: أحدهما مدٌّ ثقيلٌ، والآخرُ مدٌّ خفيفٌ، وقد جاءت عقب غُنتين في"إذاً" و "قسمة" وإحداهما خفيفة حادة، والأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية لتقطيعٍ موسيقيٍّ. وهذا معنى رابع للثلاثة التي عددناها آنفاً، أما خامس هذه المعاني، فهو أن الكلمة التي جمعت المعاني الأربعة على غرابتها، إنما هي أربعة أحرف أيضا"(26).

جمع الله خاطر الأديب الرفاعي على تحليل جليل للفاصلة، جمع فيه بين أسرار جمال الإيقاع وكمال المعنى مبرزا هيمنة السياق على الجميع، ومبرهنا على تمكن الفاصلة بما يبهر الألباب، وقد رأيت لابن أبي الإصبع المصري تقعيدا في باب ائتلاف اللفظ والمعنى أشار فيه إلى معنًى قريبٍ من الذي ذكره الرافعيُّ يقول فيه: "وتلخيص هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها، غير لائقة

---

(25) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، 2/181
(26) الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص158
(27) ينظر: ابن أبي الإصبع، بديع القرآن، 2/78–79
(28) (المرجع السابق)، 2/79
(29) الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 1/162–163 سبق إلى هذا التعليل الزمخشري في الكشاف وتبعه الرازي في التفسير الكبير(3/597)، وابن عاشور في التحرير والتنوير(1/598)ـ
(30) قال الأصمعيّ: تعادّني من العداد.وهو الشيء الذي يأتي لوقت دون وقت- تخريج الكشاف(1/63)

بمكانها، كلها موصوف بحسن الجوار، بحيث إذا كان المعنى غريبا قُحًّا كانت ألفاظه غريبة محضة، وإذا كان المعنى مولّدًا كانت الألفاظ مولدة، وإذا كان متوسطا كانت الألفاظ كذلك، وإذا كان غريبا كانت الألفاظ غريبة"(27).

ثم ساق أمثلة منها قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف:85] فقال: "فإنه سبحانه لما أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها فإن التاء أقل استعمالا وأبعد من أفهام العامة، والباء والواو أعرف عند الكافة، وأكثر دورانا في الكلام واستعمالا في الكلام، أتى سبحانه بأغرب صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار بالنسبة إلى أخواتها، فإن"كان" وما قاربها أعرف عند الكافة من"تفتأ" وهم"لكان" وماقاربها أكثر استعمالا منها، وكذلك لفظ (حَرَضًا) أغرب من جميع أخواتها من ألفاظ الهلاك، فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة أو الاستعمال توخيا لحسن الجوار، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ في الوضع وتتناسب في النظم"(28).

وجدير بالتنويه إلى كون الرافعي أتى في تحليله بما وجه إليه ابن أبي الإصبع في تطبيق عمليٍّ، وزاد عليه معاني بعيدة المرمى غاية في الأناقة، وقد سقته برمته للتدليل على وجود انعطاف محمود في بحث الفاصلة، وخروج من حيّز النقل إلى أفق الاجتهاد في الكشف عن أسرار نظم الفاصلة وبلاغتها.

2 – الْعُدولُ عَنْ صِيغَةِ الْمُضِيِّ إِلَى صِيغَةِ الِاسْتِقْبَالِ نَحْوَ:﴿فَفَرِيقًا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقًا تَقۡتُلُونَ﴾ [البقرة:87] وَالْأَصْلُ (قَتَلْتُم): في حين أوردت كتب علوم القرآن كالإتقان والبرهان المثالَ المتقدِّمَ لتأكيدِ مراعاةِ الفاصلة، وَوَقف جمع من المفسرين على الوظيفة الدلالية للفاصلة وأبرزوا نكاتٍ بيانيَّةً في ذلك العدول.

فجاء في كتب التفسير تعليل مجيء﴿تَقۡتُلُونَ﴾ على هذا النحو بأحد وجهين.

أ- أن يراد من تلك الصيغة الحال الماضية وعبَّر عنه بالفعل المضارع لقصد استحضار الحالة "لأنَّ الأمر فظيع فأريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب"(29) وله نظائر كثيرة في القرآن كقوله تعالى:﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ [هود:38]، وقوله عزَّوجلَّ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ﴾ [فاطر: 9]؛ ولا شك أن التصوير إذا تعلّق بفعل القتل يكون أبلغ وأوقع في النفوس وأظهر في نقل فظاعة المشهد، ولذلك استعمل له المضارع دون الماضي.

أما التكذيب فبقيت صيغة فعله على المُضِيِّ ﴿كَذَّبۡتُمۡ﴾ لأنه لا يعدو أن يكون اعتقادا مكنونا في القلب أو قولا ظاهرا على اللسان تستعمل له الحكاية ومن أدواتها صيغة الماضي.

ب- أن تكون صيغة المضارع في ﴿تَقۡتُلُونَ﴾ مقصودة لدلالتها على التجدُّد والاستمرار، وأنهم لم يكفوا عن محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم فيكون المعنى: وفريقا تقتلونهم بعد لأنكم تحومون حول قتل محمد صلى اللَّه عليه وسلم لولا أنِّي أعصمه منكم. ولذلك سحرتموه وسمَّمْتُم لَهُ الشَّاة.

وقال صلى اللَّه عليه وسلم عند موته:«ما زالت أُكْلَةُ خيبر تعادُّني(30) فهذا أوان قطَعتْ أَبْهَرِي"(31).

وهذا التعليل كما هو موضح يتجه للدلالة على اكتمال بلاغة المعنى، وحسن النظم في الفاصلة القرآنيَّة خلافا للقول بأن المراعاة هي عمدة الفواصل وأنه مسوِّغ الخروج عن الأصل في الآية؛ وذلك ما قرره ابن الصائغ حين قال: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوبٌ في اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول"(32)، و لذلك لاحَظَ المحقِّقون من أهل التفسير في الفاصلة المقصد الهِدائيَّ المرتبط بمراد الله تعالى ممتثلين قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:9] .

---

(31) (المرجع السابق)،-والحديث من رواية أبي هريرة أخرجه البزار في مسنده برقم (8007)، 333/14 ، واللفظ له، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء)، (3/403)، وأبو نعيم في (الطب النبوي).

ومن طرق الحديث ما اتفق عليه الشيخان من رواية أنس بن مالك «أن امرأة يهودية أتت النبي صلى اللَّه عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها الحديث وفيه: فقال: ما زلت أعرفها في لهوات النبي صلَّى اللَّه عليه وسلم».

ينظر تخريج الزيلعي للكشاف ( 1/ 163)

(31) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 3/339

# جَزاءُ سِنِمّارٍ



منمنمة من القرن الخامس عشر تصور بناء قصر الخورنق في الحيرة الذي تُحكى عنه القصة.

يُحْكَى أَنَّ الـمَلِكَ النُّعْمانَ بنَ الـمُنْذِر أَمَرَ بَنَّاءً مِعْمارِيًّا بِيزَنْطِيًّا يُدْعى (سِنِمَّار) أَنْ يَبْنِيَ لهُ قَصْرًا، فَبَنى لَهُ واحِدًا مِنْ أَشْهَرِ قُصورِ العَرَبِ وأَعْجَبِها في حُسْنِ البِناءِ والاتْقانِ، سَمّاهُ النُّعْمانُ قَصْرَ الخَوَرْنَقِ، فَلَمّا أَتَمَّهُ أَمَرَ به فَأَلْقاهُ مِنْ أَعْلاه، مَخافَةَ أَنْ يَبْنِيَ لِغَيْرِه مِثْلَه، وقيلَ: إنَّ سِنِّمارًا أَخْبَرَ الـمَلِكَ عن حَجَرٍ في القَصْرِ لَوْ نُزِعَ مِنْ مَكانِهِ لَهَدَمَهُ، فَأَلْقاهُ مِنْ أَعْلاه حتّى لا يَعْرِفَ أَحَدٌ بأَمْرِ الحَجَر. فَصارَ فِعْلُ النُّعْمانِ بِسِنِمّارٍ مَثَلًا يُضْرَبُ لِـمَنْ يُجْزى على الإِحْسانِ بالإِساءَة، فَيَقولون: جَزاهُ جزاءَ سِنِمّار، وفي هذا قالَ الشّاعِر:

**جَزَتْنَا بَنُو سَعْدٍ بِحُسْنِ فِعَالِنا ❊❊ جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وَما كانَ ذا ذَنْبِ**



# لغويّات

- تَعْرِيبُ أَسْمَاءِ الأَجْهِزَةِ والمُخْتَرَعَاتِ الحَدِيثَةِ ومُلْحَقَاتِهَا في ظِلِّ التَّطَوُّرِ التّكْنُولُوجِيِّ
- تَنَوُّعَاتُ تَشْكِيلِ الفِعْلِ (رأى) بين التُّرَاثِ واللَّهَجَاتِ.
- التّرادفُ عند علماءِ اللّغة

# تَعْريبُ أَسْماءِ الأَجْهِزَةِ والمُخْتَرَعاتِ الحَديثَةِ ومُلْحَقاتِها في ظِلِّ التَّطَوُّرِ التّكْنولوجِيِّ



محمّد الشّامي
باحث في اللغويات العربية

**قبْلَ الخوض في غمارِ التّعريبِ في ظِلِّ الأَجْهِزَةِ والمُخْتَرَعَاتِ الحَديثَةِ لا بُدَّ أن نُعَرِّجَ على مَفْهُومِ التَّعْرِيب.**

**التعريب: هو نَقْلُ الكلمةِ الأجنبيّةِ ومعناها إلى اللُّغةِ العربيّة، سواءٌ أَتَمَّ هذا النّقلُ دون تَغيير في الكلمةِ، أمْ تمَّ بعد إجراءِ تغييرٍ وتعديلٍ عليها، وإذا نُقِلَ اللّفظُ الأجنبيُّ إلى اللّغةِ العربيّةِ دون تغيير، سُمِّيَ (دخيلًا)، وإذا وقعَ عليه التّغييرُ، سمِّيَ (معرّبًا)، ومن أمثلةِ الدّخيل ألفاظُ: (الأوكسجين)، و(النّتروجين) و(النّيترون)، ومن أمثلةِ المعرَّب ألفاظُ: (الهاتف) التي زاحمت (التّليفون)، و(البرقيّة) التي زاحمت (التّلغراف). وقد عرّفه الجواليقيُّ بقوله: "ما تكلّمتْ به العربُ منَ الكلامِ الأعجميّ، ونطق به القرآنُ الكريم، وورد في أخبارِ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم والصّحابةِ والتّابعين رضوان الله عليهم أجمعين وذكرَتْه العربُ في أشعارِها وأخبارِها، وعند السّيوطيّ: التّعريب: هو ما استعملَتْه العربُ منَ الألفاظِ الموضوعةِ لمعانٍ في غيرِ لُغتِها.**

**أهمّيةُ التّعريبِ في العربيّة:**

تتجلّى أهمّيةُ التّعريبِ في العربيّةِ أنّه يحفظُ لُغتَنا العربيّةَ ويعزّزُ من مكانتِها في أن تكونَ في مقدّمةِ اللّغات، كما يساعدُ التّعريبُ على مُستوى الوطنِ العربيِّ في إيجادِ لُغةٍ علميّةٍ موحّدةٍ في وطنِنا العربيِّ، وهذا يؤدّي إلى إغناءِ اللّغةِ العربيّةِ بالمُصطلحاتِ العلميّةِ الحديثةِ وبالمفرداتِ الجديدةِ، وتطويرِها لمسايرةِ روحِ العصر.

كما أنَّ التّعريبَ يعملُ على تنشيطِ حركةِ التّرجمةِ والتّأليف، كما يُسهمُ التّعريبُ في تعدُّدِ مصادرِ المعرفةِ والعلم. والتّعريبُ يفرضُ علينا أن ندرسَ العلومَ العلميّةَ باللّغةِ العربيّةِ الفصيحة، لُغةِ العروبةِ والإسلام، فهي اللّغةُ الأمُّ، وهي اللّغةُ التي توحِّدُ جميعَ أقطارِ العروبةِ منَ المحيطِ الأطلسيِّ إلى الخليجِ العربيِّ بروابطِها العقائديّةِ والوجدانيّةِ واللّسانيّة.

كذلك يعملُ التّعريبُ على رفْدِ المكتبةِ العربيّةِ بالعديدِ منَ المصادرِ والمراجعِ التي تتنوّعُ بالعديدِ منَ التّخصّصاتِ في المجالاتِ المتنوّعةِ في ظلِّ حاجةِ العربيِّ إلى العديدِ منَ المصادرِ المعرّبةِ التي تخدمُ حاجتَه، وتفيدُه في تخصّصِه.

**• تعريبُ المُختَرَعاتِ بين القُدماءِ والمُحدَثين:**

حينما تتصفّحُ كتبَ التّعريبَ ترى أنَّ علماءَ اللّغةِ القُدماءِ قصَروا مفهومَ التّعريبِ على مُصطلحاتٍ فارسيّةٍ وتركيّةٍ وغيرِها منَ المصطلحات التي راجت، ولم تكن تتجاوزُ الكلماتُ الدّخيلةُ أو الأجنبيّةُ التي تنتشرُ على ألسنةِ النّاسِ العددَ الضّخمَ مقارنةً باليوم، وقد عكفَ أبو منصورٍ الجواليقيُّ على إعدادِ مُعجمٍ للمعربِ وسمّاه «المعربُ منَ الكلامِ الأعجميِّ على حروفِ المعجم»، وفيه وضعَ معاييرَ العربِ في تعريبِ الكلماتِ غيرِ العربيّةِ ومواصفاتِ التّعريب، كما عملَ على تصنيفِ الكلماتِ وإرجاعِها إلى أصلِها من فارسيٍّ أو تركيٍّ أو غيرِها.

فيُعدُّ كتابُ الجواليقيّ مُعجمًا يضمُّ جُلَّ الكلماتِ المعربةِ التي ظهرتْ في عصرِه وعصرِ ما قبْله، وهو أفضلُ ما أُلِّفَ آنذاك



**التعريب: هو نَقْلُ الكلمةِ الأجنبيّةِ ومعنَاها إلى اللُّغةِ العربيّةِ، سواءٌ أَتَمَّ هذا النّقلُ دون تَغْييرٍ في الكلمةِ، أمْ تمَّ بعد إجراءِ تغييرٍ وتعديلٍ عليها. وإذا نُقِلَ اللّفظُ الأجنبيُّ إلى اللّغةِ العربيّةِ دون تغييرٍ، سُمِّيَ (دخيلًا)، وإذا وقعَ عليه التّغييرُ، سمِّيَ (معرَّبًا).**

في مجالِ الألفاظِ المُعربة، وهو جهدٌ عظيمٌ، إلّا أنَّ هذا المعجمَ ضمَّ مُصطلحاتٍ معربةً خلال مرحلةٍ معيّنةٍ يقفُ عندها ولا يتجاوزُها، خاصّةً مع تطوُّرِ المخترعاتِ والمصطلحاتِ والعلوم.

**• التّعريبُ لأسماءِ المُختَرَعاتِ في القرنِ العشرين**

ومع التَّطوّرِ في الاختراعاتِ برزت مُصطلحاتٌ ومسمّياتٌ ومختَرَعاتٌ جديدةٌ خاصّةً مع نهاية القرن العشرين، فكانتِ الاختراعاتُ تتقدّمُ ببطءٍ والمصطلحاتُ كذلك، حتى ظهرت شبكةُ الإنترنت بقوّةٍ على السّطحِ، وأصبحت شيئًا أساسًا في حياة البشريّةِ وما أعقبَها من مُصطلحاتٍ نتجت جرّاءَ اختراعِ شبكةِ الإنترنت.

وخلالَ القرنِ العشرين كانتِ الاختراعاتُ والمصطلحاتُ الأجنبيّةُ محدودةً مقارنةً باليوم، مثل: (التّلفزيون) Television وتعريبُه: المرئي، و(الكمبيوتر) Computer وتعريبُه: الحاسوب، و(التلفون) Telephone وتعريبه: الهاتف، وكذلك (راديو) Radio وتعريبه: (مذياع)، وكلمة: (فيزيكس) Physics وتعريبها (فيزياء)، وكذلك (تكنولوجيا) Technology أصبحت: (تقنية)، وكلمة (ماستر) Master صارت (ماجستير)، و(كُوليج) College: أصبحت (كلية)، و(بترول‍يوم) Petroleum صارت (بترول)، وغيرُها الكثيرُ منَ الكلماتِ الأعجميّة.

فكانتِ المجامعُ اللّغويّةُ تعقدُ اجتماعاتِها، وتختارُ تعريبًا لكلِّ مصطلح يتّفقون عليه، نظرًا إلى محدوديّةِ المصطلحاتِ والكلماتِ الأجنبيّةِ والاختراعاتِ، عكسَ ما نراه اليوم بأعيننا من انتشارِ عشراتِ المصطلحاتِ والكلماتِ الأجنبيّةِ يوميًّا بفعلِ التّطوّر التّكنولوجيِّ الكبير، ممّا جعلَ منَ الصّعوبة ملاحقةَ تعريبِ كلِّ لفظٍ ينتشرُ على ألسنةِ الشّباب، خاصّةً أنَّ مواقعَ التّواصُلِ الاجتماعيِّ أسهمت بزيادةٍ لا محدودةٍ في عدد الكلماتِ الأعجميّة.

**• حالُ التّعريبِ في ظلِّ غزوِ المُختَرَعاتِ الحديثةِ:**

واليومَ تجاوزتِ المختَرَعاتُ الأعدادَ المنطقيّةَ، فبعد اختراعِ الهاتفِ المحمولِ والإنترنت ظهرت اختراعاتٌ تتجاوزُ

الاختراعاتِ القديمةَ بأضعافِ الأعدادِ السّابقةِ التي كانت تظهرُ خلالَ السّنوات.

وفي ظلِّ غزوٍ وانتشارٍ غيرِ محدودَيْنِ لمختلفِ أنواعِ الاختراعاتِ والمصطلحاتِ الأجنبيّةِ وانتشارِها، باتَ منَ الصّعبِ ملاحقةُ هذه الاختراعاتِ، والعملُ على إيجادِ بديلٍ لها قبل أن تصلَ إلى السّوقِ العربيّة.

وإذا أردنا أن نمثّلَ بنموذجٍ عنِ العددِ الكبيرِ للكلماتِ الأجنبيّةِ من مُلحقاتِ شبكةِ الإنترنت وما رافقَها لتشغيلِها مثل كوابلَ وسيرفراتٍ وما يلزمُها من معدّاتٍ وأجهزةٍ، فكلُّها وصلت لنا بمسمّياتٍ أجنبيّةٍ غيرِ عربيّةٍ، مثل إنترنت الفايبر والإنترنت عبْرَ الهاتفِ الخلويِّ 3G و 4G و 5G.فضلاً عن وجودِ تقنياتٍ حاسوبيّةٍ جديدةٍ داخلَ الحاسوبِ مثل صِيغة PDF وهو نظامُ قراءةِ الملفّ دُون أيِّ تعديل، وما زالَ يُطلقُ عليه الاسمُ الأجنبيُّ. وأيضًا المُخترعاتُ المضافةُ إلى الهاتفِ اللّوحي أوِ التي تؤدّي بعضَ وظائفه، مثل التّابلت والأيباد وأجهزةِ الصّوت mp3 وغيرِها منَ الاختراعات التي لا يمكنُ حصرُها.

ولذا تبرزُ مشكلاتٌ وتعقيداتٌ في تعريبِ هذه المصطلحاتِ والاختراعاتِ في ظلّ قلّةِ أعدادِ مجامعِ اللُّغةِ العربيّةِ التي تعملُ على صبِّ اهتمامِها على تعزيزِ اللّغةِ العربيّة.

فتعريبُ هذا الكمِّ منَ المصطلحات، يعني أنّنا سنحتاجُ إلى ورشٍ ولجانِ عملٍ وفرقٍ تُواصلُ اللّيلَ بالنّهار لإعدادِ معاجمَ لتعريبِ الألفاظِ والمصطلحاتِ الأجنبيّةِ التي غزتِ العالمَ في ظلّ التّطوّرِ التّكنولوجيِّ خاصّةً في المختَرَعاتِ.

ومع هذه الألفاظِ المتلاحقةِ يجدُ اللّغويّون بلِ المجامعُ العربيّةُ أنفسُها أمامَ



من اجتماعات اتّحاد المجامع اللغويّة العربيّة

**تعريبُ هذا الكمِّ منَ المصطلحات، يعني أنّنا سنحتاجُ إلى ورشٍ ولجانِ عملٍ وفرقٍ تُواصلُ اللّيلَ بالنّهار لإعدادِ معاجمَ لتعريبِ الألفاظِ والمصطلحاتِ الأجنبيّةِ التي غزتِ العالمَ في ظلّ التّطوّرِ التّكنولوجيِّ خاصّةً في المختَرَعات.**

أمواجٍ منَ الألفاظ الأجنبيّةِ التي تحتاجُ إلى منهجٍ جديدٍ لتعريبِ هذه الألفاظِ الأجنبيّةِ ونشْرِ بدائلِها في وسائلِ الإعلامِ والتّواصُلِ الاجتماعيّ، لكن أنّى ذلك وقد تجاوزتِ الألفاظُ الآلافَ في ظلِّ زخْمٍ معرفيٍّ وظهورِ صناعاتٍ جديدةٍ وأجهزةٍ جديدةٍ ومواقعِ تواصُلٍ اجتماعيٍّ.

**• مُعِيقَاتُ تَعْرِيبِ المختَرَعاتِ في القرن الحادي والعشرين**

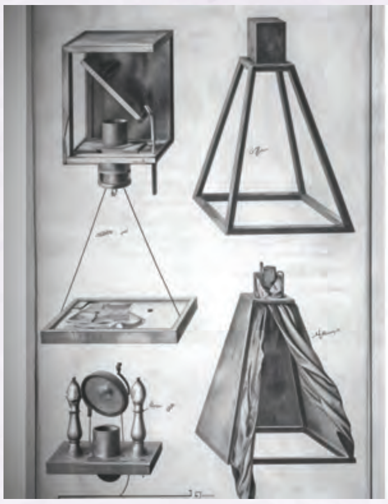
كما يوجدُ جملةٌ منَ الـمُعَوِّقاتِ والإشكاليّاتِ تبدو بـارزةً على طريقِ التّعريبِ، غيرَ أنَّ هذه العوائقَ لا تعني بالضّرورةِ استحالةَ التّعريبِ، إذ يمكنُ تعدّيها بتضافرِ جهودِ المجامعِ اللُّغويّةِ في الوطنِ العربيِّ بوضْعِ منهجيّةٍ وخُططٍ واضحةٍ قد تذلّلُ هذه الصّعوبات.

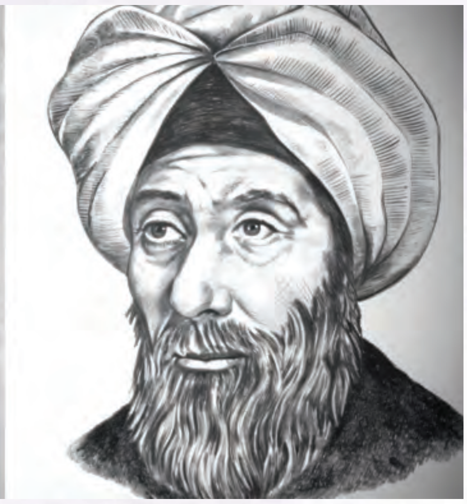
ومنَ العوائقِ تعالي أصواتِ المشكّكين بقدرةِ اللُّغةِ العربيّةِ على استيعابِ العلومِ الحديثةِ، وتعدُّد الخلفيّاتِ الثّقافيّةِ اللُّغويّةِ للنّخبةِ المثقّفةِ التي تشكّلُ نواةَ العاملِين في نقلِ الثّقافات.

و منَ العوائقِ كذلكَ، عدمُ حشْدِ الإمكاناتِ البشريّةِ والماديّةِ الكافيةِ لمواجهةِ الحجْمِ الكبيرِ منَ العلومِ والمعارفِ التي ينبغِي لحركةِ التّعريب أن تتصدّى لنقْلِها إلى العربيّةِ.

وتُعدُّ حاجةُ المجامعِ اللُّغويّةِ إلى تمويلٍ خاصٍّ للعملِ على تعريبِ هذه المُختَرَعات، خاصَّةً في ظلِّ مُعاناةٍ في قلّةِ الدّعمِ المادّيِّ المقدّمِ لعددٍ من مجامعِ اللُّغةِ العربيّةِ، من أكثرِ الـمُعوِّقاتِ التي تطفُو على السّطحِ.

وحتّى يكونَ التّعريبُ ناجحًا وفعّالاً:





لا بدَّ من دعْمِ الدّولةِ لتعريبِ هذه المختَرَعاتِ ووضْعِ الاسمِ المُعربِ خلالَ دخولِها على الدّولة، وهذا ما يحصلُ في دولٍ أوروبيّةٍ مثل ألمانيا، فَيُغيَّر مسمّى الاختراعِ باسمٍ ألمانيٍّ بدلَ الاسمِ الأجنبيِّ، وذلك قبْلَ دخولِ المنتجِ السُّوقَ الألمانيَّةَ.

وأيضًا يجبُ على الدّولة تَبنّي سياسةِ التّعريبِ وليس المختَرَعاتِ فَقَطْ، بل كُلَّ العلومِ الطبّيةِ التي تدرسُ باللّغةِ الأجنبيّةِ، ولدولةِ سوريا شاهدٌ على نجاحِ التّعريب في مختلف العلومِ منَ الطّبِّ والصّيدلةِ والرّياضياتِ والكيمياءِ وغيرِها.

وكذلك ينبغِي عملُ خطّةٍ للتّعريب، فالعربيّةُ لغةٌ يمكنُ تعليمُ العلوم بها، كما أنّ كلَّ الدّولِ الأجنبيّةِ تعتمدُ لُغتَها الرّسميّةَ في تعليم العلوم وليستِ اللُّغةَ الأجنبيّةَ، ففي فرنسا الطّبّ باللّغة الفرنسيّةِ، وفي ألمانيا يدرسون الطّبّ باللّغةِ الألمانيّةِ، وفي إسبانيا يدرسون الطّبَّ باللّغةِ الإسبانيّةِ، كما أنّ في روسيا يدرسون الطّبَّ باللُّغةِ الرّوسيّةِ، وهكذا كلُّ دُولِ العالمِ الأجنبيّةِ.

ويقترحُ أن يوجدَ قسْمٌ خاصٌّ بمتابعةِ ومراقبةِ مدَى استعمالِ الاسمِ المُعربِ في المحلّاتِ واللّافتاتِ التي تعرضُ هذه المختَرَعات، فإنشاءُ قسْمٍ خاصٍّ بأجهزةِ الأمنِ يُطلقُ عليه «الضّابطةُ اللّغويّةُ" هو شيءٌ مهمٌّ لتعزيزِ اللّغةِ العربيّةِ وبيانِ اهتمامِ الدّولِ بها، وهذا أيضًا مُطبّقٌ في الدّولِ الأجنبيّةِ، فمثلاً في تركيا ممنوعٌ أن تضُمّ واجهةُ المحلِّ الزّجاجيّةُ أيَّ لُغةٍ غيرِ تركيّةٍ، وتكونُ المراقبةُ عبْرَ مختصّين منَ البلديّاتِ لواجهاتِ المحلّاتِ واللّافتاتِ، وأيُّ لوحةٍ تضمُّ لغةً غيرَ تركيةٍ تُمْنَعُ ويُغَرَّمُ صاحبُ المحلِّ، وقد يَسمحون لبعض المحلّاتِ بوضْعِ بضعِ كلماتٍ بلُغاتٍ أخرى عند الحاجةِ.

فالتّعريبُ للمختَرَعات الحديثةِ ومُلحقاتِها ليس صعبًا إذا وُضِعَ منهجٌ مُتَّبَعٌ في الحفاظِ على العربيّةِ، وَوُضِعَ البديلُ العربيُّ قبْلَ دُخولِ الجهازِ أوِ الآلةِ للدّولة، وطُلِبَ منَ التُّجّار استعمالُ البديلِ العربيِّ في إعلاناتِهم التّجاريّةِ، وهذا يُسهمُ كثيرًا في انتشارِ البديلِ العربيِّ أوِ الكلمةِ المُعربةِ لهذا الجهازِ.

**المراجع**


- تيمور، محمود(د.ت): مشكلات اللغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة.
- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، (1987): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.
- الجواليقي، موهوب بن أحمد، (1969): المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم.
- حمدان، إبراهيم بن محمود(2007): تعريب المصطلح بين الواقع والطموح، مجلة دراسات، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، عمان، مجلد 34، عدد2.
- رزوق، راكان، (2000): دور المعلوماتية في تعريب العلوم، ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سوريا.
- الزمخشري، محمود بن عمر،(1968): الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 4ج، دار المعرفة، بيروت.
- السيوطي، جلال الدين، (1998): المزهر في علوم اللغة وأنواعها، 2ج تحقيق: فؤاد علي منصور، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الشهابي، مصطفى،(1965): المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، الطبعة الثانية، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.
- غنيم، كارم السيد(د،ت)، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة.
موقع مجمع اللغة العربية الأردني.
https://www.majma.org.jo/majma/index.
-11-21-12-2008/40-39-11-21-12-php/2008
html.32-40

# تَنَوُّعَـــاتُ تَشْــكِيـلِ الفِعْلِ (رأى) بيـــن التُّرَاثِ واللَّهَجَاتِ

**الفعلُ (رأى) وتصريفاتُه المتنوّعةُ منَ الأفعالِ الشّائعةِ في العربيّةِ، فاستعمالاتُه في القُرآن الكريم تجاوزَتْ (250) موضعًا، زيادةً على استعمالاتِه في العربيّةِ الفصيحةِ واللَّهجاتِ العاميّةِ لِما له من دلالاتٍ بصريّةٍ وأخرى قلبيّةٍ، وما فيه من تنوّعاتٍ بلاغيّةٍ، ولعلَّ هذا الشّيوعَ في الاستعمالِ جعلَ تنوّعاتِه الأدائيّةَ عُرضةً للتّبديلِ والتّغييرِ والتّطوّرِ، وهي تنوّعاتٌ وجدْنا لها صُورًا في استعمالاتِ العرب رصدَتْها المعجماتُ العربيّةُ، واستعمالاتٍ وردت في القراءاتِ القرآنيّةِ، وتوجدُ استعمالاتٌ لهجيّةٌ حيّةٌ تكشفُ تنوّعًا في تشكيلِ بِنيةِ هذا الفعلِ وتصريفاتِه.**

**وعندما نظرتُ في الاستعمالاتِ الجاريةِ لهذا الفعل مع ما فيها من تطوّرٍ دلاليٍّ يصحبُ تطوُّرَها البِنيويَّ، رأيت أن أعـرّجَ عليها في مقالةٍ مختصرةٍ تكشفُ جانبًا من تنوّعاتِ هذا الفعلِ في الاستعمالاتِ اللُّغويّةِ، وتحاولُ ربْطَ حاضرِ هذا الفعلِ بالتّراثِ اللُّغويِّ عندَ العربِ.**



ا.د سيف الدين الفقراء
قسم اللغة العربيّة وآدابها ـ جامعة الشارقة

لم يَسْعَ المقالُ إلى تتبّعِ الاستعمالاتِ وما فيها من تنوُّعاتٍ، وما شهدَتْه من تطوّرٍ دلاليٍّ، وإنّما يسعَى إلى عرضِ جانبٍ منِ اختلاف الأداءِ الاستعماليِّ للّهجاتِ العربيّةِ المعاصرةِ، ويحاولُ تحليلَ هذه التّنوُّعاتِ ويربطُها برسوباتٍ لُغويّةٍ تراثيّةٍ أشارَ إليها العلماءُ في مصنّفاتِهم.

بيّنتِ الدّراسةُ أنّ تنوّعاتِ الأداءِ اللّغويِّ للفعلِ(رأى) وتصريفاتِه شهدت تفاوُتًا في التّراثِ، تراوحَ بين القَبول والرّفض، وأنّ هذا التّفاوُتَ انتقلَ إلى اللّهجاتِ المعاصرةِ الدّارجةِ، وشاعَت فيها استعمالاتٌ تُبعدُه عنِ العربيّةِ الفصيحةِ، ولعلّ مُكوّناتِ هذا الفعلِ الصّوتيّةَ منِ اجتماعِ الهمزةِ وصوتِ العلّةِ في نهايتِه أسْعفَ في تسويغِ هذه التّحويلاتِ الأدائيّةِ بحثًا عنِ الخفّة في الاستعمال، وزيادةً على ذلك سمح له شيوعُه الواسعُ بتنوعٍ دلاليٍّ يُجاري سنّةَ التّطوّر اللّغويِّ.

## أوّلًا- تنوُّعاتُ أداءِ الفعلِ (رأى) في الاستعمالِ الفصيحِ:

يتكوّنُ الفعلُ (رأى) من بنيةٍ صوتيّةٍ تتشكّلُ من ثلاثةِ أصواتٍ هي الرّاءُ والهمزةُ والألفُ المنقلبةُ عن ياء، وقال ابنُ فارس في كتابه (مقاييس اللّغة): «الرّاء والهمزة والياء أصلٌ يدلُّ على نظرٍ وإبصارٍ بعينٍ أو بصيرةٍ. فالرّأْي: ما يراه الإنسانُ في الأمرِ، وجمعُه الآراء. رأَى فلانٌ الشّيءَ وراءهُ، وهو مقلوبٌ. والرِّئْيُ: ما رأت العينُ مِنْ حالٍ حسنةٍ. والعربُ تقولُ: رَيْتُهُ في معنى رأيْتُه»(1). فالتّنوُّعاتُ التي ذكر ابنُ فارس، هي مجيءُ الفعل على الأصل ( رأى)، ومجيئُه بالحذف(ريتُه)، والأصلُ (رأيته)، وبالقلب(راءه) والأصل (رآه) .

ولا ريبَ أنّ هذا الفعلَ وتصريفاتِه ودلالاتِـه كانت موضعَ عنايةٍ من علماءِ العربيّة، فابنُ منظورٍ يطوفُ مع دلالاتِ هذا الفعل ومع تنوُّعاتِ أدائِه اللّهجيّةِ التي نجدُ لها صُورًا في استعمالاتِنا اللّهجيّةِ الدّارجةِ؛ فنحسبُها لهجاتٍ منبّتةً عنِ الاستعمالِ التّراثيِّ لهذا الفعل، يقولُ ابنُ منظور: "الرُّؤْيَة بالعَيْن تَتَعدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ، وَبِمَعْنَى العِلْم تتعدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ؛ يُقَالُ: رَأَى زَيْدًا عَالِمًا، ورَأَى



**بيّنتِ الدّراسةُ أنّ تنوّعاتِ الأداءِ اللّغويِّ للفعلِ(رأى) وتصريفاتِه شهدت تفاوُتًا في التّراثِ، تراوحَ بين القَبول والرّفض، وأنّ هذا التّفاوُتَ انتقلَ إلى اللّهجاتِ المعاصرةِ الدّارجة، وشاعَت فيها استعمالاتٌ تُبعدُه عنِ العربيّةِ الفصيحةِ.**

رَأْياً ورُؤْيَةً ورَاءَةً مِثْلُ راعَة. وقَالَ ابْنُ سِيدَهْ: الرُّؤْيَةُ النَّظَرُ بالعَيْن والقَلْب. وَحَكَى ابْنُ الأَعرابي: عَلَى رِيَّتِكَ أَيْ رُؤيَتِكَ، وفيه ضَعَةٌ، وحَقيقَتُها أَنه أَراد (رُؤيَتك) فَأَبْدَلَ الهمزةَ وَاوًا إِبْدَالاً صَحِيحًا، فَقَالَ: رُويَتِك، ثُمَّ أَدغَمَ؛ لأَنَّ هَذِهِ الواوَ قَدْ صَارَتْ حرفَ علَّة لمَا سُلِّط عَلَيْهَا مِنَ البَدَل؛ فَقَالَ: رُيَّتِك، ثُمَّ كَسَرَ الرّاءَ لِمُجَاوِرَةِ اليَاءِ فَقَالَ رِيَّتِك ... وَرَيْتُهُ عَلَى الحَذْف»(2).

وبتحليلٍ للنّصّ السّابق نجدُ تنوُّعاتٍ لاستعمال هذا الفعلِ في تصريفاتِه المختلفةِ، ويمكنُ إيجازها بما يأتي:

1 - رأى على الأصل أي دون تغييرٍ في البنيةِ الصّرفيّةِ في قولهم: ورَأَى رَأْياً ورُؤْيَةً.

2 – الإعلالُ والإدغامُ لِعينِ الفعلِ، وهذا النّمطُ رواه ابنُ الأعرابيّ، وهو منَ الثّقاتِ، «عَلَى رِيَّتِكَ أَي رُؤيَتِكَ، وفيه ضَعَةٌ، وحَقيقَتُها أَنّه أَراد رُؤيَتك فَأَبْدَلَ الهمزةَ وَاوًا إِبْدَالاً صَحِيحًا؛ فَقَالَ: رُويَتِك، ثُمَّ أَدغَمَ؛ لأَنَّ هَذِهِ الواوَ قَدْ صَارَتْ حرفَ علَّة لمَا سُلِّط عَلَيْهَا مِنَ البَدَل، فَقَالَ: رُيَّتِك، ثُمَّ كَسَرَ الرّاءَ لِمُجَاوِرَةِ الْيَاءِ». وأحسبُ أنّ إبدال الهمزة واوًا في البداية نابعٌ من طلبِ الخِفّة لما يتّسمُ به صوتُ الهمزة من ثِقلٍ، واختيارُ الواو جاء لمجانسةِ الضّمّة التي قبْلها في(رُويَتِك)، ورغبةً في مزيد منَ الانسجام الصّوتيّ، ثمّ خضعَ اللّفظُ لقانونِ الإعلالِ باجتماع



الواو والياء دون فاصلٍ؛ فأُبدلت الواو ياءًا، ثمّ أُدغمت حسبَ قانونِ المماثلةِ الصّوتيّةِ، ثمّ تداعت أسبابُ الانسجامِ الصّوتيِّ التي استدعت إبدالَ ضمّةِ الرّاء كسرةً خضوعًا لقانون الغلبةِ والتّأثّرِ والتّأثير بسببِ الاتّباعِ الصّوتيّ.

3 – ثمّ يطالعُنا وجهٌ ثالثٌ منَ الاستعمالات وهو قائمٌ على حذفِ صوتِ الهمزة، فقال: وَرَيْتُهُ عَلَى الحَذْف، وهو استعمالٌ يخضعُ لقانونِ التّخلّص منَ الهمزة بالحذف، ولهذا نظائرُ في العربيّةِ وقد علّق عليها المبرّدُ في قوله: «ويُجيزُ هؤلاءِ حذفَ الهمزَة لغير علّةٍ إلّا الاستثقالَ»(3). ونصَّ على طلبِ الخفّةِ في هذا النّوع منَ الحذف، في قوله: «وإن خفَّفتَ الهمزَةَ من قَوْلك: هُوَ يَجِيئُك ويَسُوءُك، قلتَ: يجِيُك ويسوُك، تحرّك الياءَ وَالوَاو بحركة الهمزَة؛ لأَنَّهما أَصلان في الْحُرُوف، فَهَذَا يدلُّك على مَا يردُ عَلَيْك من هذا البَاب»(4). وقد أثبتَ ابنُ جِنّي مظاهرَ من هذا التّخفيف بحذف الهمزةِ في بعض الاستعمالاتِ في قوله: «ونحوٌ من هذا التّخفيف قولُهم في المرأة والكمأة إذا خفّفت الهمزة: المراة والكماة»(5). وظاهرةُ تخفيف الهمز نمطٌ لهجيٌّ وُسِم بأنّه لغةٌ لأهلِ الحجاز، وهو منَ الشّيوع ما لا يحتاجُ دليلاً.

4 – وثمّةَ استعمالٌ رابعٌ ورد في النّصوصِ السّابقةِ لا يجوز لنا إغفالُه، وهو القلبُ المكانيُّ، فقد وردَ في استعمالات العربِ قلبُ اللّام مكانَ العين في قولهم: "رأَى فلانٌ الشيءَ وراءهُ، وهو مقلوبٌ"، وهو نصٌّ ذكره ابنُ فارس كما أشرتُ سابقًا .

> **”وفي تصريفات الفعل رأى تُحذفُ الهمزةُ في جُلّ الاستعمالاتِ في المضارعةِ والأمر، في قولهم: يرى، ونرى، وأرى، وترى، ورِ، مع بروزِ استعمالاتٍ نادرةٍ جاءت بإثباتِ الهمزةِ، حملَها النّحويّون على الأصلِ.**

5 – وفي تصريفات هذا الفعل تُحذفُ الهمزةُ في جُلّ الاستعمالاتِ في المضارعةِ والأمر، في قولهم: يرى، ونرى، وأرى، وترى، ورِ، مع بروزِ استعمالاتٍ نادرةٍ جاءت بإثباتِ الهمزةِ، حملَها النّحويّون على الأصلِ.

وقد لمحَ علماؤنا هذه التّنوّعاتِ في تشكيل أداءِ الفعل (رأى) بتصريفاتِه المختلفةِ، فقد نقلَ الزّبيديُّ عن الكسائيّ ما نصُّه: "وقالَ الكِسائيُّ: اجْتَمَعَتِ العَرَبُ على هَمْزِ مَا كانَ مِن (رَأَيْت) و(اسْتَرْأَيْت) (وارْتَأَيْت) فِي رُوءْيَةِ العَيْنِ، وبعضُهم يَتْرك الهَمْز وَهُوَ قليلٌ، والكلَامُ العالي الهَمْزُ، فَإِذا جئْتَ إِلَى الأفْعال المُسْتَقْبَلَةِ أَجْمَع مَنْ يَهْمُز وَمَنْ لَا يهمزُ على تَرْك الهَمْز، قالَ: وَبِه نَزَلَ القُرْآن نَحْو قَوْلِه تَعَالَى: ﴿فتَرَى الَّذين فِي قُلُوبِهم مَرَضٌ﴾، ﴿فَتَرى القَوْمَ فِيهَا صَرْعى﴾؛ ﴿إِنِّي أَرَى فِي المَنَام﴾، ﴿ويَرَى الَّذين أُوتُوا العِلْمَ﴾؛ إلّا تَيمَ الرّبابِ، فإنَّهم يَهْمِزُون مَعَ حُرُوفِ المُضارعَةِ وَهُوَ الأَصْل. وحكَى ابنُ الأعرابيِّ: الحمدُ للَّهِ على رِيَّتكَ، كَنِيَّتِك، أَي رُؤْيَتِكَ»(6).

وإذا طالعْنا الاستعمالَ القرآنيَّ لهذا الفعل وجدنا استعمالاتِه ناصعةً بصُورِه المتنوّعةِ، ففي الفعل الماضي جاء قولُه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ (الأنعام: 76)، واستُعمل الفعلُ المضارعُ بحذف الهمزة، كما في قوله: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: 165)، وقد جاءتِ الهمزةُ محذوفةً في بعض الاستعمالاتِ الماضويّةِ لهذا كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ (آل عمران: 152).

وعند استطلاعِ القراءاتِ القُرآنيّةِ لمعرفةِ تنوُّعاتِ الأداء في بعضِ صُور هذا الفعلِ نجدُ تنوّعًا في قراءاتِ الفعل في سورة العلَق في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾ (العلق: 9)، وفي قوله تعالى:﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ (الماعون: 1)، ومنَ القراءات الواردةِ في هذا الفعل في سورة العلق ما يأتي( 7):

1 – قرأ نافعٌ وقالونُ وورشٌ من طريق الأزرق والأصفهانيّ، وأبو جعفر بتسهيل الهمزة الثّانيةِ بينَ بينَ.

2 – قرأ ورشٌ من طريق الأزرق بإبدال الهمزة ألفًا مع إشباع المدّ للسّاكنين(أرايْت).

3 – وقرأ الباقون بالتّحقيق في الوقف والوصل.

**عند استطلاعِ القراءاتِ القُرآنيّةِ لمعرفةِ تنوُّعاتِ الأداءِ في بعضِ صُوَرِ هذا الفعلِ نجدُ تنوّعًا في قراءاتِ الفعل في سورة العلَق في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ﴾.**

4 – وذكر ابن خالَوَيه أنّ نافعًا قرأ (أرايت) بتلْيين الهمزة الثّانية؛ استثقالاً للجمعِ بينهما في كلمة واحدة، وكان الكسائيُّ يُسقطُها في كلّ القرآن؛ فيقول: أرَيْت.

إنّ هذا التّنوّعَ في قراءات هذا الفعل لا تقلّ عنها التّنوُّعاتُ في قراءة قوله تعالى في الآية السّابعة منَ السّورة نفسها: ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾، فقد جاء فيها منَ القراءات ما يأتي(8):

1 – قرأ الجمهورُ (رآه) بألفٍ بعد الهمزة.

2 – وقرأ ابنُ مجاهدٍ وابنُ شنبوذ وقُنبل (رَأَه) بحذف الألف وقصْرِ الهمزة.

3 – وقُرِئ (راءه) وهي مقلوبة من (رآه)، وقيل هذه لُغةٌ مسموعةٌ.

إنّ هذه القراءاتِ وغيرَها ممّا لم أذكره رغبةً في الاختصار(9)، تكشفُ التّنوُّعاتِ الأدائيّةَ للفعل رأى وتصريفاته، وهي تنوُّعاتٌ لها وجهٌ منَ التّفسير اللُّغويّ عند العلماء بما ينسجمُ مع قوانين بِنْيةِ الكلمةِ العربيّة، ونجدُ منها رسوباتٍ في الأنماط الاستعماليّةِ لهذا الفعلِ في العربيّةِ المعاصرة.



**ثانيًا - تنوُّعاتُ أداءِ الفعلِ (رأى) في الاستعمالِ اللّهجيِّ حديثًا:**

تطالعُنا استعمالاتٌ لهجيّةٌ حديثةٌ لبعض تصريفاتِ الفعل (رأى)، فقد سمعتُ في دولة الإمارات طائفةً منَ الناس يقولون: (براويك) بمعنى أُريـك، و(راويني) بمعنى أرني، ويقولون: راويتك بمعنى أريتك، وأراويه، وهكذا، وليس هذا حصرًا على أبناء الإمارات أو في بيئةٍ معيّنةٍ منها، بل سمعتُه يشيعُ على ألسنة بعضِ الطّلبة ممّن يقيمون لمدّةٍ طويلةٍ في الإمارات من جنسياتٍ عربيّةٍ، فبعضُ الجنسيّاتِ التي لها إقامةٌ طويلةٌ اكتسبُوا هذا التّشكيلَ الصّوتيَّ للفعل من أبناءِ الإماراتِ وذهبُوا يَنطقونه مثلَهم، ويُستعملُ في مناطقَ أخرى من دول الخليج العربيّ.

ومنَ المعلوم أنّ زيادةَ الباء في الأفعال بعضٌ من سماتِ اللّهجاتِ الدّارجةِ، فالعامّةُ يقولون: (بَعْملُ) بمعنى (أعملُ)، و(بَشاهدُ) بمعنى أشاهدُ، وفلان (بِطْبخ) أو (بِيَطْبخ) بمعنى (يطبخُ)، وكذلك (بِيَلْعب)، و(بِيَدْرس) وهكذا، ولا ريبَ أنّ هذا مخالفٌ للعربيّة وليس منَ الفصيح، ونجدُها زِيدت في الفعل رأى زيادةً ليس لها معنى، ولعلّهم استغْنَوا بها عنِ الهمزة لما فيها من ثِقل فيقولون:(براويك) بدلاً من (أُريك)، ثمّ أضافُوا على اللّفظِ ما يُصلحُ بنيتَه.

أمّا زيادةُ الواو فقد وجدنا لها صورةً مقاربةً منها في الاستعمالاتِ العربيّةِ لهذا الفعل، في النّصّ الذي نقلتُه عنِ ابن فارس في قوله: «وَحكى ابْنُ الأَعرابي: عَلَى رِيَّتِكَ أَي رُؤْيَتِكَ، وفيه ضَعَةٌ، وحَقيقَتُها أنه أراد رُؤيَتك فَأَبْدَلَ الهمزةَ وَاوًا إِبْدَالاً صَحيحًا، فَقَالَ: رُويَتِك، ثُمَّ أَدغَمَ لأَنَّ هَذِهِ الواوَ قَدْ صَارَتْ حرفَ علَّة لمَا سُلِّط عَلَيْهَا مِنَ البَدَل فَقَالَ رُيَّتِك». والذي يبدو لي أنّ التّفسيرَ الصّوتيَّ للهجةِ الإمـارات ( براويك) أنّ في اللّفظ قلبًا، فالأصلُ (أرْئيك ) بحيث تُخفّفُ الهمزةُ وتُصبحُ ألفًا (أرَايـك) بعد نقل حركتها وهي الفتحةُ إلى الرّاء قبْلها، ثمّ تُزاد الواو عوضًا منَ الهمزة التي تلاشت، فتصبحُ (أراويك). ثمّ تُحذفُ الهمزةُ من أوّل الكلمة وتُبدلُ

باءً جريًا على سَنن العامّيةِ الدّارجةِ في إبدالِ حروفِ المضارعة باءً في قولهم: بيدْرس في يدرسُ، وبِلْعب أو بِيَلعب في (يلعبُ)، فقالوا (براويك) في (أراويـك)، ثمّ أوصلُوا به منَ الضّمائر ما يحتاجون إليه (براويه) و(براويكم)، و(براويها)، وجميعُها بمعنى (أريهم) أو (أريك) على حسب الضّمير.

إنّ هذا الانحراف ليس أقلَّ سوءًا مِن انحراف لهجةِ أهلِ الشّام في نُطقِهم لهذا الفعل، ففي بلادِ الشام – ولستُ أعلمُ شيوعَه في بلدانٍ عربيّةٍ أخرى- يقولون: أورّيك، وبورّيك، وأفرجيك، ويقولون في الماضي: ورّيتك، وفرجيتك، وكلُّها بمعنى أريك، والشّيءُ نفسُه مع ضمير الغائب، فيقولون: بورّيه، وأفرجيه، ووريّته وفرجيته، وقد نجدُ لهذا التّشكيل تفسيرًا في كلمة (أورّيه). فأصلُها (أرئيه) حسب القياس، وتُحذفُ عينُ الكلمة، والقياسُ حذفُها في الفعل المضارع وبعضِ صُوَر الماضي كما في قوله تعالى: {أراكهم} و{يريكهم}، ثمّ ضُعّفتِ الرّاءُ طلبًا للمبالغة، وزادوا الواوَ عوضًا منَ الهمزة المحذوفةِ التي هي عينُ الكلمة، مع نقلِها قبل فاءِ الكلمة. ولا نستبعدُ وجهًا آخرَ لتفسير التّطوّر، وهو نقلُ الهمزةِ التي هي عينُ الكلمة قبل الفاء، فتصبحُ (أأريه)، ثمّ تخفيفُ الهمزة الثّانية بإبدالها ألفًا تخلُّصًا من توالي الهمزتَين فتصبحُ (آريه)، ثمّ إبدالُ الألف واوًا؛ بسبب الضّمّة قبْلَها، فتصبحُ (أوريه) ثم تضعّفُ الرّاء طلبًا للمبالغة، أو منعًا للّبسِ مع لفظة (أُورِيه) بمعنى أخفيه.

وليس هذا الاستعمالُ بدعًا في العامّيةِ المعاصرةِ بل عدّه العلماء لحنًا فيما ورد منه مِن استعمالاتٍ في التّراث، فقد ذكر الجواليقيُّ ما نصُّه:«وقد أريته كذا أُريه، ولا تقل: أريته أورّيـــه»(10)، واللّفظةُ الأخيرةُ في النّصّ هي عينُها ما يطالعُنا في الاستعمالاتِ العاميّةِ الدّارجةِ، مع تنوُّعاتٍ في ضمير المتكلّم والمخاطبِ والغائبِ، ولعلّ هذا الاستعمالَ الجاريَ على الألسنةِ الآن رسوباتٌ منَ اللّحنِ القديمِ الذي شاعَ في مرحلةٍ منَ الزّمن. وإذا قارنّا بين نُطق أهلِ الإماراتِ (أراويه) وأهلِ الشّام (أورّيه)، نجد بينهما تقارُبًا مع اختلافٍ في القلبِ المكانيِّ، ففي لهجةِ الخليجِ حافظتْ فاءُ الكلمةِ على موقعِها، وفي لهجة الشّامِ تأخّرتِ الفاءُ وقُدّمتِ الواوُ، ولا أستبعدُ أن تكون الألفُ في (أراويه) في لهجة الخليج هي ألفَ المفاعلة، مثل (أشارك) و(أصافح)، ثمّ استقرّت في الاستعمالِ على أنّها أصلٌ.

أمّا قولهم: (أفَرْجيه وأوَرْجيه، وبَفَرْجيه وبَوَرْجيه) بمعنى (أُريه) فليس لهذه الأفعال وجهٌ في التّفسيراتِ الصّوتيّةِ على أنهّما صورةٌ من (أريه منَ الرّؤية). فالذي يبدو لي أنّهم من الجذر (ف رج) بمعنى (كشف)، نحو قولهم : أَفْرَجُوا عَنِ الطّريق، وأَفْرَجَ القَوْمُ عَنِ القَتيل، إِذا انكَشَفوا لِيرَاهَ النّاسُ(11)، ونقولُ الآن: فلانٌ فُرجة للنّاس، أي يتفرّجون عليه ويشاهدونه، ونقول: يتفرّجون على التّلفاز أو على المباراة، وتفرّجوا بمعنى شاهدوا، ولهذا أرى أنّ الاستعمالَ العاميَّ في قولهم: أفَرْجيْه وأوَرْجيْه بالمعنى نفسِه، ولكنّهم يَبدلون الفاء واوًا في بعض صُوَر الاستعمالِ اللّهجيّ، وهذا الإبدالُ له نظائرُ في اللّهجاتِ الدّارجةِ، أمّا زيادةُ الباء في أوّل الفعلِ فما هي إلّا امتدادٌ لزيادتِها في صِيَغ الأفعال في العامّيةِ الدّارجةِ، ولهذا يلتقِي هذا التّصريفُ مع الفعل (يرى) من ناحيةِ الدّلالة، وليس من حيث المبنى.

وتوجدُ سياقاتٌ لُغويّةٌ تحدّدُ دلالةَ الفعلِ، فليس منَ الضّروريِّ أن تدلَّ على الرّؤيةِ البصريّةِ، فكثيرًا من هذه الاستعمالاتِ تُستعملُ في معرضِ التّهديدِ لطرفٍ آخرَ والتّربّصِ به، وهذا يشيعُ في بعض الدّولِ العربيّةِ وليس حصرًا في بيئةٍ معيّنةٍ، ففي قولِهم: واللهِ، لأفرجيه وأورجيه وأورّيه، قد تعني أعاقبُه، وأُنزلُ به مكروهًا، وقد

> **”توجدُ سياقاتٌ لُغويّةٌ تحدّدُ دلالةَ الفعلِ، فليس منَ الضّروريِّ أن تدلَّ على الرّؤيةِ البصريّةِ، فكثيرًا ما تُستعمَلُ في معرِض التّهديد لطرفٍ آخر والتّربّصِ به، وهذا يشيعُ في بعض الدّولِ العربيّةِ وليس حصرًا في بيئةٍ معيّنةٍ.**

يكون هذا منَ التّوسّعِ الدّلاليِّ الذي يجعلُ من رؤية الأمورِ المعنويّةِ ما يُشبه الرّؤيةَ البصريّةَ.

إنّ تنوُّعاتِ هذا الفعلِ الأدائيّةَ التّراثيّةَ الفصيحةَ منها، وتلك التي خالفتْ قياسَ العرب، فضلاً على تنوُّعاتِه اللّهجيّةِ وتطوُّرِه الدّلاليّ، تجعلُ من هذا الفعل ميدانًا رحبًا للبحث العلميّ، لا سيما أنّ تَكرارَه في الذِّكر الحكيم زاد على (250) مائتين وخمسين موضعًا، ولذلك نُوصِي أن يكون هذا الموضوعُ مهدًا لدراسةٍ علميّةٍ موسَّعةٍ تحيطُ بجوانبه، وتتتبّعُ تطوُّرَ استعمالاتِه ودلالاتِه عبْرَ العصور، وتكشفُ تنوُّعاتِ أدائِه في اللّهجاتِ قديمًا وحديثًا.

---

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء (ت 395هـ). مقاييس اللغة. تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الفكر، بيروت، 1979، ج2، ص 472–473.

(2) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ). لسان العرب. ط3، دار صادر، بيروت، 1993، ج14، ص 291.

(3) المبرّد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت 285هـ). المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، ط1، عالم الكتب، بيروت، ج1، ص 165.

(4) المبرّد، المقتضب، ج1، ص 162.

(5) ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (ت 392هـ). الخصائص. تحقيق: محمد علي النجّار، ط3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، ج3، ص 97.

(6) الزبيدي، محمّد مرتضى. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: جماعة من المختصين، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠١ م، ج38، ص 103–104.

(7) الخطيب، عبداللطيف. معجم القراءات. دار سعد الدين للطباعة والنسر، القاهرة، ط1، ج10، ص 506–507.

(8) الخطيب، معجم القراءات. ج10، ص 53–505.

(9) مكرم، عبدالعال سالم، عمر، أحمد مختار. معجم القراءات. ط2، 1988، ج8، ص 53–505.

(10) الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد.التكملة والذيل على درة الغواص = التكملة فيما يلحن فيه العامة، تحقيق: عبد الحفيظ فرغلي علي قرني، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ص 911.

(11) الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. ج6، ص 146.

---

# حِـكَـمٌ وَآدَابٌ



**قَالَ أَحَدُ الشُّعَرَاءِ فِي وَصْفِ الْحِلْمِ وَالْوَقَار:**

أُحبُّ مَكارِمَ الأَخْلاقِ جَهْدِي ... وَأَكْـرَهُ أَنْ أَعِـيبَ وَأَنْ أُعَابَا

وَأَصْفَحُ عَنْ سِبَابِ النَّاسِ حِلْمًا ... وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السِّبَابَا

وَمَـنْ هَـابَ الـرِّجَـالَ تَهَيَّبُوهُ ... وَمَنْ حَقَرَ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

# التّرادفُ عند علماءِ اللّغة



محمد عبد الحميد
كاتب - مصر

**يحتاجُ هذا البحثُ إلى مقدّمةٍ قد تطولُ بعضَ الشّيء، ولكنّنا نراها في هذا المقام واجبةً، فمنَ المسلَّم به أنَّ الإسلامَ والعروبةَ هما سِمةُ هذه الأمّة، المكوِّنةُ لنسيجِ شخصيتها والمميِّزةُ لها عن غيرها، وأنَّ لُغةَ الإسلامِ هي العربيّةُ، فهي لسانُ القرآنِ وهي الوعاءُ الفكريُّ الذي وعَى الحضارةَ العربيّةَ في ذروةِ ازدهارها، واتّساعِ آفاقِها وامتدادِها الرّحيبِ في الجوانبِ التّشريعيّةِ والفكريّةِ والوجدانيّة. ولم يكن ذلك محْضَ مُصادفةٍ، بل لِما تتّسمُ به من خصائصَ تجعلُها في موضعِ القمّةِ منَ اللّغاتِ المتطوّرة. يقسمُ علماءُ «فقه اللغة» ألسُنَ الأُمم، إلى بدائيّةٍ ولَصقيّةٍ، ومتطوِّرةٍ، ويَضعون العربيّةَ في الذّروةِ من هذا القسم الأخير، من حيث المرونةُ، والصّورةُ المتعدّدةُ في تراكيبِ المفردِ والجملةِ، على أنَّ ميزاتِها العُظمى تتمثّلُ في «الاشتقاق» الأكبرِ الذي تنفردُ العربيّةُ بسَعةِ آفاقِه، ومرونتِه، وتعدُّدِ صُوَرِه وأشكالِه، وتنوُّعِ دلالاتِه ومعانيه عنِ اللُّغاتِ التي تشتركُ معها في صفةِ التّطوّر.**

وكأنَّ الله عزَّ وجلَّ أعدَّ العربيّةَ بذلك لتكونَ لُغةَ القُرآن، وليأتيَ التّحدّي والإعجازُ الإلهيُّ من هذا الجانبِ، جانبِ الفصاحة والبيان: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88)، ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (يونس: 38). فالقرآنُ المعجزُ وسعتْه العربيّةُ، وكانت لسانَه العربيَّ المبينَ.

ومن هذا الجانب منَ البيان والإفصاح جاء لفظُ «العرب» ولفظُ «العجم»، فالأوّلُ منَ الوضوح والبيان، يقال: «أعربَ عمّا في نفسه» إذا أظهر مقاصدَه، وأبان عنها، وأعربَ عنه لسانُه: أبان وأفصحَ، والثّاني: منَ الإعجام بمعنى الخفاءِ والإبهام، والانغلاق، فيقالُ لغير الفصيح أعجميٌّ، ويقال للأخرس أعجميٌّ، كما يقال: «أعجم الباب» إذا انغلق.

وإلى جانب الاشتقاق ميزةِ العربيّة التي لا تُجارى، حيث يُعطي للمادّة الواحدة عشراتِ الصِّيَغ، ومعنى ذلك أنّه يُعطيها عشراتِ المعاني والدّلالات، وعشراتِ الاستخدامات، يأتي التّرادفُ ليكون رافدًا جديدًا موسّعًا لآفاق هذه اللّغة، ومُريحًا لأصحابِها في الدّلالة على ما يَقصدون من خلال مساحاتٍ واسعة، ينبسطُ فيها مجالُ التّعبير عنِ الشّيء الواحدِ، فقد وعتِ العربيّةُ للأسد خمسمئةَ اسم، وللحيّةِ مئتين، وقد جمع ذلك «ابنُ خالَويه» كما توصّلَ «دوهامر» إلى جمع أكثرَ من خمسةِ آلاف وستمائة لفظٍ تتّصلُ «بالجمل» وشئونه المختلفة كما أنّ هناك مئاتٍ منَ المدلولاتِ لكلّ واحدٍ منها عشراتُ المترادفاتِ.

ولكنْ من علماءِ العربيّةِ من يُنكرُ التّرادُفَ، ويلتمسُ فُروقًا دقيقةً بين الكلماتِ التي يُظنُّ فيها اتّحادُ المعنى، فأبو العبّاس أحمدُ بنُ يحيى المعروفُ بـ«ثعلب» يرى أنَّ ما يُظنُّ أنّه منَ المترادفاتِ هو منَ المتبايناتِ، وقال أبو عليّ الفارسيّ: كنت بمجلس سيفِ الدّولة بحلبَ، فقال ابنُ خالَويه: «احفظُ للسّيف خمسين اسماً، فتبسّم أبو علي، وقال: ما أحفظُ له إلّا اسمًا واحدًا هو «السيف»، قال ابنُ خالَويه: فأين المهنّدُ والصّارمُ وكذا وكذا، فقال أبو علي: «هذه صفاتٌ».

وقد كان هذا الاختلافُ بين من يقولون بالتّرادفِ، ومن ينكرونَه مجالَ رحمةٍ كما يقول الأثر «اختلافهم رحمة»؛ فقد دلَّ هذا الاختلافُ على العقليّة العربيّةِ الواعيةِ الحافظةِ من جانبٍ والمدقِّقة الممحّصةِ من جانبٍ آخرَ، كما سدَّ على المستشرقين دعواهُم المغرضةَ ضدَّ هذه اللّغةِ الجميلة، فإذا لم نتعصّبْ في لُغتِنا الجميلةِ هذه لرأيٍ واحدٍ منهما نَجمدُ

**يأتي التّرادفُ ليكون رافدًا جديدًا موسّعًا لآفاق هذه اللّغة، ومُريحًا لأصحابِها في الدّلالة على ما يَقصدون من خلال مساحاتٍ واسعةٍ، ينبسطُ فيها مجالُ التّعبير عنِ الشّيء الواحدِ، فقد وعتِ العربيّةُ للأسد خمسمئة اسمٍ، وللحيّةِ مئتين.**



عنده، ونرفضُ مقابلَه، فإنّ اللّغةَ العربيّةَ في جانبِ التّرادفِ تعطِي سَعةً وثروةً في لُغة التّعبير، وإيحاءً في لُغةِ الأدب، واتّساقًا مع الوزنِ والقافيةِ في موسيقا الشّعرِ.

**لُغةُ الأفهامِ ولُغةُ العلم**

وفي جانبِ التّبايُنِ عند من يُنكرُ التّرادُفَ تُعطي استخداماتٍ محدّدةً، في لُغةِ الأفهامِ ودقّةً متناهيةً في لُغةِ العلم، واصطلاحاتٍ مميّزةً في منهج الفكر، وإيحاءاتٍ مقصودةً منتقاةً في لُغةِ الأدب والشّعر. المهمُّ أن نستخدمَ كلَّ جانبٍ فيما يقتضِيه الحالُ، دون تصلُّبٍ عند رأيٍ سابقٍ، فلكلِّ مقامٍ مقالٌ.

وهذه الثّروةُ في المترادفاتِ أصبحتْ في نظرِ الاستشراقِ مطعنًا في اللّغةِ العربيّةِ وربّما آنَ الأوانُ ليعلمَ الكافّةُ كما علمَ المتعمِّقون منَ الخاصّةِ، أنَّ الاستشراقَ يهدف بعضه، إلى التّشكيك في تراثِنا، وفي عظمةِ لُغتنا، فهو يزعمُ أنَّ العربيّةَ ليست لُغةَ علم، لخلوِّها منّ الدّقّةِ المحدّدةِ، وأنَّ عقلَ العربيِّ عقلٌ سطحيٌّ، يقفُ عند الشّكلياتِ والمظاهرِ، والصُّوَر الخارجيّةِ دون أن يتعمّقَ إلى الدّاخلِ، أو يلاحظَ الفروقَ الدّقيقةَ، فهو يطلقُ الألفاظَ بالعشراتِ لمجرّدِ التّشابُهِ الخارجيِّ. ويتّخذُ الاستشراقُ بُرهانَه على دعواهُ من هذه المترادفاتِ التي لا صلةَ بينَها - في زعْمِ المستشرقين- إلّا مجرّدُ المدلولِ الخارجيِّ، ينظرُ العربيُّ إلى الشّيء منَ الخارجِ ثمّ ينطلقُ في سيْلٍ منَ المترادفات دون وعْيٍ، فأصبحَ اتّساعُ اللّغةِ في نظرِ هؤلاء المستشرقين مأخذًا من مآخذِ الطّعنِ فيها، ويحضرُنا هنا قولُ الشّاعرِ العربيِّ:

**إذا محاسِني اللّاتي عُرِفتُ بها**
**كانت ذنوبي فقلْ لي كيفَ أعتذرُ؟**

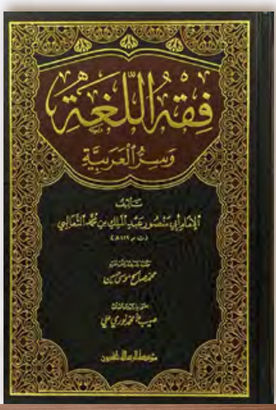
على أنَّ شفيعَنا هنا هو الاختلافُ الذي سبقَ أن أشرْنا إليه عند من ينكرُ التّرادفَ، ويحدّدُ لكلِّ لفظٍ منه دلالةً على شيءٍ معيّنٍ مغايرٍ لصاحبِه. والقُرآن الكريم- كتابُ العربيّةِ المُعجزُ- سلكَ طريقَ التّرادُفِ أحيانًا، وسلك طريقَ التّبايُن أحيانًا، فهو يستخدم هذه المترادفاتِ في دلالاتٍ إيجابيّةٍ مختلفةٍ. ومن أمثلةِ ذلك: مادة «نِعَمْ».

فالقُرآن الكريم حين يتحدّثُ عن نِعَمِ الدّنيا، يستخدمُ لفظَ «النّعمة» مثل {وما بكم من نعمة فمن الله}، {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها}، {وقال رب أوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي}، {فأصبحتم بنعمته إخوانا}. وقد

ورد لفظُ "نعمة" منكّرًا أو مضافًا إلى لفظِ الجلالةِ الظّاهر، أو إلى ضميرِه في الخطاب، أوِ التّكلُّمِ أوِ الغيبةِ كالأمثلةِ التي أوردْناها، وكلُّها خاصّةٌ بالدّنيا من خيرٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو إيمانٍ، أو علمٍ أو حكمةٍ.

وحين يتحدّثُ القُرآنُ الكريم عن «النّعيم» فإنّه يخصُّه بالآخرة، مثل {وجنات لهم فيها نعيم مقيم}، {جنات تجري من تحتم الأنهار في جنات النعيم}، {واجعلني من ورثة جنة النعيم}، {وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً}. وقد جاء لفظُ «النّعيم» معرَّفًا أو منكّرًا في سبعةَ عشر موضعًا كلُّها تختصُّ بالآخرةِ إلا في لفظٍ واحدٍ في سورة «التّكاثر» في آية {ثم لتسألن يومئذ عن النعيم}، وربّما سوّغَ ذلك مقابلتُه للَفظِ «الجحيم»الواردِ في السّورة قبْلَه، ولأنَّ السّؤال عن ذلك يأتي في الآخرة.




**مادة «ابن آدم»:**

وألفاظُ «الإنسان»، «والبشر»، و«ابن آدم» مدلولُها اللّغويّ في الثّلاثة واحد، ولكنَّ القرآنَ يستخدمُ كلَّ لفظٍ في إيحاءٍ معيّنٍ، فلفظ «بشر» لمجرّدِ الدّلالةِ على ذلك الكائنِ المعيّنِ دون إيحاءٍ بتكريمٍ أو تعنيفٍ ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾، ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾، ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

بينما لفظُ «الإنسان» يستخدمُه القرآنُ الكريم في صورته الغالبةِ، في معرضِ التّهوينِ أوِ الذّمّ، أوِ التّوبيخِ، مثل ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾، ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾، وغيرِ ذلك منَ الأمثلةِ التي تُوحِي بالتّهوينِ والتّقليلِ.

ومثل ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾، ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ﴾، ﴿وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾، ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾، وغيرِ ذلك منَ الأمثلةِ التي توحِي بالذّمّ والتّوبيخِ.

ويأتي لفظُ «بني آدم» في معرض التّكريمِ أوِ النّصحِ غالباً، مثل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، بينما نحن في تعبيراتِنا المعاصرةِ نستخدمُ لفظَ «بشر» أو «بني آدم» في معرض الحديثِ عنِ النّقصِ أوِ الخطأِ وكأنّه طبعٌ في البشر، بينما نستخدمُ لفظَ «إنسان» في موضعِ التّكريمِ والتّنزيهِ، وأخذْنا منه مصدرًا صناعيًّا هو «الإنسانية» للحديثِ عنِ السّموّ والرّقيّ والتّحضُّر، الأمرُ الذي يُنبئُ - مع الأسف - عن أنّنا نتطوّرُ في دلالاتِنا الإيحائيّةِ اللّغويّةِ بمنأى أو في غفلةٍ عنِ القرآنِ الكريم.

**مادّة «القسم»**

كذلك يطالعُنا لفظُ "أقسم" ولفظ «حلف» وهما بمعنًى واحدٍ في المترادفات، ولكنَّ القُرآنَ الكريم يستخدمُ لفظَ «أقسم» عند إرادةِ التّأكيدِ ونفيِ الشّكّ والارتيابِ عنِ المقسومِ عليه، ويستخدمُ لفظَ «حلف» عند الحنثِ والكذبِ، فمن الأول: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾، وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ٧٧﴾، ﴿إِذْ أَقْسَمُوا

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾.

ومنَ الثّاني وهو استخدامُ لفظِ «حلف» عند الحنثِ والكذبِ، ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾، ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾، ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، ولعلّنا نلحظُ دقّةَ التّعبيرِ القُرآنيّ في هذا اللّفظ، ومناطُ الحكمِ الشّرعيِّ فيه في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾، فلو كان التّعبيرُ القرآنيّ «إذا أقسمتم» بدلاً من {إذا حلفتم} لترتّبَ وجوبُ كفّارةِ اليمين بمجرّدِ القسم، ولكنَّ لفظَ «حلفتم» على امتداد النّسقِ القرآنيّ المطّردِ يجعلُه خاصًّا بالحنثِ، فلا تجبُ الكفّارةُ إلّا عند الحنثِ في اليمين، ولْننظرْ إلى بقيّةِ الآيةِ الكريمةِ، ليطالعَنا الأمرُ الإلهيُّ في قوله: {واحفظوا أيمانكم} أي: باعدوا بينها وبين مواطنِ الحنثِ.

## مُترادفاتٌ لمعنًى واحدٍ

فهذه أمثلةٌ للنّسقِ القُرآنيِّ في المترادفاتِ يُراعي القُرآن فيها الفروقَ الدّقيقةَ فيستخدمُ كلَّ لفظٍ في معناهُ وإيحائِه الدّقيقِ الخاصِّ به. ويطالعُنا إلى جانبِ ذلك نسقٌ آخرُ منَ القرآن الكريم يستخدمُ فيه المترادفاتِ المتعدّدةَ للمعنَى الواحدِ في مواضعَ مختلفةٍ، ولا يقصدُ منه إلّا المعنَى العامَّ الجامعَ لها، مثالُ ذلك «فعلَ، وعملَ»، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾، فالعملُ جاء في الخير والشّرّ، ومثلُه الفعل، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، فاللّفظان يُطلَقان على أداء العملِ أيًّا كان نوعُه دون تفريقٍ قرآنيٍّ بينهما.

ومثالُ ذلك «الفُلْك والسّفينة، والجارية»، ففي الحديثِ عن نوح عليه السلام: {ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه}، {فأنجيناه وأصحاب السفينة}، {إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية}، وفي الحديث عنِ النّاس عامّة: {وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون}، {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها}، {ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام}.

فعلى الرّغمِ من أنَّ لكلِّ لفظٍ إيحاءَه الخاصَّ ومعناه الاشتقاقيَّ المتميّزَ، إلّا أنّنا لا نجدُ نسقًا مطّردًا في القرآن الكريم، استخدمَ فيه لفظ «الكتاب» في مواضعَ معيّنةٍ والتزمَه دون غيره، وهكذا يقالُ في الذِّكر والقرآنِ والفُرقانِ، بلِ استخدمَ القُرآنُ الكريم هذه المفرداتِ في معناها العامِّ الجامعِ الذي يَعني «كلام الله المنزّل على عبده ورسوله"»، ومثلُ ذلك في القرآن كثيرٌ.

وخلاصةُ البحثِ: أنَّ اللّغة العربيّةَ بمترادِفاتِها تُعطي السَّعةَ والثّروةَ والتّيسيرَ لمن أرادَ، وتُعطي الدّقّةَ والتّحديدَ لمن أراد أيضًا، وقد كفانا اختلافُ اللُّغويّين القُدامَى في التّرادُفِ، والجهدُ الواضحُ الذي بناه كلُّ فريقٍ مؤونةَ الرّدِّ على المستشرقين، وسدُّوا عليهم بابَ كلِّ مَطعَنٍ، ثمَّ جاء الفيصلُ الحاسمُ في النّسقِ التّعبيريِّ في القُرآن الكريم، فالقرآنُ الكريمُ بنَسَقِه في التّرادُفِ أعطَى اللُّغةَ العربيّةَ الدّقّةَ المطلوبةَ، كما أعطاها السَّعةَ المرغوبةَ.

> **إنّ اللّغةَ العربيّةَ بمترادِفاتِها تُعطي السَّعةَ والثّروةَ والتّيسيرَ لمن أرادَ، وتُعطي الدّقّةَ والتَّحديدَ لمن أراد أيضًا، وقد كفانا اختلافُ اللُّغويّين القُدامَى في التّرادُفِ، والجهدُ الواضحُ الذي بناه كلُّ فريقٍ مؤونةَ الرّدِّ على المستشرقين، وسدُّوا عليهم بابَ كلِّ مَطعَنٍ.**

# القاموس الـمُحيط




معجَمٌ لغويٌّ موسوعيّ، صنَّفه الإمام مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي (729–817هـ / 1329–1415م)، يُعَدُّ من أشهرِ معاجمِ العربيَّة وأكثرِها رواجًا واستعمالاً على مدى قرون، لما تميَّزَ به من حُسنِ العبارة، وسلاسَة العرضِ، وغزارَة المادَّة، وسهولة التَّناول، وقد فرغ مؤلِّفه من تصنيفِه أوائلَ القرنِ التّاسع الهجريِّ بعد جُهدٍ طويل في جمعِ موادِّه وتنقيحِها.

استندَ الفيروزآبادي في تأليفِ مُعجمِه إلى أُمّات المصادرِ المُعجميَّة، مثل: الصّحاح للجوهريّ، والمُحكَم والمُحيط الأعظم لابن سيده، وتهذيب اللُّغة للأزهريّ، والنِّهاية في غريبِ الحَديث لابن الأثير وغيرِها، مع إضافات كثيرة من استقرائه الشَّخصيّ، ومن شواهِد القرآنِ والحَديثِ والشِّعر، فجمعَ بين دقَّة الاختيارِ، وشُمولِ المادَّة، ووجازَة الصِّياغة.

نَظَّمَ المؤلِّف موادَّ مُعجَمِه وِفقَ الجَذرِ الصَّرفيِّ المجرَّدِ من أحرفُ الزِّيادَة، مُعتَمِدًا التَّرتيبَ القائم على الحرفِ الأخيرِ من الجَذرِ بابًا، ثمَّ الحرف الأوَّل فالثّاني، وهو نظامٌ شاعَ لاحقًا لما فيهِ من تيسيرٍ في استخراجِ القوافي، وخدمةِ مَقاصِد البلاغَة وفُنونِ الشِّعر، كما حَفلِ المُعجَم بشواهدَ مُتنَوِّعة، ممّا جعلهُ خزانةً لُغويَّة ماتِعَة، تجمعُ بينَ الدِّقَّةِ والإيجاز، وتُشكِّلُ مَرجِعًا لا غِنى عنهُ للدّارِسين والباحِثين في العلومِ المُختلِفة.




# مُعجَمّيات

- رحلة في المعـجم التّاريخـيّ مع الجذر (ق ر أ)
- التحديـاتُ المُعجميّةُ في إعدادِ مُعجمٍ عربيٍّ مُعاصـرٍ للمُصـطلحاتِ المُسـتحـدَثـةِ

# رحلة في المعجم التّاريخيّ مع الجذر (ق ر أ)

**تُعدّ دراسة التغيّرات والتعدّدات الدّلالية للألفاظ إحدى المحاور البحثيّة الأساسيّة في علم اللّغة الحديث، إذ تكشف عن البُعد الزمني للغة، وتمنح الباحثين رؤية أكثر عمقًا لحركة الدلالة وتفاعلها مع السياق الحضاري والثقافي. فالكلمة كائن حيّ يتبدّل بتبدّل الزمن ويكتسب الدّلالات ويفقدها تبعًا لاختلاف البيئات والوظائف التّداوليّة. وقد أشار سابير إلى هذه الحقيقة الجوهرية بقوله "إن المعنى هو على الأرجح أقلّ عناصر اللغة مقاومةً للتغيّر" ، وهي ملحوظة تؤكّد أن الألفاظ، مهما بلغت من رسوخ صيغها الصوتية أو انتظامها الصرفي، فإن معانيها تظلّ عرضةً للاتّساع أو التضييق، وللتحوّل أو التخصّص، وللانتقال من الماديّ إلى المجازي، ومن السياقي إلى الاصطلاحي، وفق ما يقتضيه الحال والاستعمال.**



شيماء عبدالغفور
باحثة في مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

وفي ضوء ما تقدّم تبرز أهمية المعاجم التاريخية التي لا تكتفي برصد المعنى كما هو عليه في الحاضر، بل تُعنى بتتبّع سيرة الكلمة، منذ أوّل ظهورٍ لها في المتون اللغويّة التي وصلت إلى أهل اللّغة، مرورًا بمراحل تشكّل معناها، وتحوّلاته، وتفرّعاته. وهي بذلك تُقدّم للباحث ما يشبه "السجلّ الزمني" للمفردة، وتُمكّنه من تأصيل المعاني وتفسيرها وفق تتابعها التاريخي، لا وفق تصنيفها الوصفي الآني فقط. وقد نبّه عدد من اللغويين العرب المحدثين إلى الحاجة المُلحّة لاعتماد منهج تاريخي في دراسة الألفاظ العربيّة، ودعوا إلى تبنّي مشروع علمي موسّع يُعنى برصد تحوّلات الدلالة وتوثيق استعمالات الألفاظ في سياقاتها الزمنيّة المتعاقبة فجاء مشروع "المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة" ليسدّ هذه الفجوة، وليُعيد بناء المعنى العربي في ضوء منهجٍ لغويّ تاريخي، يُراعي تطوّر المعنى وتعدد الاستعمالات.

ومن الجذور التي تتجلّى فيها سعة الدّلالة وتنوّع الاستعمالات في العربيّة جذر (ق ر أ)، لا سيما وأن الوحي الشريف استُهلّ به، إذ كان أوّل ما أنزله الله تعالى على نبيّه محمد ﷺ قوله: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1]. وقد اصطفى الله تعالى لكلامه العظيم اسم (القرآن) وهو مشتقٌّ من هذا الجذر.

رصد المعجم التاريخي للغة العربية لهذا الجذر ستّة معانٍ كليّة كبرى تنبثق عنها دلالات فرعية، هي: التلاوة والنظر في المكتوب، والحمل والولادة، والحيض أو الطهر، والدنو، والبعد أو المغيب، والجمع. وتعدّدت الاستعمالات المشتقّة من هذه المعاني في المدونة العربية، حتى سجّل المعجم ما مجموعه تسعةً وعشرين مدخلًا للجذر. والواقع أن وجود صلة بين هذه الدلالات وتحديدها من الصعوبة بمكان، فقد لا تكون الروابط بين المعاني المتعددة للكلمة الواحدة واضحة بالضرورة عند النظرة الأولى؛ بفعل تغيّر الزمن وغياب الشواهد الحاسمة، قد تتباعد فروع الدلالة الواحدة في مساراتها الاستعمالية، فتنشأ بينها فروقات دقيقة تُوهِن الرابطة المفاهيمية المباشرة، وربما تُنبئ أحيانًا بانفصال دلالي.




## الأصل الدّلاليّ

يورد المعجم التاريخيّ في مُستهلّ تأريخه لجذر (ق ر أ) وروده في النقوش العربية القديمة بدلالات تكاد تطابق دلالاته اليوم؛ فقد جاء في عددٍ من النّقوش العربية الشماليّة، من بينها نقش صفائي غير مؤرّخ، ورد فيه الفعل (قرأ) بصيغة (qrʾ) بمعنى يقرأ، وتتضمّن عبارته: «السَّلامَةَ لِلَّذي يَقْرأُ هذِهِ الكِتابَةَ».

ويُشير هذا الاستعمال المبكّر إلى أن دلالة "القراءة" ـ بمعنى النظر في الكتابة وفهمها ـ كانت حاضرة في اللغة العربيّة منذ العصور السّابقة للتدوين الإسلاميّ، ما يمنحها بُعدًا تاريخيًا يعزّز ثبات المعنى وامتداده.

في حين يذهب ابن فارس إلى أن أصل دلالة الجذر هي دلالة مادية تشير إلى الجمع والضم، ويورد ذلك في معجمه مقاييس اللغة ضمن الجذر (ق ر ي): «القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدلُّ على جمعٍ واجتماعٍ. من ذلك القَرْية، سمِّيت قريةً لاجتماع النَّاس فيها... وإذا هُمِز هذا البابُ كان هو والأوّلُ سواءً»، ويُرجع ابن فارس في تحليله الدلالي تقلّبات الجذر (ق ر أ) جميعها إلى تلك الدلالة الماديّة إذ يقول: «قالوا: ومنه القُرآن، كأنَّه سمِّي بذلك لجَمعِه ما فيه من الأحكام والقِصَص وغيرِ ذلك فأمَّا أقْرأَتِ المرأةُ فيقال إنَّها من هذا أيضاً. وذكروا أنَّها تكون كذا في حال طُهرها، كأنَّها قد جَمَعَتْ دمها في جوفها فلم تُرْخِه».

**ويثبت المعجم التاريخي هذه الدلالة ويستشهد عليها من كتاب الله العزيز:**

4-21: و ـــ القُرْآنَ: جَمَعَهُ وحَفِظَهُ في قَلْبِهِ.

**(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)**

قالَ مُقاتِلُ بْنُ سُلَيْمانَ (ت: 150هـ=767م) يُفسِّرُ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: 06]:

سَنُقْرِؤُكَ القُرْآنَ يا مُحَمَّدُ نَجْمَعُهُ في قَلْبِكَ».

مقاتل بن سليمان، التفسير. تح: عبد الله شحاتة، ج: 4، ص: 669.

**وفي موضع آخر:**

1-9: و ـــ الشَّيْءَ قَرْءًا وقُرْآنًا: جَمَعَهُ.

**(س)** (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

بِهِ فُسِّرَ في القُرْآنِ الكَريمِ (11هـ=633م) قَوْلُ الله تعالى يُخاطِبُ نَبِيَّهُ:

﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 18].

*****

**(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)**

قالَ مَعْمَرُ بْنُ المُثَنَّى (ت: 209هـ=825م) يُفَسِّرُ قَوْلَهُ تَعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 18]:

«فإذا قَرَأْناهُ: جَمَعْناهُ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

أبو عبيدة، مجاز القرآن. تح: فؤاد سزكين، ج: 2، ص: 282.

## تأريخٌ للمدخل المعجميّ (قرآن)

يوثّق المعجم التاريخي للغة العربيّة أنّ أوّل حضور للمدخل المعجميّ «قُرآن» (وهو اسم) كان مع نزول الوحي على النبي محمد ﷺ، في إشارة إلى كلام الله المنزّل:

| 22: قُرْآن | اسم |
|---|---|

22–1: ⁂ **القُرْآنُ**: كَلامُ اللهِ تَعالى، الـمُعْجِزُ، الـمُنَزَّلُ عَلى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِواسِطَةِ جِبْريلَ عليه السلام، الـمَكْتوبُ في الـمَصاحِفِ، الـمَنْقولُ بِالتَّواتُرِ، الـمُتَعَبَّدُ بِتِلاوَتِهِ، الـمَبْدوءُ بِسورَةِ الفاتِحَةِ، والـمُخْتَتَمُ بِسورَةِ النّاسِ.

**(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)**

في القُرْآنِ الكَريمِ (11هـ=633م) قالَ الله تعالى يَذْكُرُ فَضْلَ شَهْرِ رَمَضانَ:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: 185].

وقالَ النَّبِيُّ ﷺ (ت: 11هـ=632م) يَذْكُرُ نُزولَ القُرْآنِ عَلى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ:

«إِنَّ هَذا القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ».

البخاريّ، الصحيح. تح: صدقي العطّار، ص: 1286.

ويدلّ هذا الظهور الأوّل لهذا الاشتقاق في السياق الإسلامي على أثر الإسلام العميق في تطوير اللّغة العربيّة، إذ حمل معه ألفاظًا جديدة ودلالات مخصوصة ترتبط بجوهر الرسالة الإلهيّة الكريمة. ويُمثّل اسم "قُرآن" أنموذجًا لما أحدثه الإسلام من تحوّلات دلالية ومعجميّة في ألفاظ اللغة. وكذلك لم يقتصر أثر القرآن الكريم على نشوء هذا الاسم المخصوص به، بل نشأت علوم جديدة تهدف إلى خدمته وفهمه وتفسيره، وقد أثبت المعجم التاريخي للغة العربية الكثير من المتلازمات والمصطلحات المرتبطة بهذه العلوم، مؤرّخًا لبداياتها وتطوّرها، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

22–2: ○ و**أُمُّ القُرْآنِ**: اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ سُورَةِ الفاتِحَةِ.

22–3: ○ و**القُرْآنُ العَظيمُ** (في عُلومِ القُرْآنِ): اسْمٌ مِنْ أَسْماءِ سورَةِ الفاتِحَةِ، وهِيَ سورَةٌ مَكِّيَّةٌ، تَرْتيبُها: الأَوَّلُ، وتَرْتيبُ نُزولِها: الخامِسُ، وعَدَدُ آياتِها: سَبْعٌ، وتَقَعُ في الجُزْءِ الأَوَّلِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سورَةِ الـمُدَّثِّرِ، مِنْ أَسْمائِها: الحَمْدُ، وفاتِحَةُ الكِتابِ، وأُمُّ الكِتابِ، والسَّبْعُ المَثاني، والواقِيَةُ، والكافِيَةُ، والشِّفاءُ، والشّافِيَةُ، والرُّقْيَةُ، والكَنْزُ، والأَساسُ، والنّورُ، وسورَةُ الصَّلاةِ، وسورَةُ تَعْليمِ الـمَسْأَلَةِ، وسورَةُ الـمُناجاةِ.

22–4: ○ و**القُرْآنُ المَدَنِيُّ** (في عُلومِ القُرْآنِ): ما نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلى الـمَدينَةِ، ولَوْ كانَ النُّزولُ بِمَكَّةَ.

22–5: ○ و**القُرْآنُ المَكِّيُّ** (في عُلومِ القُرْآنِ): ما نَزَلَ مِنَ القُرْآنِ قَبْلَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلى الـمَدينَةِ، ولَو كانَ النُّزولُ بِغَيْرِ مَكَّةَ.

21–2: ○ و**عِلْمُ القِراءاتِ**: عِلْمٌ يُعْنى بِجَمْعِ القِراءاتِ القُرْآنِيَّةِ وبَيانِ الخِلافِ بَيْنَ أَئِمَّتِها وذِكْرِ أَسانيدِهِمْ.

## تعدّد الدلالة في جذر (ق ر أ) وأثره في التأويل الفقهي

يحمل الجذر (ق ر أ) -كما ورد آنفًا- تعددًا دلاليًّا لافتًا، وهذا التعدّد لا يبقى حبيسًا في الحقل اللسانيّ فحسب، بل يُحدث أثرًا مباشرًا في فهم النصوص الدينيّة واستنباط الأحكام الشرعيّة، خصوصًا في القرآن الكريم، حيث ترد الألفاظ المتعدّدة المعاني في سياقات تشريعيّة دقيقة. ويُدرك الفقهاء هذا المعطى، إذ يتعاملون مع هذه المفردات بوصفها وحدات دلاليّة تتطلّب النظر في السياق، وفي مقاصد النّصّ وفق ضوابط مُحكمة يضطلع بها أهل الاختصاص من الفقهاء والمفسّرين.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك كلمة «القُرء»، المشتقّة من الجذر ذاته، والتي أثارت اختلافًا فقهيًّا بين من رأى أنّ معناها هو الحيض، ومن قال إنّها تدلّ على الطهر. ويعكس هذا المثال مدى

تأثير تعدّد المعاني اللغويّة على بناء الحكم الفقهي واختلاف المدارس التأويليّة في مقاربتها للنصّ، وقد أورد المعجم التاريخي هذا التعدد الدلالي، إذ ينقل بداية عن الأزهريّ:

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ الأَزْهَرِيُّ (ت: 370هـ=981م):

«قَرَأَتِ المَرْأَةُ إذا طَهُرَتْ، وقَرَأَتْ إذا حاضَتْ». (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

الأزهري، تهذيب اللغة. تح: هارون، ج: 9، ص: 274.

ومن ثمّ يسلط الضوء على التّعدد الدلالي الذي رصده المفسرون في قوله جلّ من قائل: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: 228]، على النحو الآتي:

19-1: ❋ القَرْءُ والقُرْءُ: الطُّهْرُ. (ج) أَقْراءٌ وقُروءٌ وأَقْرُؤٌ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ الأَعْشى (ت: 7هـ=628م) يَمْدَحُ رَجُلًا بِغَزْوَةٍ غَزاها:

وفي كُلِّ عامٍ أَنْتَ جاشِمُ غَزْوَةٍ
تَشُدُّ لِأَقْصاها عَزيمَ عَزائِكا
مُوَرِّثَةٍ مالًا وفي الأَصْلِ رِفْعَةً
لِما ضاعَ فيها مِنْ قُروءِ نِسائِكا

[جَشِمَ: تَكَلَّفَ مَتاعِبَ الغَزْوِ، العَزيمُ: الشَّديدُ، العَزاءُ: الصَّبْرُ]

أبو عبيدة، مجاز القرآن. تح: فؤاد سزكين، ج: 1، ص: 126.

(د م) (657هـ/1259م) إلى (1213هـ/1798م)

قالَ القُرْطُبِيُّ (ت: 671هـ=1273م) يَذْكُرُ عِدَّةَ المُطَلَّقَةِ:

«إذا طَلَّقَ في آخِرِ الطُّهْرِ، فبَقِيَّةُ الطُّهْرِ قَرْءٌ».

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. تح: عبد الله التركي، ج: 21، ص: 34.

**ومن ثمّ أورد الضّد:**

19-2: و ـــــ: الحَيْضُ (ضِدٌّ).

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ مُقاتِلُ بْنُ سُلَيْمانَ (ت: 150هـ=767م) يُفَسِّرُ قَوْلَهُ تَعالى:

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة: 228]:



«{وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ}: يَعْني ثَلاثَ حِيَضٍ».

مقاتل بن سليمان، التفسير. تح: عبد الله شحاتة، ج: 1، ص: 194.

## جذر (ق ر أ) في العلوم الحديثة

إنَّ التأمُّل في الجذور المعجميّة العربيّة، والتّعامل مع مفرداتها بما تحمله من سمات دلالية ثرية، يتيح إمكانات توليديّة غنيّة تُفضي إلى خلق مفردات جديدة. إذ إنَّ في الطاقة الاشتقاقيّة للجذر العربي ما يُمكّن اللغة من مواكبة التحوّلات المعرفيّة والعلميّة عبر العصور، ومن إنتاج ألفاظ ومصطلحات تستجيب لمتطلّبات كلّ مرحلة، عوضًا عن استيراد مفردات أجنبيّة قد تؤثر سلبًا على هويّة اللغة، وهي بذلك تستثمر منظومتها الاشتقاقيّة الخاصّة، مستفيدةً من مرونتها الصرفيّة وسِعة جذورها في توليد المعاني.

ومن اللافت أنّ هذا الاشتقاق لا يقتصر على المفردات التراثيّة أو الدينيّة، بل يمتد ليشمل حقولاً علميّة حديثة كالفيزياء، وعلوم الأعصاب، والفلسفة، والنقد، والمنطق، والذكاء الاصطناعي، وسواها. وهذا ما يُؤكّد قدرة اللغة العربيّة على الانخراط في المعجم المعرفي العالمي، بوصفها منظومة قادرة على الإبداع الاصطلاحي من داخلها، اعتمادًا على منطق الجذر والوزن والسياق.

ويمثّل الجذر (قرأ) شاهدًا على إنتاج مصطلحات علمية جديدة أثبتها المعجم التّاريخيّ وأرّخ كيف أنتجها العقل العربي، ومن ذلك:

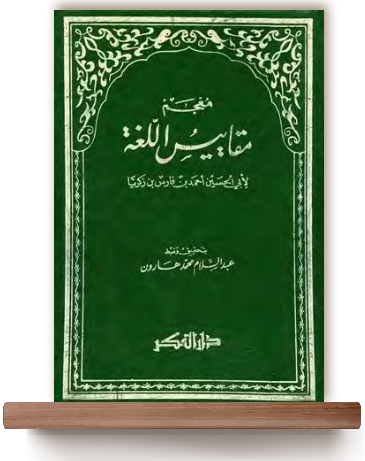
12-3: o **والاسْتِقْراءُ التّامُّ:** أَحَدُ نَوْعَيِ الاسْتِقْراءِ في البَحْثِ، يَقومُ عَلى تَتَبُّعِ جَميعِ الجُزْئِيّاتِ لِلوُصولِ إلى حُكْمٍ كُلِّيٍّ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

**قالَ الغَزاليُّ (ت: 505هـ=1111م) يَذْكُرُ إفادَةَ الاسْتِقْراءِ:**

«فَإذَنْ حَصَلَ مِنْ هَذا أَنَّ الاسْتِقْراءَ التَّامَّ يُفيدُ الظَّنَّ، فَإذَنْ لا يُنْتَفَعُ بالاسْتِقْراءِ مَهْما وَقَعَ خِلافٌ في بَعْضِ الجُزْئِيَّاتِ، فَلا يُفيدُ الاسْتِقْراءُ عِلْمًا كُلِّيًّا بِثُبوتِ الحُكْمِ لِلمَعْنى الجامِعِ لِلجُزْئِيَّاتِ، حَتَّى يُجْعَلَ ذلِكَ مُقَدِّمَةً في قِياسٍ آخَرَ لا في إثْباتِ الحُكْمِ لِبَعْضِ الجُزْئِيَّاتِ».

الغزالي، معيار العلم. تح: سليمان دنيا، ص: 163.







***

12-4: o **والاسْتِقْراءُ النّاقِصُ**: أَحَدُ نَوْعَيِ الاسْتِقْراءِ في البَحْثِ، يَقومُ على تَتَبُّعِ أَكْثَرِ الجُزْئِيّاتِ دونَ اسْتِقْصائِها؛ لِلوُصولِ إلى حُكْمٍ كُلِّيٍّ يَشْمَلُها.

**وفي علوم السياسة والاقتصاد:**

20-11: o **والقِراءَةُ السِياسِيَّةُ/الاقْتِصادِيَّةُ**: تَفَهُّمُ الخِطابِ أَوِ النَّصِّ وتَحْليلُهُ مِنْ وِجْهَةِ نَظَرٍ سياسِيَّةٍ أَوِ اقْتِصادِيَّةٍ وِفْقَ سِياقِ الأَحْداثِ.

**(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)**

قال عَبْدُ الحَكيمِ الصّادِق (1421هـ=2000م) تاريخ النّشر، (ت:1364هـ= 1945م) في عُنْوانِ مَقالَةٍ لَهُ:

«مُراجَعاتٌ في السّيرَةِ والتّاريخِ، قِراءَةٌ سياسِيَّةٌ لِنُصوصِ بَيْعَةِ العَقَبَةِ».

مجلّة البيان الصّادرة عن المنتدى الإسلاميّ. تاريخ: 2000، العدد 154، ص: 30.

## الجذر (ق ر أ) في العبارات الاصطلاحيّة اليومية

يميل العقل البشري بطبيعته إلى توليد المفاهيم، مستثمرًا السمات الدلاليّة الكامنة في كل وحدة لغويّة لبناء تراكيب جديدة تعبّر عن معانٍ مركبة أو مجرّدة، تتجاوز المعنى المعجمي الأصليّ للكلمة دون الانفصال عنه. وهذا التوسّع لا يحدث عبر الاشتقاق فحسب، بل أيضًا من خلال سبك العبارات الاصطلاحيّة والمتلازمات اللفظية التي تترسّخ في الاستعمال اليومي حتى تُصبح بمثابة وحدات دلالية متكاملة، لا تُحيل إلى المعنى الحرفيّ.

هذا التوسّع الدلالي لم يكن ليحصل لولا الطّبيعة الإدراكية للإنسان التي تميل إلى إسقاط المفاهيم المحسوسة على التّجريدات الذهنية، وهو ما يجعل المجاز –ولا سيّما الاستعارة– حاضرًا بقوة في اللغة اليوميّة. وقد أدرك بعض اللغويين العرب الأوائل ذلك، ومنهم ابن جنيّ (تـ392هـ) الذي صرّح بأن: «أكثر اللغة – مع تأمّله – مجاز لا حقيقة» . وهذا ينسجم مع ما يؤكده علم اللغة المعاصر من أن المجاز لا يُعدّ محض تزيين بياني، بل هو آليّة بنيوية لتوليد الدلالة، حاضرة حتى في اللغة العلميّة التي يُظنّ أنها محايدة ومباشرة تمامًا.

وتُظهر المتلازمات الاصطلاحية المعاصرة المتصلة بالجذر (ق ر أ) كيف تُنتج اللغة معاني جديدة من خلال الاستعمال التراكمي والمجازي، ومن ذلك:

1-18: o **قرأَ ما بَيْنَ السُّطورِ**: فَهِمَ الأَمْرَ الـمُضْمَرَ، اسْتَشَفَّ الـمَعْنى الضِّمْنِيَّ.

**(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)**

قال مُحَمَّد تَقِيّ الدِين النَّبْهانيّ (1355هـ=1936م) تاريخ النّشر، عَنْ مَدارِسِ الشُّيوخِ ومَدارِسِ الشَّبابِ في الأَدَبِ:

«فَالزَّيّاتُ وطه حُسَيْنٌ وهُما مِنْ دُعاةِ التَّجْديدِ لا تَقْرَأُ لَهُما

لُغَةً ولا تَمُرُّ بِفِكْرَةٍ حَتّى تَقْرَأَ ما بَيْنَ السُّطورِ الـمُحافَظَةَ عَلى التُّراثِ القَديمِ».

مجلّة الرسالة. تاريخ 1936م، العدد: 147، ص: 49.

تمثّل عبارة «قــراءة ما بين السطور»أحد الاستعمالات الاصطلاحية الحديثة لفعل «قرأ»، وهي تعبّر عن توسّع دلالي نابع من القدرة الاشتقاقية للّغة العربية واستعداد العقل البشري لاستثمار السمات الدلالية للكلمات، ففي هذا الاستخدام، لم تعد «القراءة» فعلاً حسيًّا مرتبطًا بالنّص المكتوب فحسب، بل أصبحت تشير إلى الفهم العميق، والتأويل، واستخلاص المعاني الخفية، أما «السطور» فلا تشير إلى الحروف، بل أصبحت رمزًا للظاهر، وما «بينها» يرمز للمضمر والمستتر.

**وكذلك:**

20-4: o **وقِراءَةُ الأَفْكارِ**: القُدْرَةُ عَلى مَعْرِفَةِ أَفْكارِ الغَيْرِ بِطُرُقِ اتِّصالٍ خارِجَةٍ عَنْ نِطاقِ الإِدْراكِ الحِسِّيِّ.

**(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)**

قالَ مُحَمَّد رَشيد رضا (1350ه=1931م) تاريخُ النَّشر، يَذْكُرُ التَّجْديدَ في عِلْمِ النَّفْسِ:

«صارَ التَّنْويمُ الـمِغْناطيسِيُّ مِنَ الحَقائِقِ الثّابِتَةِ بِالتَّجارِبِ الـمُطَّرِدَةِ، وما تَبِعَ ذلِكَ وتَقَرَّرَ مِنْ بَعْضِ أَنْواعِ الكَشْفِ الَّذي يُعَبِّرونَ عَنْ بَعْضِهِ بِقِراءَةِ الأَفْكارِ وبِمُراسَلَةِ الأَفْكارِ».

مجلّة المنار. تاريخ 1931م، العدد32، ص: 33.

وتمثّل هذه العبارة خروج (القراءة) عن معناها الأصلي الحسّي، لتدلّ على معرفة ما يدور في ذهن الآخر دون الإفصاح عنه، أي عن طريق وسائل غير مباشرة تتجاوز الإدراك الحسيّ الظاهر.

ومن ذلك كذلك:

20-5: o **والقِراءَةُ الأولى/الثّانِيَةُ**: مُناقَشَةُ الأَمْرِ والـمَسْأَلَةِ لِلمَرَّةِ الأولى أَوِ الثّانِيَةِ قَبْلَ البَتِّ فيها.

**(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)**

قال عَبْدُ الكَريمِ يونُس الخَطيب (ت:1390هــ= 1971م) يُفَسِّرُ قَوْلَ اللهِ تَعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: 106]:

«فَعَلى القِراءَةِ الأولى، يَكونُ مِنَ النِّسْيانِ ... وعَلى القِراءَةِ الثّانِيَةِ يَكونُ مِنَ النَّسأِ».

عبد الكريم يونس، التّفسير القرآني للقرآن. دار الفكر، ج:1، ص: 150.

والواقع أنه يمكن عدّ مثل هذه المجازات مجازاتٍ ميتة، إذ إنها غير قادرة على إحداث حالة دهشة لدى متحدّث اللغة الأصليّ، وذلك لكثرة تواترها، بيد أنّ هذه المجازات الميتة قد كانت يومًا ما مجازات حية مبتدعة، وعلى مستوى المعجم فإن المعجم يرصد التوسع الدلالي الذي أحدثته المجازات الميتة للوحدة المعجمية ، في حين أنّه لا يرصد المجازات الحية.

## ختامًا

**بالنظر إلى ما تقدّم من تحليل دقيق وتتبّع تاريخي لجذر (ق ر أ) في المعجم التاريخي للغة العربيّة، تتجلّى أهمية هذا المشروع المعجمي الرائد في كونه لا يكتفي بتقديم معنى الكلمة في صورتها المعاصرة، بل يعود بها إلى أصولها الأولى، متتبّعًا تحوّلاتها في الزمان والمكان، مستعرضًا طيف استعمالاتها في النصوص، وشواهدها في السياقات المتعاقبة، وتقلّباتها بين المادي والمجازي، والديني واليومي، والعلمي والفقهي. ومن هنا فإن المعجم التاريخي لا يُعدّ مجرد أداة لغوية، بل هو سجلّ حضاري يعكس الوعي العربي بتحوّلات معانيه، ويُيسّر للباحثين واللغويين والمفسّرين والفقهاء أدوات الفهم العميق والاستنباط الرصين.**

**غير أنّه من الصعوبة بمكان الإحاطة بجميع ما أورده المعجم من تعدّدات دلاليّة واستعماليّة وشواهد غنيّة في مقال واحد محدود في كلماته؛ إذ إن المعجم يرصد تاريخ اللغة العربية الممتدّ عبر قرون طويلة، ويُعيد بناء صورتها المعجمية في ضوء منهج علمي صارم. وما هذا العرض إلّا محاولة لالتقاط أبرز ملامح الجذر (ق ر أ) كما وثّقها المعجم، في إشارة إلى إمكانات هذا المشروع في كشف الأنساق الداخلية للغة، وربطها بتاريخها الثقافي والمعرفي. ومن هنا تبرز الحاجة إلى مزيد من الدراسات المتخصّصة التي تغوص في أعماق الجذور المعجميّة العربيّة، مستفيدة من ثراء هذا المنجز المعجمي وتنوع مواده.**

# التّحديّاتُ المُعجميّةُ في إعدادِ مُعجمٍ عربيٍّ مُعاصرٍ للمُصطلحاتِ المُستحدَثةِ

**يشهدُ العالمُ المعاصرُ تغيُّراتٍ متسارعةً في مجالاتِ الحياةِ؛ العلميّةِ، والتقنيّةِ، والاقتصاديّةِ، والاجتماعيّةِ، والإعلاميّةِ كافّةً. وقد نتجَ عن هذه التغيُّراتِ مفاهيمُ جديدةٌ تُصاحِبُها مُصطلحاتٌ مستحدَثةٌ بوتيرةٍ لم نألفْها من قبلُ. ولكي تبقى اللغةُ العربيّةُ قادرةً على استيعابِ هذه المفاهيمِ والمصطلحاتِ والتعبيرِ عنها بدقّةٍ ووضوحٍ، كان لزامًا على المؤسّساتِ اللغويّةِ والباحثينَ في حقلِ اللغةِ عملٌ مضاعفٌ لمواكبةِ هذا التطوّرِ(1).**

**وتظلُّ المعاجمُ اللغويّةُ، بوصفها سجلاً حيًا للُّغةِ ومرآةً تعكسُ تطوّرَها، هي الأداةَ الأهمَّ في تكوينِ ذاكرةٍ لغويّةٍ مُعاصرةٍ لهذه المصطلحاتِ. فالمعجمُ المعاصرُ للمصطلحاتِ المستحدَثةِ ليسَ مجرّدَ قائمةٍ بكلماتٍ جديدةٍ، بلْ هو دليلٌ يُرشِدُ المستخدمَ إلى معنى المصطلحِ، ومجالِ استخدامِه، وكيفيّةِ توظيفِه في السياقاتِ المختلفةِ.**



د. محمود حلمي
كاتب وباحث - مصر

لكنّ إعدادَ مثلِ هذا المعجمِ تعترضُهُ جملةٌ من التحدّياتِ الجِسَامِ، لا سيّما في لغةٍ كاللغةِ العربيّةِ لها تراثٌ عظيمٌ، ولها مجتمعاتٌ ناطقةٌ متباينةٌ في مستوياتِ الاستخدامِ اللغويِّ ومدى الاحتكاكِ بالمعارفِ الحديثةِ.(2)

لذا كان من الضّروريِّ علينا تسليطُ الضّوءِ على أبرزِ التحدّياتِ النظريّةِ والعمليّةِ التي تُواجِهُ القائمينَ على مشاريعِ إعـدادِ المعاجمِ العربيّةِ المعاصرةِ التي تُعنى بالمصطلحاتِ المستحدَثةِ في مجالاتِ الحياةِ المختلفةِ، ومناقشةِ بعضِ الحلولِ المقترحةِ لتجاوزِ هذه التحدّياتِ، سعيًا لتعزيزِ مكانةِ اللغةِ العربيّةِ لغةً للعلمِ والمعرفةِ في العصرِ الحديثِ.

**1. التحدّياتُ النظريّةُ في تحديدِ نطاقِ المصطلحِ المُستحدَثِ ومعاييرِ قبولِه**

من أبرزِ التحدّياتِ التي تُواجِهُ عمليّةَ تأليفِ معجمٍ للمصطلحاتِ المستحدَثةِ هو التحديدُ النظريُّ الدقيقُ لما يُعدُّ مصطلحًا مستحدَثًا في سياقِ اللغةِ العربيّةِ. فهل المصطلحُ المستحدَثُ هو فقط ما وردَ من اللغاتِ الأجنبيّةِ وتمّ تعريبُه بالاقتراضِ أو النحتِ أو التعريبِ الصوتيِّ؟ أم يشملُ أيضًا الألفاظَ القديمةَ التي اكتسبتْ معانيَ جديدةً في سياقاتٍ عصريّةٍ (كلفظِ "سيّارةٍ" الذي كان يعني القافلةَ ثمّ أصبحَ يعني المركبةَ ذاتَ المحرّكِ)؟ أم يشملُ التراكيبَ اللغويّةَ التي ظهرتْ في مجالاتٍ معيّنةٍ للتعبيرِ عن مفاهيمَ مركّبةٍ؟ إنّ غيابَ تعريفٍ واضحٍ ومُتَّفَقٍ عليه لنطاقِ «المصطلحِ المستحدَثِ» يجعلُ عمليّةَ جمعِ المادّةِ وتصنيفِها عمليّةً صعبةً ومُعرَّضةً للاختلافِ بين المؤلّفين.

يُضافُ إلى ذلكَ التحدّي المتعلّقُ بمعاييرِ قبولِ المصطلحِ؛ فليسَ كلُّ مصطلحٍ يُستحدَثُ يكونُ سليمًا من الناحيةِ اللغويّةِ أو مناسبًا للتعبيرِ عن المفهومِ الجديدِ. فهل نقبلُ المصطلحَ الذي شاعَ استخدامُه حتى وإنْ كان فيه لحنٌ أو مخالفةٌ للقياسِ؟ أم نلتزمُ



بمعاييرَ صارمةٍ للاشتقاقِ والنحتِ والتعريبِ؟ وما المعاييرُ التي نعتمدُها لتفضيلِ مصطلحٍ على آخرَ عندما يتعدّدُ المصطلحُ العربيُّ للمفهومِ الواحدِ (كاختلافِ التعبيرِ عن مصطلحِ Information Technology: تقنيةُ المعلوماتِ، تكنولوجيا المعلوماتِ، تقانةُ المعلوماتِ)؟(3)، تتطلّبُ هذه القضايا وضعَ أطرٍ نظريّةٍ ومنهجيّاتٍ واضحةٍ ومُتّفَقٍ عليها قبلَ البدءِ في العملِ المعجميِّ، وهذا بحدِّ ذاته تحدٍّ كبيرٌ في ظلِّ تعدّدِ المجامعِ اللغويّةِ والمؤسّساتِ المعنيّةِ بالمصطلحاتِ في العالمِ العربيِّ.

**2. التحدّياتُ العمليّةُ في جمعِ المادةِ وصياغةِ التعاريفِ**

إذا تجاوزْنا التحدّياتِ النظريّةَ، فإنّ التحدّياتِ العمليّةَ في إعدادِ معجمٍ للمصطلحاتِ المستحدَثةِ تُعتبَرُ أكثرَ مواجهةً وتأثيرًا مباشرًا على سيرِ المشروعِ. أوّلُ هذه التحدّياتِ هو عمليّةُ جمعِ المادةِ اللغويّةِ نفسِها.

**من أبـرزِ التحدّياتِ التي تُواجِهُ عمليّةَ تأليفِ معجمٍ للمصطلحاتِ المستحدَثةِ هـو الـتـحـديـدُ الـنـظـريُّ الدقيقُ لما يُعدُّ مصطلحًا مستحدَثًا في سياقِ اللغةِ العربيّةِ.**

فالمصطلحاتُ الجديدةُ تتولّدُ باستمرارٍ في مجالاتٍ علميّةٍ وتقنيّةٍ سريعةِ التغيّرِ (كالفيزياءِ، والكيمياءِ، والطبِّ، والهندسةِ بأنواعِها، وتقنيّةِ المعلوماتِ، والذكاءِ الاصطناعيِّ، وعلومِ الفضاءِ)(4)، وفي مجالاتِ اقتصادٍ جديدةٍ (كالاقتصادِ الرقميِّ، والعملاتِ المشفَّرةِ)، وفي مجالاتِ إعلامٍ واتّصالٍ (كوسائلِ التواصلِ الاجتماعيِّ، والإعلامِ الرقميِّ)، وفي مجالاتِ ثقافةٍ وفنونٍ.

يتطلّبُ جمعُ هذه المصطلحاتِ فِرَقَ عملٍ متخصّصةً لا تجدُ صعوبةً في فَهمِ النصوصِ الأجنبيّةِ التي تَرِدُ فيها هذه المصطلحاتُ أوّلًا، ولا تجدُ صعوبةً في تتبّعِ مصادرِها الأصليّةِ (كمؤتمراتٍ علميّةٍ، ودوريّاتٍ متخصّصةٍ، وتقاريرَ فنّيّةٍ، ومنشوراتٍ على المنصّاتِ الرقميّةِ). كما أنّ الاعتمادَ على المدوَّناتِ اللغويّةِ الكبيرةِ (Corpora) باللّغتينِ الأصليّةِ والعربيّةِ يُعدّ أمرًا حيويًّا لتحديدِ المصطلحاتِ الأكثرِ شيوعًا واستقرارًا (5).

ثمّ تأتي صِياغةُ التعريفِ المعجميِّ لكلِّ مصطلحٍ، وهو تحدٍّ لا يقلّ صعوبةً؛

فالتعريفُ يجبُ أن يكونَ دقيقًا يُوضّحُ معنى المصطلحِ بما لا يَـدَعُ مجالاً للالتباسِ مع مصطلحاتٍ أُخرى قريبةٍ منه في المعنى، ويكونَ في الوقتِ نفسِه واضحًا ومختصرًا ومُبسَّطًا قدرَ الإمكانِ ليفهمَه غيرُ المتخصّصِ. كما يجبُ أن يُبيِّنَ المجالَ الذي ينتمي إليه المصطلحُ (هل هو مصطلحٌ طبّيٌّ؟ هندسيٌّ؟ اقتصاديٌّ؟). ويُصبحُ هذا التحدّي أكبرَ عندما يكونُ المصطلحُ مجرَّدًا أو مركّبًا من عدّةِ كلماتٍ، أو عندما يكونُ للمصطلحِ عدّةُ دلالاتٍ في المجالِ الواحدِ أو في مجالاتٍ مختلفةٍ. يتطلّبُ هذا التحدّي تعاونًا وثيقًا بين أهلِ اللغةِ وأهلِ الاختصاصِ في المجالِ المعنيِّ لضمانِ دقّةِ التعريفِ المفاهيميِّ وسلامةِ صياغتِه اللغويّةِ.

ومن التحدّياتِ العمليّةِ الأخرى كيفيّةُ تمثيلِ المادةِ المعجميّةِ؛ فمجرّدُ شرحِ المعنى لا يكفي دائمًا، فقد يحتاجُ المستخدمُ إلى أمثلةٍ على استخدامِ المصطلحِ في جُملٍ وفِقَراتٍ ليفهمَ كيف يتوظّفُ في سياقِه الطبيعيِّ، كما قد تكونُ هناك حاجةٌ إلى رسومٍ بيانيّةٍ أو صورٍ توضيحيّةٍ، خاصّةً في المصطلحاتِ التقنيّةِ أو العلميّةِ المتعلّقةِ بأجهزةٍ أو مكوّناتٍ، وهذا يتطلّبُ جهدًا إضافيًّا في إعدادِ المادةِ البصريّةِ وربطِها بالمصطلحِ.

### 3. تحدّياتُ التوحيدِ والتقنينِ في ظلِّ تعدّدِ الجهودِ:

تُعاني اللغةُ العربيّةُ من غيابِ مرجعيّةٍ موحَّدةٍ وقويّةٍ لتقنينِ وتوحيدِ المصطلحاتِ على مستوى العالمِ







> **إنّ مشكلةَ انتشارِ المصطلحاتِ الأجنبيّةِ بشكلِها الأصليِّ أو المُعرَّبِ صوتيًا في وسائلِ الإعلامِ، وحتّى في بعضِ الأوساطِ الأكاديميّةِ، قبلَ أن يتمّ تقنينُها واعتمادُ مقابلاتِها العربيّةِ، تُمثّلُ تحدّيًا آخرَ.**

العربيِّ بأكملِه، فهناك عدّةُ مجامعَ لغويّةٍ، وهيئاتٍ، ومنظّماتٍ تعملُ في حقلِ توحيدِ المصطلحاتِ وتعريبِها، لكنّ جهودَها لا تتّسمُ دائمًا بالتنسيقِ الكاملِ أو الاتّفاقِ التامِّ. قد تُقدِّمُ مجامعُ مختلفةٌ مصطلحاتٍ متباينةً لنفسِ المفهومِ، وقد تتبنّى منهجيّاتٍ مختلفةً في التعريبِ (كالتعريبِ التامِّ مقابلَ الاقتراضِ المعَرَّبِ صوتيًّا). هذا التعدّدُ والتباينُ يُصعّبانِ على مؤلِّفِ المعجمِ اختيارَ المصطلحِ الأنسبِ لإدراجِه في المعجمِ، وقد يجدُ نفسَه مضطرًّا لذكرِ المصطلحاتِ البديلةِ، ممّا قد يُسبّبُ بعضَ الحيرةِ للمستخدمِ غيرِ المتخصّصِ الذي يبحثُ عن المصطلحِ "الصحيحِ" أو «المعتمَدِ»(5) .

كما أنّ مشكلةَ انتشارِ المصطلحاتِ الأجنبيّةِ بشكلِها الأصليِّ أو المُعرَّبِ صوتيًّا في وسائلِ الإعلامِ، وحتّى في بعضِ الأوساطِ الأكاديميّةِ، قبلَ أن يتمّ تقنينُها واعتمادُ مقابلاتِها العربيّةِ، تُمثّلُ تحدّيًا آخرَ؛ فقد يشيعُ مصطلحٌ أعجميٌّ بشكلٍ كبيرٍ في استخدامِ الناسِ، بينما تجتهدُ المجامعُ في وضعِ مقابلٍ عربيٍّ أصيلٍ له. فهل يُدرِجُ المعجمُ المصطلحَ الأعجميَّ الشائعَ؟ وهل يُشيرُ إلى المصطلحِ العربيِّ الذي تقترحُه المجامعُ ولم يَشِعْ بعدُ؟ وكيف يُوازِنُ بين الاستخدامِ الفعليِّ للّغةِ وبين الجهودِ التقنينيّةِ؟، إنّ الموازنةَ الدقيقةَ بين الانحيازِ للفصحى والأصالةِ، وبين مواكبةِ الواقعِ اللغويِّ الذي فرضتْه







التحدّياتُ العصريّةُ، هو تحدٍّ كبيرٌ يتطلّبُ حكمةً ورؤيةً بعيدةَ المدى من واضعي المعاجمِ.

**4. التحدّياتُ التقنيّةُ والمواردُ البشريّةُ:**

لم يَعُدْ إعدادُ المعاجمِ في العصرِ الحديثِ يقتصرُ على الجهدِ اليدويِّ أوِ الاعتمادِ على البطاقاتِ الورقيّةِ؛ فقد أصبحتِ التقنيّةُ أداةً أساسيّةً لا غنى عنها في جمعِ المادةِ اللغويّةِ (خاصّةً من المدوَّناتِ الرقميّةِ)، وفي تنظيمِها وتصنيفِها، وفي صياغةِ المادةِ المعجميّةِ نفسِها، وفي نشرِ المعجمِ وتحديثِه (سواءٌ كان نشرًا رقميًّا أو مطبوعًا). إلّا أنّ استخدامَ التقنيّةِ يَجلُبُ معه تحدّياتٍ خاصّةً؛ فقد تكونُ البنيةُ التحتيّةُ التقنيّةُ لبعضِ المؤسّساتِ اللغويّةِ غيرَ كافيةٍ، وقد تكونُ البرمجيّاتُ المتخصّصةُ في صناعةِ المعاجمِ مكلّفةً أو تحتاجُ إلى تطويرٍ لتتناسبَ مع خصوصيّةِ اللغةِ العربيّةِ.

علاوةً على ذلك، فإنّ إعدادَ معجمٍ للمصطلحاتِ المستحدَثةِ يتطلّبُ فِرَقَ

> **لم يَعُدْ إعدادُ المعاجمِ في العصرِ الحديثِ يقتصرُ على الجهدِ اليدويِّ أوِ الاعتمادِ على البطاقاتِ الورقيّةِ؛ فقد أصبحتِ التقنيّةُ أداةً أساسيّةً لا غنى عنها في جمعِ المادةِ اللغويّةِ (خاصّةً من المدوَّناتِ الرقميّةِ).**

عملٍ متعدّدةَ التخصّصاتِ. لا يكفي أن يكونَ الفريقُ مكوَّنًا من لغويّينَ ومعجميّينَ فقط، بل يجبُ أن يضمَّ أيضًا خبراءَ في المجالاتِ العلميّةِ والتقنيّةِ والاقتصاديّةِ وغيرِها، كما قد يحتاجُ إلى خبراءَ في تقنيّةِ المعلوماتِ وصناعةِ البرمجيّاتِ. إنّ توفّرَ هذه الكوادرِ المؤهَّلةِ، وضمانَ التواصلِ الفعّالِ بين أعضائِه من تخصّصاتٍ مختلفةٍ، وتدريبَهم على المنهجيّاتِ الحديثةِ في صناعةِ المعاجمِ وإدارةِ المصطلحاتِ، كلّها تُشكّلُ تحدّياتٍ كبرى لا يمكنُ تجاوزُها دون استثمارٍ حقيقيٍّ في المواردِ البشريّةِ وتطويرِ القدراتِ.

وممّا يزيدُ الأمـــرَ صعوبةً أنّ المصطلحاتِ المستحدَثةَ في تدفّقٍ مستمرٍّ وتغيّرٍ دائمٍ؛ فالمصطلحُ الذي يكونُ سائدًا اليومَ قد يظهرُ له بديلٌ غدًا، أو قد يتطوّرُ معناه. هذا يعني أنّ المعجمَ لا يمكنُ أن يكونَ عملًا منتهيًا، بل يجبُ أن يكونَ مشروعًا مستمرًّا يخضَعُ للتحديثِ والتنقيحِ باستمرارٍ ليَبقى مواكبًا لتطوّرِ اللغةِ والمعارفِ. وتتطلّبُ عمليّةُ التحديثِ المستمرِّ مواردَ ماليّةً وبشريّةً وتقنيّةً مستدامةً، وهذا بحدّ ذاته تحدٍّ كبيرٌ يحتاجُ إلى دعمٍ مؤسّسيٍّ قويٍّ ورؤيةٍ طويلةِ الأجلِ(7).

**5. حُلولٌ ومُقترَحاتٌ لتجاوزِ التحدّياتِ:**

للتغلّبِ على التحدّياتِ السابقةِ، يتطلّبُ الأمرُ جهودًا مُكثّفةً وتعاونًا مشتركًا بين المؤسّساتِ اللغويّةِ والأكاديميّةِ والمهنيّةِ في العالمِ العربيِّ. ومن أبرزِ الحُلولِ والمقترَحاتِ التي يمكنُ أن تُسهمَ في ذلك:

أوّلًا: تعزيزُ التعاونِ والتنسيقِ بين المجامعِ اللغويّةِ العربيّةِ: فينبغي للمجامعِ أن توحّدَ جهودَها في وضعِ المنهجيّاتِ المتعلّقةِ بالتعريبِ والتقنينِ،

وأن تتبادَلَ قوائمَ المصطلحاتِ التي تقومُ بتقنينِها لتجنّبِ الازدواجيّةِ والتبايُن. يمكنُ تشكيلُ لجانٍ مشتركةٍ أو اعتمادُ منصّةٍ رقميّةٍ موحّدةٍ لعرضِ المصطلحاتِ المقترحةِ والمقنَّنة.

ثانيًا: الاستثمارُ في تقنيّاتِ اللّسانيّاتِ الحاسوبيّةِ وصناعةِ المدوَّناتِ اللغويّة: يتطلّبُ جمعُ المصطلحاتِ وتتبعُ استخدامِها الاعتمادَ على أدواتٍ تقنيّةٍ متقدّمةٍ. يمكنُ بناءُ مدوَّناتٍ ضخمةٍ للنصوصِ العربيّةِ في مختلفِ المجالاتِ لتحديدِ المصطلحاتِ الأكثرِ شيوعًا ولدراسةِ سياقاتِ استخدامِها. كما يمكنُ تطويرُ برمجيّاتٍ لاستخراجِ المصطلحاتِ من النصوصِ ولإدارةِ قواعدِ بياناتِ المصطلحات.

ثالثًا: تأهيلُ وتدريبُ الكوادرِ البشريّةِ المتخصّصة: ينبغي تقديمُ برامجَ أكاديميّةٍ وتدريبيّةٍ متخصّصةٍ في علمِ المصطلحِ وصناعةِ المعاجمِ، لتخريجِ جيلٍ من اللغويّينَ والمعجميّينَ القادرينَ على التعاملِ مع التحدّياتِ العصريّةِ. كما يجبُ تشجيعُ التعاونِ بين أهلِ اللغةِ وأهلِ الاختصاصِ في المجالاتِ العلميّةِ وغيرِها، من خلالِ فِرَقِ عملٍ مشتركةٍ لوضعِ المصطلحاتِ وصياغةِ تعاريفِها.(8)

رابعًا: وضعُ معاييرَ واضحةٍ وشفّافةٍ لقبولِ المصطلحِ وتفضيلِه: يجبُ على المؤسّساتِ المعنيّةِ أن تنشرَ منهجيّاتِها ومعاييرَها في التعريبِ ووضعِ المصطلحاتِ، لتكونَ متاحةً للباحثينَ والمهتمّينَ. كما يمكنُ إجراءُ دراساتٍ لغويّةٍ لتقييمِ مدى مناسبةِ المقابلاتِ المقترحةِ من الناحيةِ اللغويّةِ والثقافيّة.

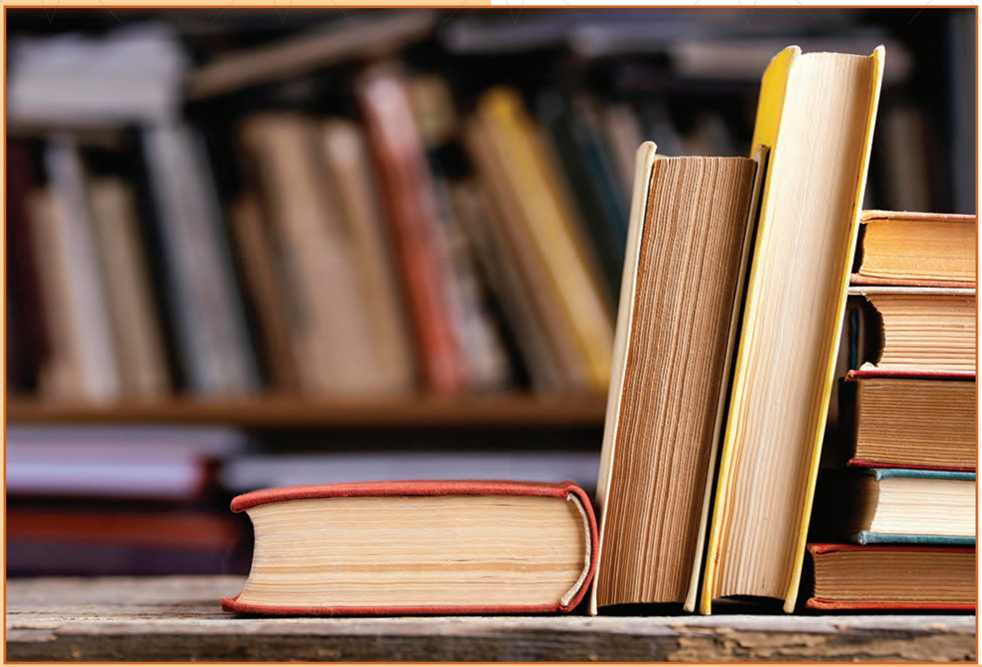


خامسًا: استدامةُ مشاريعِ المعاجمِ وتحديثُها باستمرارٍ: لا ينبغي اعتبارُ المعجمِ المعاصرِ منتجًا نهائيًّا، بل يجبُ تخصيصُ مواردَ لتحديثِه باستمرارٍ، وإضافةِ المصطلحاتِ الجديدةِ إليه بمجرّدِ ظهورِها واستقرارِ الاستعمالِ عليها، كما يمكنُ نشرُ تنقيحاتٍ دوريّةٍ للمعجمِ أو إصدارُ نسخةٍ رقميّةٍ تُحدَّثُ بشكلٍ أكثرَ سرعةً.

وختامًا: إنّ إعدادَ معجمٍ عربيٍّ معاصرٍ يستوعبُ المصطلحاتِ المستحدَثةَ في مختلفِ المجالاتِ، هو مشروعٌ ضخمٌ وحيويٌّ في آنٍ واحدٍ. ليس المقصودُ منه مجرّدَ زيادةِ عددِ المفرداتِ في اللغةِ، بل هو ضرورةٌ مُلحّةٌ لضمانِ بقاءِ اللغةِ العربيّةِ قادرةً على التعبيرِ عن مستجدّاتِ العصرِ والانخراطِ في الحوارِ العلميِّ والتقنيِّ والثقافيِّ على مستوى العالم.

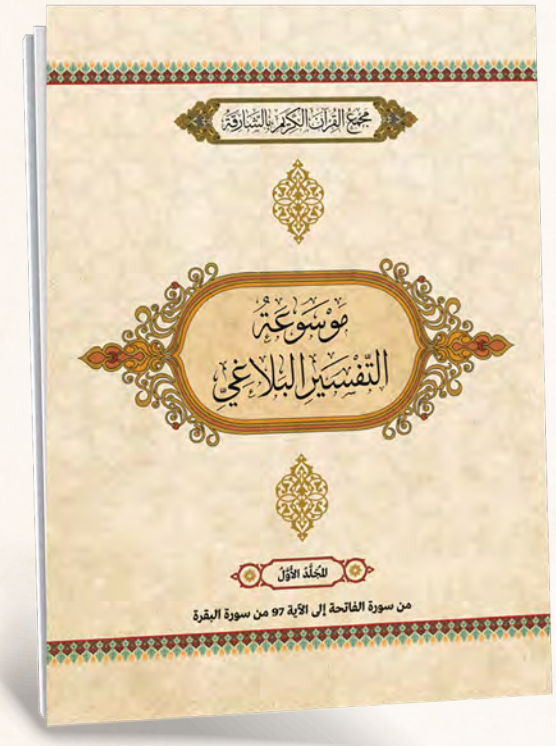
ولكنّ التحقّقَ من هذا المشروعِ النبيلِ ليسَ بالمهمّةِ السهلةِ -كما بيّنّا- فهي تتطلّبُ تجاوزَ عددٍ من التحدّياتِ النظريّةِ المتعلّقةِ بوضعِ المنهجيّاتِ والمعاييرِ، وتحدّياتٍ عمليّةٍ متعلّقةٍ بجمعِ المادةِ وصياغةِ التعاريفِ، وتحدّياتِ التوحيدِ والتقنينِ في ظلّ تشتّتِ الجهودِ، وتحدّياتٍ تقنيّةٍ ومواردَ بشريّةٍ (9).

إنّ مواجهةَ هذه التحدّياتِ تتطلّبُ إرادةً قويّةً ودعمًا رسميًّا مؤسّسيًّا للمجامعِ اللغويّةِ والمراكزِ البحثيّةِ المعنيّةِ، وتتطلّبُ تعاونًا صادقًا وفعّالًا بين كافّةِ الجهاتِ. كما أنّها تحتاجُ إلى وعيٍ مجتمعيٍّ بأهمّيّةِ الاعتمادِ على المصطلحِ العربيِّ المُقنَّنِ، وتشجيعٍ حقيقيٍّ على استخدامِ المعاجمِ المعاصرةِ لنشرِ ثقافةِ التوحيدِ المصطلحيِّ العربيِّ. فبذلك فقط يمكنُ أن تستعيدَ اللغةُ العربيّةُ مكانتَها بوصفِها أداةً فعّالةً لنقلِ المعرفةِ وصناعتِها في العصرِ الحديث.



# كُتُبٌ ودِراساتٌ

- الرّيادةُ والفَرادةُ في موسوعةِ التّفسيرِ البلاغيّ للقُرآن الكريم
- المَنْثُورُ البهَائيُّ لأبي سعدٍ النَّيْرَمانيِّ (ت٤١٤هـ) وتَفَرُّدُه بين الفَنِّ والمَنْهَجِ والأهَمّيةِ
- وقْفَةٌ مع الأَعْمالِ الفائِزةِ في جائزةِ الشّارِقةِ للدِّراساتِ اللُّغَويَّةِ والمُعجميَّةِ
- نحوٌ في محرابِ التّفسير: قراءة في كتاب «معاني القرآن للفرّاء»
- رحلة التصويبات من الهوامش إلى المتون في التراث العربي: نماذج من كتاب «الرواية الشنقيطية»




# الرّيادةُ والفَرادةُ في موسوعةِ التَّفسيرِ البلاغيِّ للقُرآن الكريم

**نزلَ القُرآنُ الكريمُ غيثًا دفّاقًا على قلوبٍ استبدَّ بها الجهلُ، فتصحَّرتْ، وعقولٍ استباحتْها الأساطيرُ، فأجدَبتْ، وقد خضعتْ لسلطانِ نظْمِه الأرواحُ، وانجذبت لسرِّ بيانِه العقولُ، وبلغ نظْمُه المدى بلاغةً وفصاحةً، فلا عجبَ أن تنبهرَ به نفوسُ النّاس، وتُذهل من جماله أفئدتُهم، وصدق الوليد بنِ المغيرة حين شهد شهادتَه الخالدةَ: «سمعتُ كلامًا ما هو من كلامِ الإنسِ ولا من كلامِ الجنّ، وإنَّ له لحلاوةً، وإنَّ عليه لطلاوةً، وإنَّ أعلاه لمُثمرٌ، وإنَّ أسفله لمغدقٌ، وإنَّه ليعلو، ولا يُعلى عليه».**

**فلا غرْوَ أن جعل القرآنُ الكريم منَ العرب أمَّةً قادتِ العالمَ بعد أن تغلغلتْ أسرارُ بيانِه في نفوسهم، وتشرَّبت بمعانيه أرواحُهم، فقوَّم سلوكَهم، وهذَّب طباعَهم، وغدَوا أسوةً للأمم، فمَنِ اتَّبع هداه؛ فلا يضِلُّ، ولا يشقى؛ تنزيلاً ممَّن خلق الأرضَ والسَّماواتِ العلا.**



د. خليل خلف السويحل
باحث

والقرآنُ الكريم بِكْرٌ يمنحُ الجديدَ في كلِّ عملٍ جديدٍ يُسخَّرُ لخدمته، وإذا شاء الله أمرًا؛ هيَّأ له أسبابَه، فكان انبثاقُ فجرٍ جديدٍ في إمارة الشّارقة المُشرقة بمنجزاتها الموسوعيَّة، ومن أهمِّها موسوعةُ التّفسير البلاغيِّ، وحقًّا حقَّقتْ هذه الموسوعةُ إنجازًا بحثيًّا فريدًا كمًّا وكيفًا قلَّ نظيرُه في موضوعه، وقد حظيتِ الموسوعةُ برعايةٍ سخيّةٍ من مقام صاحبِ السّموّ الشّيخ الدكتور سلطان بن محمّد القاسميِّ -حفظه الله ورعاه- وقيَّض الله لها نخبةً ممتازةً من علماءِ الأمّة في التّفسيرِ والبلاغةِ يعملون بروحِ الفريق الواحدِ بلا كللٍ ولا مللٍ، يواصلون اللَّيلَ بالنَّهار بصمتٍ وصبرٍ واجتهادٍ، وبإشرافٍ مباشرٍ ومتابعةٍ دؤوبةٍ من إدارة الدّراسات والبحوثِ بمجمع القرآن الكريم بالشّارقة ممثَّلة بالدّكتور يحيى زكريا، والمدير العلميِّ للمشروعِ الدكتور امحمّد صافي المستغانمي بروح ملْؤُها النّشاطُ والجدُّ والاجتهادُ.



**اتّبعتِ الموسوعةُ منهجًا فريدًا في بابِه ومختلفًا عمّا عهدْناه في دراسة بلاغةِ القرآن الكريم، فهذا المنهجُ قد رسَّختْه الأفهامُ، ورسمتْه الأقلامُ، كما يُعبِّد الطّريقُ بالأقدامِ.**

وقد وسمْنا هذه الموسوعةَ بالرِّيادة والفرادةِ بعد إنجاز (47) مجلّدًا منها في المرحلة الثّالثة، ولهاتين السِّمتين مصاديقُ عديدةٌ، ومنها:

**1 - الرَّصانةُ العلميّةُ:**

اتّبعتِ الموسوعةُ منهجًا فريدًا في بابه ومختلفًا عمّا عهدْناه في دراسة بلاغةِ القرآن الكريم، فهذا المنهجُ قد رسَّخته الأفهامُ، ورسمتْه الأقلامُ، كما يُعبَّد الطّريقُ بالأقدامِ، وقد بحث كلَّ آيةٍ في القرآن على حدةٍ في الأعمّ الأغلبِ، فيدرسُها من جوانبَ مُعيَّنة، وهي مناسبةُ الآيةِ لما قبلَها ولما بعدها، ثمّ شرحُ ما غمُضَ من معاني مُفرداتِها بأسلوبٍ يُبيِّنُ فيه المعنى الإجماليُّ والمعجميُّ والسّياقيُّ للمفردةِ، ثمّ الانتقالُ إلى بيان المعنى الإجماليِّ للآية، فيرتقي القارئُ بذلك إلى محور الإيضاحِ اللّغويّ والبلاغيّ، فيدخلُه متهيِّئًا له، وتبدأُ مرحلةُ الغوصِ في عوالم الآيةِ الكريمة، فيرصدُ المنهجُ معنى الأدواتِ وإعرابَ الجُمل وسياقَها الدّلاليَّ وأسرارَ التّنكير والتّعريفِ والتّقديم والتّأخيرِ والإيجازِ والإطنابِ، ونكاتِ الكنايات والاستعاراتِ، وبلاغةِ التّشبيهاتِ والتّوريات، ودلالاتِ الاسميّةِ والفعليّةِ، وبراعةَ التَّعبير في الوصفِ والإضافةِ والحذفِ والذِّكرِ والاحتباكِ، وجلاء المتشابهاتِ اللّفظيّةِ والفروقِ المعجميّةِ بين هذه اللّفظة وتلك، وكلُّ ذلك بتوثيقٍ علميٍّ دقيقٍ من أُمّاتِ المصادرِ التّفسيريّةِ واللّغويّة والبلاغيّةِ وَفْقَ مراحلَ تحكيمٍ مدروسة، فيخلصُ القارئُ من بلاغةِ آيةٍ واحدة، وقد أخذتْه الدّهشةُ والذّهولُ من أسرار البيانِ القرآنيّ.

**2 - الجمعُ:**

لقد جمعتِ الموسوعةُ ما فرَّقه الآخرون، وهذا شأنُ الموسوعاتِ عمومًا، فتقرأُ فيها لآلئَ الكشّافِ ودُررَ البقاعيِّ وفرائدَ أبي السّعود ولمحاتِ الهرريّ ومُبتكراتِ ابنِ عاشور ولطائفَ الآلوسي وغيرهم، وبذلك تُغني الموسوعةُ بمفردِها في موضوعِها عن حمل أسفارٍ منَ المراجعِ والمصادرِ، وهذا الجمعُ ليس اعتباطيًّا بل يسيرُ وَفْقَ خطّةٍ مُحكمةٍ يضعُها باحثٌ في الشّرق، ويُطبّقُها باحثٌ في الغرب، ويحاكمُها باحثٌ في أقاصي الدّنيا، ويراجعُها

نخبةٌ منَ الخُبراء، ويدقِّقُها فريقٌ متنوِّعٌ، فتكونُ الصّفحةُ القرآنيّةُ الواحدةُ بعد التّحرير والتّحكيم والمراجعةِ والتّدقيق عُصارةَ عقولٍ علميّةٍ من مختلفِ المشاربِ والبُلدان، وتكونُ الدّراسةُ شاملةً ومتكاملةً من منظورٍ لُغويٍّ وبلاغيٍّ.

**3 - التّفصيلُ:**

لقد فصَّلتِ الموسوعةُ ما أجملَه الآخرون، فمنهجُها يأبَى الاختزالَ المخلَّ، ولا يقنعُ إلّا بالشّرحِ العميقِ وتقليبِ الفكرةِ البلاغيّةِ الواحدةِ على وجوهِها المتعدِّدة، فهو منهجٌ قائمٌ على الاستقصاءِ لا الانتقاءِ من دون حشْوٍ واستطرادٍ مملٍّ، وهذه ميزةٌ أخرى لمنهجِ الموسوعةِ المباركة، فقد تجدُ المفسّرين يُشيرون إلى موطنِ كنايةٍ أو استعارةٍ في آيةٍ ما دون شرحٍ وتحليلٍ لها، وهنا تبرزُ أهمّيّةُ الموسوعةِ في دراسة الملمحِ البلاغيِّ ووظائفِه ومناسبتِه لسياقِ النّظمِ القرآنيّ، فتكشفُ عن سرِّ مجيءِ الاستعارةِ أو غيرِها وما أثارَتْه في وعيِ القارئِ والمتلقّي في تدبُّرِ النّصِّ القرآنيّ، فكانت بحقٍّ أوّلَ موسوعةٍ اعتنت ببلاغةِ القُرآنِ الكريمِ على وجهٍ منَ الاستقصاءِ والتّحليلِ والتّفصيل.

**4 - التّبيانُ:**

لقد بيَّنتِ الموسوعةُ ما أغمضَه الآخرون، فمِنَ المعلومِ أنَّ لغةَ المفسّرين - ولاسيما الأوائلَ منهم - قد يَعتورُها الغموضُ، فيَستصعبُها القارئُ، وقد ينفرُ منها، وهنا جاء دورُ الموسوعةِ في صياغةِ المعاني بأسلوبٍ معاصرٍ قريبٍ إلى وعيِ القارئ، فكان لها دورٌ بارزٌ في تقريبِ القُرّاءِ من بلاغةِ القُرآنِ الكريم،

> **لقد بيَّنتِ الموسوعةُ ما أغمضَه الآخرون، فمِنَ المعلومِ أنَّ لغةَ المفسّرين -ولاسيما الأوائلَ منهم- قد يَعتورُها الغموضُ، فيَستصعبُها القارئ، وقد ينفرُ منها، وهنا جاء دورُ الموسوعةِ في صياغةِ المعاني بأسلوبٍ معاصرٍ قريبٍ إلى وعيِ القارئ، فكان لها دورٌ بارزٌ في تقريبِ القُرّاءِ من بلاغةِ القُرآنِ الكريم.**

وتمتينِ علاقتِهم بالنّصّ القرآنيّ وفهْمِ مراميه وتدبُّرِ معانيه واستجلاء سرِّ نظْمِه وأبعادِه الجماليّةِ.

**5 - الاستدراكُ:**

لقدِ استدركتِ الموسوعةُ ما غفلَ عنه الآخرون، ورصدَتْه، فالمتتبِّعُ للموسوعةِ يلحظُ فيها تحليلًا عميقًا للنّصّ القرآنيّ ووقوفًا على لمحاتٍ لُغويّةٍ وعناصرَ صوتيّةٍ وخصائصَ للنّظمِ في بعضِ الآياتِ والسُّوَرِ والدّلالاتِ الكلّيّةِ الجامعةِ التي لم يقف عليها المتقدّمون، فكانت عملًا له طابعٌ خاصٌّ وبصمةٌ مميّزةٌ غيرُ مسبوقٍ في هذا الميدان، وكلُّ ذلك بعناوينَ فرعيّةٍ كاشفةٍ للمضمون، وخلاصاتٍ مُحكمةٍ للفقرة، وهذا ما يمنحُها الجدَّةَ والابتكارَ والفرادةَ، ويُغري القارئَ بالمتابعة، ويُبعد عنه السّآمةَ والمللَ.

**6 - تعزيزُ البحثِ العلميِّ:**

شكَّلتِ الموسوعةُ بحرًا منَ المعارفِ البلاغيّةِ واللّغويّةِ لآياتِ القُرآنِ الكريم، وكوَّنتْ - بمنهجها السّديدِ وعناوينِها التّفصيليّةِ الدّقيقةِ التي تربو على عشراتِ الألوف - مساربَ بحثٍ شتّى لطُلّابِ العلم، يَغرفُون منَ الموسوعةِ ما يشاؤون، ويَنتقون ما يريدون، فتوفِّرُ عليهم تعبَ السّنين وهدْرَ الأعمار هنا وهناك، فهي مصدرٌ علميٌّ موثوقٌ، ومخزونٌ معرفيٌّ واسعٌ، وبنكٌ معلوماتيٌّ كبيرٌ، ورصيدٌ علميٌّ لا ينتهي عطاؤُه؛ لأنَّ الموسوعةَ مستقاةٌ من ينبوعِ القرآنِ الكريمِ الذي لا تفنى عجائبُه على مرِّ العصورِ وكرِّ الدهور.

ويكفِي الموسوعةَ فخرًا أنَّها بيَّنتْ وحلَّلتْ ورصدتِ الإعجازَ البلاغيَّ في القرآنِ الكريمِ متفرِّدةً بطابعٍ خاصٍّ فريدٍ ومنهجٍ علميٍّ رائدٍ، وما كان لهذا المشروعِ أن يُبصرَ النّورَ لولا يدٌ حانيةٌ سخيّةٌ امتدَّتْ إليه لترعاه، فأختمُ منشدًا:

يا صاحبيَّ قفا بنا نتأمَّلُ
فبأرضِ شارقةٍ هوًى نتنسَّمُ
لمنابعِ العزِّ الّتي تسمُو بها
أشعارُنا من روحِها تُستلهَمُ
حبٌّ وإجلالٌ لسيِّدِها التّقي
نبراسِ نورٍ منْ بهِ نتأمَّمُ
سبحانكَ اللّهمّ خيرَ مؤيِّدٍ
احفظْ لنا سلطانَنا يتبسَّمُ

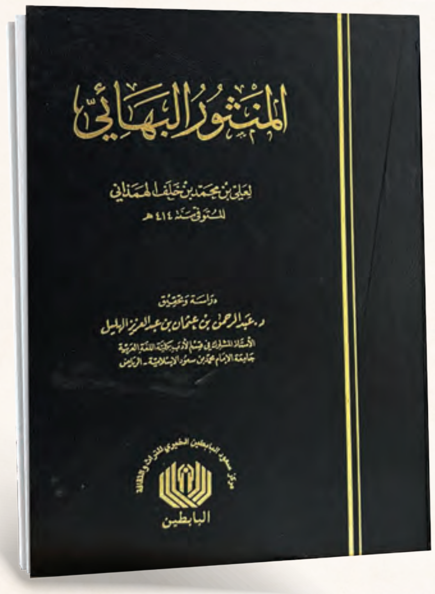
# من موسوعة التّفسيرِ البلاغيّ




**نُكتةُ حذفِ مفعولِ {تَعقِلونَ} في قولِه تعالى:**

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾﴾ [**يوسف:** 109]:

وفي قولِه تعالى: ﴿أفلا تعقِلون﴾: حُذِفَ متعلَّقُ فعلِ «تَعقِلون»، ونُكتةُ ذلك: العموم؛ أي: تَعقِلون ما حَدَثَ لِمن سبقَكم من الأُمَمِ، وما حَلَّ بهم من العذابِ والدّمار، وذلك للدلالة عليه فيما سبق؛ إذ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، فيكون المعنى: أفلا تَعقِلون كيف كانت عاقبةُ مَن قبلَكم مِثلَكم، مثلَ ما أصابَهم؟! أفلا تَعقِلون التحذيرَ بأن يُصيبَكم مثلَ ما أصابَهم؟! أفلا تَعقِلون أنَّ الإيمانَ نجاةٌ والكُفرَ هلاكٌ؟! وما إلى ذلكَ من المعاني التي يحتملُها السياق، فهي داخلةٌ في العموم.




# المَنْثُـــورُ البهَــائــيُّ لأبي سعدٍ النَّيْرَمانيِّ (ت414هـ)

## وتَفَرُّدُه بين الفَنِّ والمَنْهَجِ والأهَمّيةِ



أ.د. علـــي كردي
باحث ومحقق أكاديمي

**ازدهـرَت علومُ العربيّةِ، وآدابُها، وفنونُها، وتصدّى لكلِّ منها رجـالاتٌ كانَ لهم قصبُ السَّبقِ فيها؛ كأبي الأسودِ الدّؤليّ في علمِ النّحوِ، والخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ في علمِ العروضِ، وأورثُـوا علومَهم أجيالاً أفادت منها، وبنت عليها، وزادت فيها بطرائقِ القياسِ والاستنباطِ، وهذا يتعلّقُ بطبيعةِ تلكَ العلومِ في العربيّةِ، ولكن ماذا عن فنونِها المُتمثِّلَةِ بالأدبِ وموضوعاتِه ومعانيهِ وجمالياتِه، وهل اجترحَ العربُ طرائقَ لتعليمِ الأدبِ، وصوغِ النّصوصِ صوغًا يتّسمُ بعُلوِّ الكعبِ؟ وهل كانَ فيهم من خطرَ لهُ أن يُعلِّمَ أحدَ فنَّيِ الأدبِ بالاستعانةِ بالآخرِ؟ نعم كانَ لهم هذا، وبحثُنا هذا يسعَى إلى إماطةِ اللثامِ عن مُؤلِّفٍ و مُؤلَّفٍ فريدَين، ولهما أهمّيةٌ كبرى في تراثنا العربيّ، فيبدأُ بالتّعريفِ بأبي سعْدٍ النّيرمانيِّ، ويُبرزُ عمَلَه، وثِقلَهُ في الأدبِ، والنّقدِ، والتّأليفِ، والتّصنيفِ، وينتقلُ ثانيًا إلى المنثورِ البهائيّ، فيتكلّمُ على قصّةِ تحقيقِه.**

وينتقلُ إلى منهجِ الكتابِ والفنِّ فيهِ، ثمّ يخلُصُ إلى أهميّتِه بالنّسبةِ إلى المُتلقّينَ على تعدُّدِ فئاتهم داعمًا ذلك بالبرهانِ والدّليلِ، ومن ثمَّ ينتهي إلى النّتائجِ فالمصادرِ والمراجعِ.

### أوّلاً: أبو سعدِ النَّيرمانيُّ ترجمتُهُ ومكانتُهُ:

مؤلِّفُنا وموضعُ العنايةِ في بحثِنا هو (عليّ بنُ محمّد بن خلَفٍ النَّيرمانيُّ) (1)، غير أنَّ اسمَهُ قد وردَ (محمّد بن عليّ بن خلّف الهمذانيّ) في مصادرَ عدّةٍ (2)، وبالحالتَين فإنَّ الرّجلَ ينتسبُ إلى (نَيْرَمان) وهي قرية من قرى همذان. لا نعثرُ له في المصادر على تاريخ لولادتِه غير أنّهُ حينَ بلغَ أشدَّهُ رحلَ إلى بغدادَ طلبًا للعلم فيها، وقد كانت مَوئلاً لهُ؛ فأخذَ عن مشايخ بغدادَ علمًا كثيرًا، وحازَ مكانةً بين أهلها، وفي ذلكَ تسمعُه يُنْشِدُ شعرًا (3):

فِـدًى لَـكِ يَـا بَـغْـدَادُ كُـلُّ مَـدِيْـنَـةٍ
مِـنَ الأرضِ حَـتَّـى خِـطَّـتِـيْ وَ دِيَـارِيَـا

فَقَدْ طُفْتُ فِـيْ شَـرقِ الـبِلاَدِ وَغَرْبِهَا
وَسَـيَّـرْتُ خَـيْـلِـي بَـيْـنَـهَـا وَرِكَـابِـيَـا

فَلَمْ أرَ مِثلَ الكَرْخِ فِيْ الأَرْضِ مَنْزِلاً
وَلَـمْ أرَ فِـيْـهَـا مِـثْـلَ دِجْـلَـةَ وَادِيًـا

ولا مِـثْـلَ أهْـلِـيْـهَـا أرقَّ شَـمَـائِـلاً
وأَعْـذَبَ ألْـفَـاظًـا وأحـلَـى مَـعَـانِـيَـا

نلحظُ في البيتِ الأخيرِ أنّهُ يُثني على أهلِ بغدادَ الذينَ لم يرَ نظيرًا لهم، ويخصُّهم برقّةِ الشّمائلِ، وعذوبةِ الألفاظِ، وحلاوةِ المعاني، ولابدَّ أنَّ



**ازدهـرَت علومُ العربيّةِ، وآدابُها، وفنونُها، وتصدّى لكلٍّ منها رجــالاتٌ كـانَ لهم قصبُ السَّبقِ فيها؛ كأبي الأسـودِ الدّؤليّ في علم النّحو، والخليلِ بنِ أحمدَ الفَراهيديّ في علم العروضِ وأورثُـوا علومَهم أجيالًا أفادت منها، وبنت عليها، وزادت فيها بطرائقِ القياسِ والاستنباطِ.**

ذلك أثّرَ فيه أديبًا وشاعرًا ومؤلِّفًا؛ فالرِّقّةُ والعذوبةُ والجمالُ قِيمٌ لا غنى عنها لأيِّ أديبٍ، كان النَّيرمانيُّ شاعرًا رقيقًا، روت كتبُ التّراجم لهُ عددًا مِنَ القصائدِ والمقطوعاتِ المُعبّرةِ عن روحِ عصرِهِ وعن ذاته وعلاقاته فكانت في مُجملِها في الحنينِ والغزلِ والإخوانيّات، فمن حنينهِ إلى بغدادَ مثالًا يقولُ (4) :

**خَـلِـيْـلَـيَّ مِـن بـغـدادَ هَـلْ أَنْـتُـمَـا لِيَا**
**عَلَى العَهْدِ مِثْلِي أَمْ غَدَا العَهْدُ بَالِيَا؟**
**وَهَـلْ ذَرفَـتْ بَـعْـدَ الـنَّـوَى مُقْلَتَاكُمَا**
**عَـلَـيَّ كَـمَـا أُمْـسِـيْ وَأُصْـبِـحُ بَـاكِـيَـا؟**

أمّا شعرهُ في الإخوانيّات فمنهُ هذي المقطوعةُ التي كتبها لأبي الفضلِ الميكالي وفيها يقولُ (5) :

**أَبَى الفَضْلُ أَنْ يَحْظَى بِهِ غَيْرُ أَهْلِهِ**
**مِنَ النَّاسِ فَاخْتَصَّ الأَمِيْرَ أَبَا الفَضْلِ**
**وَإِنِّــيْ وَإِنْ أَصْـبَـحْـتُ حُــرًّا فَـإِنَّـنِـيْ**
**عُبَيْدُ عُبَيْدِ اللهِ ذِيْ المَنِّ والفَضْلِ**
**هَـلِ الـفَـضْـلُ إِلَّا مَـا حَـوَتْـهُ خِلالُـهُ**
**وَمَـا بـعـدَهُ فَـضْـلٌ يُـعـدُّ مِـنَ الفَضْلِ**

تعتمدُ أبياتُه في الإخوانياتِ على فنونِ الصّنعة اللّفظيّةِ المقصودةِ فضلًا عن تجنيسِ القوافي، وهذا من قَبيلِ التّنمُّقِ في مقامِ الإخوانياتِ؛ فقد ربطتِ النّيرمانيَّ بأبي الفضل الميكالي (ت 436هـ) صداقةٌ أفضت عُراها إلى مراسلاتٍ شعريّة، فـضلًا عنِ الصّداقاتِ الحميمةِ برجالِ عصرِهِ، كالشّريفين: الشّريفِ الرّضي (ت 406هـ) والمرتضى (ت 436هـ)، إلى جانبِ اتّصالهِ ببني بُوَيه، والمكانةِ التي نالها عندهم.

**ثانيًا - أبو سعدٍ النّيرمانيّ حِرفُه وأعمالُه:**

* تمكّنَ النَّيرمانيُّ من العلومِ المختلفةِ فتصدّى للتّدريسِ، وأفادَ منهُ ثُلّةٌ من أهلِ العلم كأبي قاسم التّنوخيّ (ت 447هـ)، وأبي منصورٍ العُكبريّ (ت 472هـ).

* دخلَ النَّيرمانيُّ في خدمةِ بني بُوَيه، وقد تولّى ديـوانَ الإنشاءِ، ومنَ المعروفِ أنّ للكتابةِ الدّيوانيّةِ مُتطلّباتٍ إبداعيّةً كثيرةً؛ فهي رسميّةٌ من حيثُ التّقاليدُ التي تسيرُ عليها، ويجبُ أن تكونَ رفيعةَ الشّأنِ عاليةَ المستوى، وأغلبُ الظّنِّ أنّ معاشرة

النّثرِ، والرّغبةَ في تثقيفهِ قد دفعتْه إلى إعمالِ الفكرِ في تقاليدِ الكتابةِ، وفنّياتِ النّثرِ ومن أينَ يُمكنُ للنّثرِ أن يجدَ رافدًا يستقي منهُ فنونَ الإبداعِ، وطرائقَ التّعبيرِ.

**ثالثًا: المنثورُ البهائيُّ أصلُهُ، وقصّةُ تحقيقِه:**

ألّفَ أبو سعد النّيرمانيُّ كتابَهُ (المنثور البهائيّ)، وجعلهُ هديةً لبهاءِ الدينِ البُوَيهي، ولعلَّ هذا من أسرارِ الجمالِ في العنوانِ؛ فالمنثور يرمي فيه إلى صَنعةِ حلِّ المنظومِ التي ضمّنها في كتابِهِ، أمّا البهائيُّ فإنَّ في المفردة توريةً بين اسم بهاءِ الدّين، والمعنى المتداول للفظةِ البهاء من الجمالِ والحسنِ وهما منَ القِيم التي يجبُ أن يحتويَها الأدبُ بعامّةٍ، والنّثرُ بخاصّةٍ، وبهذا فإنّ العنوانَ جذّابٌ مع أنّهُ لم يَرد هكذا على غلافِ الأصلِ المخطوطِ ( نُسخة كوبرلي) إنّما ورد بعنوان (منثورُ المنظومِ البهائيّ)، ولا على نُسخةِ الأزهر التي كان لحيازتِها قصّةٌ نرويها في السّطور اللّاحقة؛ إذ ورد عليها عنوانُ (نثر المنظوم)، والعنوانان غيرُ صحيحَين مطلقًا؛ وذلكَ لأنَّ المؤلِّفَ نفسَهُ قد أوردَ العنوانَ في مقدِّمةِ كتابه بـ( المنثور البهائيّ)، و في ذلكَ يقولُ» (6): ووجدتُ هذا المنثورَ من ذلك المنظوم خليقًا منَ الألقابِ بأسناها، وحقيقًا منَ الأسماءِ بأسماها؛ لأنّه نبتَ في رياضِ زهرِه، ونَجَمَ في ربيعِ دهرِهِ، فسمّيتُهُ (المنثورَ البهائيّ) ليُستدلَّ من ترجمةِ عنوانِه على أنّه ممّا عُملَ في طرازِ ديوانِه...) ومن هذا



مدينة بغداد قديمًا

> **ألّفَ النّيرمانيُّ كتابَهُ (المنثور البهائيّ)، وجعلهُ هديةً لبهاءِ الدينِ البوَيهي، ولعلَّ هذا من أسرارِ الجمالِ في العنوانِ؛ فالمنثور يرمي فيه إلى صَنعةِ حلِّ المنظومِ التي ضمّنها في كتابِهِ، أمّا البهائيُّ فإنَّ في المفردة توريةً بين اسم بهاءِ الدّين، والمعنى المتناول للفظةِ البهاء من الجمالِ والحسنِ.**

الوصفِ الرّقيقِ الذي يجري فيه العنوانُ والمضمونُ التفتُّ إليه، وإلى فرادته، وقد وردَ اسمُ الكتابِ عند المُترجِمينَ لصاحبهِ بالمنثور البهائيّ كالأفضليّات، والأنساب، وفوات الوفيات ما جعلني متأكّدًا أنَّ ما وردَ على غلافِ نُسختيْ كوبرلي والقاهرة هما من عملِ النُّسَّاخِ.

أمّا قصّتي مع تحقيقهِ فتبدأُ من أنَّ الدّكتور فؤاد سزكين قد صوّرَ مخطوطاتٍ ثمينةً منَ المكتباتِ العالميّة، ونشرها معهدُ تاريخِ العلوم العربيّة والإسلاميّة، وكان من ضِمْنها مخطوطُ كتابِ المنثور البهائيّ، وقدِ اطّلعتُ عليهِ لأجدَهُ أحدَ الكُتبِ التّطبيقيّة المهمّة في عالَم الأدب، يرمِي فيما يرمِي إليهِ أن يُكسِبَ المِرانَ والدُّربةَ على تدبيجِ النّثرِ الفنّيِّ عن طريقِ حلِّ منظومِ القصائدِ البديعةِ، وتحويلِها إلى نصٍّ نَثريٍّ بديعٍ، وبهذا يُفيدُ كاتبُ النّثرِ منَ

الشِّعرِ في شدِّ أوصالِ فنّه، وتقويةِ معانيه، وهذا ممّا يُفيدُ النّاسَ في كلِّ زمانٍ؛ فنويتُ إخراجَهُ وتحقيقَهُ تحقيقًا لائقًا بفَحواهُ؛ فنسختُه، وفي أثناء النّسخ تبيّنَ لي أنّ ثمّة نقصًا في بعضِ الأبوابِ، فضلًا عن تقديمٍ وتأخيرٍ في أبوابِ النّسخةِ، فأعدّتُ ترتيبَها، وبحثتُ عن نسخةٍ أخرى منه، وقد تناهى إليَّ أنَّ مكتبةَ الأزهرِ في القاهرة تضمُّ نسخةً أخرى، فسعيتُ للحصولِ عليها غيرَ أنّني لم أُوفَّق في البداية في مسعايَ فقد علّلوا أنَّ ثمّة باحثًا أزهريًّا يُعدُّ رسالةً لنيلِ شهادةٍ علميّةٍ في تحقيقهِ، فاتّصلتُ بصديقٍ مصريٍّ، ورجوته أن يصلَ إلى صاحبِ البحثِ، والأخير رجاني بدورهِ أن أؤجّلَ طباعةَ الكتاب إلى ما بعدَ حصولهِ على الشّهادة، وفعلتُ. مضتِ الأيّامُ وتطاولت وحين تواصلتُ مجدّدًا قيل لي إنّ الباحثَ قد سافرَ ولا يوجدُ رقمٌ للتّواصل، ولا عنوان، و أمام حاجتي الماسّة إلى النّسخة الأزهرية لإتمام العملِ، رجوتُ أزهريًّا غيورًا على العلم، فقابلَ عملي على نُسخة الأزهرِ، وأتممتُ بعونِ اللهِ




تعالى تحقيقَ الكتابِ.

**رابعًا - منهجُ النَّيرمانيّ في كتابهِ المنثور البهائيّ:**

أسلفْنا أنَّ الكتابَ يُعدُّ في أُمّات الكتبِ التّطبيقيّة، ويعتمدُ على حلِّ نصٍّ شعريٍّ، وتحويلهِ إلى قطعةٍ نَثْريّةٍ غايةٍ في البديع، يفيدُ النّشءُ منها، ومن آلياتِ حلِّ المنظوم فيها، وقد تفرّدَ النّيرمانيُّ في طريقةِ العرضِ والتّصنيفِ؛ فتجدهُ قد رتّبَ مجموعَه الشّعريَّ وَفْقَ الموضوعات،

**"يُعدُّ في أُمّات الكتبِ التّطبيقيّةِ، ويعتمدُ على حلِّ نصٍّ شعريٍّ، وتحويلهِ إلى قطعةٍ نَثْريّةٍ غايةٍ في البديع، يفيدُ النّشءُ منها، ومن آلياتِ حلِّ المنظومِ فيها، وقد تفرّدَ النّيرمانيُّ في طريقةِ العرضِ والتّصنيفِ.**

وهو بهذا ينظرُ إلى أبي تمّام، غير أنّه فارقَه في تقديم نثرِ ما يريدُه نثرًا فنّيًا رفيع المستوى، ليقدّمَ بذلكَ أوّلَ مثالٍ تطبيقيٍّ لحلِّ الشّعرِ ونثرِه، وقد صنّفَ الكتابَ في مقدِّمةٍ نقديّةٍ قيّمة، وتسعةِ أبوابٍ، وأمّا الأبوابُ التّسعةُ فهي على التّرتيب:

(بابُ الحماسةِ، بابُ المديح والشّكرِ، بابُ النّسيبِ، باب العتاب، باب الهجاء، باب الأدب، باب الأوصاف، باب التّعازي والمراثي، باب المُلَح)، وبهذا فقدِ اتّفقَ مع أبي تمّام في ثمانية أبوابٍ، غيرَ أنّ حماسةَ أبي تمّام قد تفرّدت ببابِ السّيَر والنّعاسِ، ومذمّةِ النّساء، أمّا المنثورُ البهائيُّ فانفردَ في بابِ العتابِ، ولا بدَّ أن نلحظَ اختلافَ الكتابين في ترتيبِ





الأبوابِ؛ إذ إنَّ النّيرمانيَّ كان صاحبَ ذوقٍ مختلفٍ، وكان انتقائيًّا؛ فبعدَ أنِ اختارَ العيونَ منَ الشّعرِ العربيِّ نبّه على أمورٍ كثيرةٍ كان حريصًا عليها في أثناء الاختيارِ منها حرْصَه على نسبةِ الشّعر إلى قائله، ونستدلُّ بدقّةٍ على هذا بقولِه: «وقّعتُ تحت كلِّ كلمةٍ مأخوذةٍ منَ الشّعر باسم قائله»(7).

وكان يفرّقُ بينَ منهج القصيدةِ ومنهج الرّسالةِ؛ أي إنّه عقد تفريقًا بين الشّعر والنّثرِ من وجهةِ نظرِه، فإنّ القصيدة «تُبنى على معانٍ متنافرةٍ، ومقاصدَ متنافيةٍ»، في حين أنّه «ليست الرّسائلُ كذلكَ؛ فإنَّ الأحسنَ فيها، والأفضلَ بمن يُنشيها (8) أن يجعل فاتحتَها دالّةً على خاتمتِها». (9)

كانَ يعرضُ رأيَه النّقديَّ على إخوانه؛ لم يكتفِ النّيرمانيُّ برأيه بما كان يعملُ على نثره من عيون الشّعرِ مع اعتداده الشّديد بنفسه، بل كان يعرضُ الأمرَ على بعضِ إخوانه، ولا يجدُ حرجًا منَ التّصريحِ بذلكَ، بل يذكرُه في مقدّمته قائلاً: «وقد نظرَ بعضُ أهلِ الزّمانِ - أدامَ اللهُ عزَّهم - إلى فصلٍ نثرتُه في أوائلِ الحماسةِ على الوجهِ الذي ذكرتُه وهو قولي...) (10).

وهنا أجدُ منَ المناسب أن أعرضَ مثالاً للقارئِ من بابِ الحماسةِ هذا؛ ليستدلَّ بهِ على طلاوةِ صَنعةِ حلِّ النّثرِ منَ الشّعرِ.

يُوردُ النّيرمانيُّ في بابِ الحماسةِ فصلاً هو الثّاني، فيه يقولُ نثرًا (11): «ولمّا جاءت الجأواءُ (12)، وهاجتِ الهيجاءُ، رميناهم بكلِّ همامٍ نَدْب (13) وخشاشِ ضَرْب (14)، وحسام عَضْب (15)، يُلجِجُ في هامِ الكميّ المدجَّج، ويرسبُ في رأس الكريمِ المتوّج، بضربٍ لم يختلسْ عجلاً، ولم يرتجل وجلاً؛ بل قد مكّنته أناةُ(16)القادر المكين وساعدَتْه عبالة (17) السّاعد المتين حتى أطارَ فراشَ الحواجب (18) ، وأوقدَ نارَ الحُباحب (19) ...

لابدّ أنّك تلحظُ جزالةَ الألفاظ، ومتانةَ التّراكيبِ في موضوعٍ يتّصلُ



(1)ترجمته عند الثّعالبي، هو أبو منصور عبد الملك: يتيمة الدّهر، تح: محمد مفيد قميحة،. دار الكتب العلميّة. بيروت. 11403هـ. ط1. 3/476.

=1. ابن الصيرفي: أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان. الأفضليات. تح. د. وليد قصّاب. وعبد العزيز المانع. مجمع اللغة العربيّة بدمشق. 1402هـ.ص: 253.، و أبو شاكر الكتبي: فوات الوفيات. تح. إحسان عبّاس. دار صادر. بيروت. 1973م. 3/74_75.

(2)انظر مثالاً: الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. دار الكتاب العربي. بيروت. د.ت. 1/52، وأبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي. معجم البلدان. دار صادر. بيروت.1404هـ 5/330_331.

(3)النّيرماني. أبو سعد علي بن محمد بن خلف. المنثور البهائي. تح. أد. علي كردي. الهيئة العامة السّوريّة للكتاب. دمشق. 2013م 40_14.

(4)المنثور البهائي.39_40.

(5)يتيمة الدّهر. 3/476.

(6)المنثور البهائي. 46.

(7)المنثور البهائي. ص36

(8)ينشيها أي ينشئُها

بالحماسةِ، وهذا إن تأتّى له فمن حلِّ الأبياتِ الشّعريّة التي يوردها لاحقًا لهذه القطعة منَ النثّرِ، وهي في قوله:

**قالَ طرفةُ البكري (20) :**
**(البحر الطويل)**
**أنَا الرّجلُ الضربُ الذي تَعرفونَهُ**
**خَشاشٌ كرأسِ الحيّةِ المتوقّدِ**
**بلعاء بن قيس: (البحر البسيط)**
**بربةٍ لم تكن منّي مخالسَةً**
**ولا تَعجّلَتُها جُنبًا ولا فَرَقا**
**النّابغة الذبياني: (البحر الطويل)**
**تقدّ السّلوقيَّ المضاعفَ نَسْجُهُ وتوقِدُ في الصُفاحِ نارَ الحُباحِبِ......)** (21) إلى نهاية القطعةِ التي يظهرُ فيها حلُّ النّيرمانيّ لأبياتِ الشعرِ، واستثمارها في النّثرِ.

**خامسًا: فائدةُ الكتابِ وقيمتهُ:**

يتّجهُ الكتابُ بالفائدةِ مقرونةً بالمُتعةِ لِطَيْفٍ واسعٍ من القرّاءِ، ولأسباب عدّة منها:

* المبتدئُ في التّأليفِ؛ يُغطّي الكتابُ موضوعاتٍ عـدّةً ويُسهمُ في زيادةِ الحصيلةِ اللّغويّةِ لدى الكُتّاب المبتدئينَ في صَنعةِ الكتابةِ.

* المؤلِّفُ المبدعُ؛ يسعى كلُّ مبدع نحو الارتقاءِ بأسلوبِ الكتابةِ، وارتقاءِ الصَّنعةِ، وامتلاك الأساليبِ المتجدّدة، ولعلَّ المنثورَ البهائيَّ يُعينُه في ذلكَ.

* النّقادُ بمستوياتِهم المختلفة؛ إذ يحوي الكتابُ نفثاتٍ نقديّة، ولاسيما في مقدِّمته، تُعينُهم على الحكم على تلك العيون والمنتقيات منَ الأشعارِ، وربّما غيّرت نظرتَهم لها.

> **"لم يكتفِ النّيرمانيُّ برأيه بما كان يعمل على نثره من عيون الشّعر مع اعتداده الشّديد بنفسه، بل كان يعرضُ الأمرَ على بعض إخوانه، ولا يجدُ حرجًا منَ التّصريح بذلكَ، بل يذكرُه في مقدّمته.**

**الخاتمةُ:**

لعلَّ النّتائجَ التي يصلُ إليها البحثُ في كتابِ المنثور البهائيّ لأبي سعدٍ النّيرمانيّ تخصُّ كلًّا منهما، ومنها:

- براعةُ النّيرمانيّ في اجتراحِ طريقةٍ لاستثمار الطّاقاتِ الفنيّةِ الكبيرةِ في الشّعرِ، و إدخالِها حيّزَ النّثرِ بأمانٍ.
- أثرُ البيئةِ التي يترعرعُ فيها المؤلِّفُ في مؤلّفاته، ومُحتواها.
- فرادةُ كتابِ المنثورِ البهائي تتأتّى من عظمةِ الأدبِ العربيّ نفسِه، وإمكانيّةِ أن يُفيدَ كاتبُ النّثر منَ الشّعرِ العربيِّ.
- وجودُ كتبٍ تطبيقيّةٍ لتعليم الأدب عند العربِ هو دليلٌ على عنايتِهم الفائقةِ فيه، وكان النّيرمانيُّ وكتابهُ مثالاً على ذلك.

---

(9)المنثور البهائي. ص29.
(10)المنثور البهائي. ص30
(11)المنثور البهائيص:56
(12)أرداد الكتيبة الجأواء: وهي البينة الجأي، وهي التي يعلوها لون السّواد لكثرة الدروع. المحقق.
(13)الهمام الندب: السّيد الشجاع، الخفيف في الحاجة.
(14)الخشاش: الرجل الخفيف، و الضّرب: الرجل الماضي الندب و الخفيف اللحم.
(15)الحسام العضب:السيف القاطع
(16)في الأصل كانت أنأة و هذا تحريف، صوابه أناة و الأناة الحلم والوقار. المحقق.
(17)عبالة الساعد: ضخامته.
(18)الفراش: عِظَم الحاجب.
(19)الحُباحب: ذباب يطيرُ ليلًا كأنه نار، وهو مثل في النكد وقلو النفع.
(20)هو طرفة بن العبد البكري من شعراء المعلّقات مات أبوه وهو صغير فظلمه أعمامه. قُتِلَ وهو ابنُ ستٍّ وعشرين سنة. له ترجمة في الشعر والشعراء1/185، و خزانة الأدب2/419.
(21)المنثور البهائي.58.

جـائزة
الشّارقة للدّراسات
اللّغويّة والمُعجميّة
Sharjah Linguistic and Lexical
Studies Award

## وقْفَــة مع الأَعْمــالِ الفائِزةِ في جائزةِ الشّارِقةِ للدِّراساتِ اللُّغَويَّةِ والمُعجميَّةِ

فَرع الدِّراسات المُعجَميَّة (الدَّورة الخامسة 2022)




# معجم: مصطلحات الفنون البصريَّة

## للفَنّان التَّشـكيليّ: د. سـامي بن عـامـر




هبة هشام
باحث لغويّ في مجمع اللّغة العربيّة بالشارقة


**مِنْ بَينِ عَـدَدٍ مِنَ الـدِّراسـاتِ المُعجميَّةِ الرَّصينة، حـازَتْ دِراسَـةُ الفنَّان التَّشكيليّ د. سامي بن عامر بعنوان: (معجم مُصطَلَحات الفُنون البصَريَّة) المَرْكَزَ الأوَّل ضِمْنَ فِئَةِ الدِّراساتِ المُعْجَميَّة في جائِزَةِ الشّارِقَةِ للدِّراسات اللُّغَويَّةِ والمُعْجَميَّة خلالَ دَوْرَتِها الخامسَة للعام 2022م، وتحتَ مِحْوَر المُعجَمِ المُختَصّ في العُلوم والفُنون؛ ذلكَ أنَّها كانَت أوَّل بذرة تُغرَسُ في مجالِ المَعاجم المُخصَّصة للفُنونِ البصريَّة، لا بصِفَتها مُجرَّد جُهدٍ جمعيٍّ لأسماءِ المدارس والتَّيّارات والمصطلحاتِ الفنيَّة المُتداولة بين دفَّتي كتاب، ولا بِعَدِّها محضَ تعريبٍ ينقلُ مضامينَ معاجم فرنسيَّة أو إنجليزيَّة إلى اللِّسانِ العربيّ.**

بل بكونِها مغامرةً معرفيَّة طَموحَة سَعَت إلى تشكيلِ شبكةٍ من المفاهيم والمَدارِس والتَّجارب المُتَناثرَة في الفضاء الفَنّيِّ ضمن إطارٍ شامل، مستَجيبَةً لحاجَةِ الثَّقافَة العربيَّة المُعاصرةِ إلى لوحةٍ بانوراميَّة للفنّ، تُضيءُ الطَّريقَ للباحثين والفنّانين، وتربِطُهم بآفاقِ التَّلقّي الواسع، وتؤسِّسُ لثقافةٍ بصريَّة راسِخَة، فجاءَ هذا المعجمُ ثمرةً لتجربةٍ جديدة، وحصادًا لعقودٍ ثلاثـةٍ من عمل المؤلِّفِ في ميادين البحثِ والتَّدريسِ الجامعيّ، مُتضَمِّنًا ما راكمَه من دروسٍ وبحوثٍ ومقالاتٍ علميَّة ومحاضرات، لِيُلَملِمَ شعثَ ما تفرَّقَ منها عبرَ المؤلَّفات والأزمنة، ويُنصِفَ الفنّان العربيَّ، ويُبوِّئَهُ مكانَةً مساوِيَةً لنُظَرائهِ من مبدعي الغَرب.

ارتأى المؤلِّفُ تقسيمَ مُعجَمِه هذا وفقَ أبوابٍ مرتَّبةٍ ألفبائيًّا من الألف إلى الياء، ومشتمِلَةً على عناوين بلغ عدَدُها مئةً وخمسةً وعشرين عنوانًا، كما أَرفَقَ بعضَ المقالاتِ بعناوين ثانويّة لمزيدٍ من الوُضوحِ المنهجيّ،



واختارَ تقسيمَ هذه المقالات إلى مواضيعَ مفهوميَّة بالأساس، وإلى إشكاليّات ترتبط بالمصطلح الفَنّيّ والحقل اللّغويّ التّقنيّ، ومواضيع تخصُّ العمل الفنّيّ وتقنياته، والحركات التَّشكيليَّة، والتّيّارات والمدارس الكبرى الّتي أغنَتْ جُملةَ المعارِف الإنسانيَّة في مجالِ الفنون البصريَّة وأثَّرت فيها، كما عُنِيَ بإبراز المواضيع ذات الصّلة بالنّقد الفنّيّ والتّكوين المعرفيّ للفنون، وتطرَّق المؤلِّف في مقالات عديدة إلى السّياق الذي يندرِجُ فيه الفنُّ باعتبارِه عنصُرًا حيويًّا في دائرة العولمة، مثل: موضوع الأسْواقِ الدّوليّة، وتاريخ الاستشراقِ وغير ذلك، انطلاقًا من إيمانِ المؤلِّف بأنَّ مجالَ الفنون البصريَّة لا يقفِ عندَ حدودِ المُمارسة الفعليَّة الفنيَّة وما تُفْضي إليه من إنتاج فنيّ، بل يتّصلُ كذلك بجُمْلةِ من المؤسَّساتِ والمَجالاتِ المعرفيَّة التي تتحكَّم فيه محليًّا ودوليًّا وهو

**مِمّا يُمَيِّزُ هذا المعجَم حرصُ مؤلِّفِه على تَضْمينِه جُلَّ الفُنونِ البَصَريَّة التي تُخاطِبُ حاسَّةَ البَصَر، من فنونٍ تشكيليَّةٍ وتَصميميَّة، وأُخرى معاصِرةٍ ذات علاقةٍ بالتّكنولوجيّات الجَديدة.**

**جاءَ هذا المعجمُ ثمرةً لتجربةٍ جديدة، وحصادًا لعقودٍ ثلاثةٍ من عمل المؤلِّفِ في ميادين البحثِ والتَّدريسِ الجامعيّ.**

ما يمنَحُها أهميَّة كبرى في البحث العلميّ، علاوةً على ما سبق فقد حرص المؤلِّفُ على المراوَحَةِ بين فتراتٍ زمنيَّة مختلفةٍ، وحضارات تزخر بإنتاجاتها وخصوصيَّتها في الفنِّ التَّشكيليِّ؛ إذ ارتحلَ بالقارئِ مُتنَقِّلًا بين فنونِ التّاريخِ القديم والفنِّ الإسلاميّ، وعصرِ النَّهضةِ الإيطاليَّة، والكلاسيكيَّة والحداثَة والمعاصَرة، ومزَجَ بينَ المحليِّ والتّونسيِّ والإقليميِّ العربيِّ والعالميّ لاسيّما الغربيّ، مؤكِّدًا في شرحِهِ للمُصطَلَحاتِ المُعتَمَدةِ على تغييراتِ مفهوم الفنِّ في الزَّمانِ والمَكانِ.

لم يَقتصِر المؤلِّفُ في شرحِه للمُصْطَلَحات على الشَّرح اللُّغويّ أو التَّعريف العامّ بها، بل امتدَّ عمَلُهُ ليشملَ طرحَ الإشكاليّاتِ المُتَضمِّنة لهذه المُصْطَلحات، مُعتَمِدًا أساسًا على استعمالاتِها المُختَلَفَة في المُمارساتِ الفنيّة، والتَّعريف بجُملةِ السّياقاتِ العامَّة، والظُّروف الخاصَّة

التي أحاطَت بها، وهو ما حدا بالمؤلِّف إلى الاعتمادِ على مَقولاتِ المُفكِّرين والفَلاسفَة والنُّقّاد، وشهادةِ الفنّانين أنفسهم، وقراءةِ أعمالِهم الفنيَّة التي تُمثِّلُ مصدرَ معرفَةٍ ومنهل معانٍ ساعدت على جمعِ المُعجَم وإثرائِه، كما سعى المؤلِّفُ إلى تذييلِ النُّصوصِ بالأحداثِ المُرتَبِطَة بالتَّجارب الفنيَّة، وقدَّم أسماءَ الفنّانين والتّيّارات غير العربيَّة باللِّسانَين الأجنبيِّ والعربيِّ رفعًا لكلِّ لَبْسٍ مُحتمَل، مع إضافة تاريخَي الميلاد والوفاة، ناهيكَ عن استجلابِه أهمّ المُصْطَلحات من اللُّغات الغربيَّة كالإنجليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة آخذًا باعتباره مراجعة التَّرجمات غير المُناسِبَة مع الطَّرح المعاصر، واختيارِ الملائم منها لمُتَطلَّباتِ الحِقبَة ومُقْتَضياتِها.

ولتَمكينِ القارئِ من التَّعمُّق في المُصطلَح والقَضايا المَطْروحة، سجَّل المؤلِّفُ في نهايةِ كُلِّ مقالٍ إحالات إلى مقالاتٍ أُخْرى من المُعجَم ذاتِ صلةٍ بالمَضامينِ المُتَناوَلة، لِما لِهذا من دَورٍ في فتحِ آفاقٍ جديدةٍ في الفَهمِ والبَحث، إضافة إلى توفيرِ قائمةِ المَراجعِ العلميَّة والفَنيَّة المُعتمَدَة، وقائمةِ المُصطلَحات الرَّئيسيَّة والفرعيَّة المَذْكورة بينَ ثَنايا المُعجَم، مع تحديدِ الصَّفَحات المَذْكورَة فيها.

تجدرُ الإشارَةُ هنا إلى اعتناءِ المؤلِّف في تجربَتِه النَّقديَّة هذه بالسّياقِ الّذي نشأَتْ فيه، فَلَمْ يَتَغاضَ عن تطعيم كلِّ مقالٍ بتجارب فنيَّة عربيَّة موازيةٍ لأسماءِ الفنّانين الغربيّين، تثمينًا

> لم يقتصر المؤلِّفُ في شرحه للمُصْطَلحات على الشَّرح اللُّغويّ أو التَّعريف العامّ بها، بل امتدَّ عمَلُهُ ليشملَ طرح الإشكاليّاتِ المُتَضمِّنة لهذه المُصْطَلحات، مُعتمِدًا أساسًا على استعمالاتِها المُختَلفَة في المُمارساتِ الفنيّة

> نجح المؤلف في صياغة عملٍ يؤكِّدُ أنَّ دراسةَ الفنون البصريَّة مُمارسَة معرفيَّة إبداعيَّة تنفتِحُ على أسئلةِ الجمالِ والمَعنى، وتسعى إلى إعادَةِ بناءِ رؤيةٍ للعالم من خلالِ الفَنّ

للذّات والهويّة، وحرصًا على التَّعريف بما تُقدِّمه البُلدان العربيَّة عمومًا من إبداعٍ مهمّ، وما تمثِّله تجارب فنّانيها من دَورٍ رياديٍّ مُنبثِقٍ من خصوصيَّتِها المُتفرِّدة، كما خصَّصَ المؤلِّفُ بعضَ المقالاتِ للتَّعريفِ بمَسيرةِ الفنون التّونسيَّةِ والعراقيَّةِ والفلسطينيَّة، وتقديم التَّجاربِ لبعضِ الدُّولِ العربيَّةِ في مجالِ المَتاحِفِ والبحثِ العلميّ والمَعارضِ الفنيَّة والكِتاباتِ النَّقديَّة، رغبةً منه في إبرازِ التَّجاربِ الفنيَّة المُتنوِّعَة التي يعُجُّ بها العالَمُ العربيّ، وتعريفِ القارئِ بها جنبًا إلى جنْبٍ مع تجارِبِ الغربِ في مجالِ الفُنونِ البَصَريَّة.

إنَّ ممّا يُمَيِّزُ هذا المعجَم حرص مؤلِّفِه على تَضْمينِه جُلَّ الفُنونِ البَصَريَّة التي تُخاطِبُ حاسَّة البَصَر، من فنونٍ تشكيليَّةٍ وتَصميميَّةٍ، وأُخرى معاصِرةٍ ذات علاقةٍ بالتّكنولوجيّات الجَديدةِ (كالفوتوغرافيا) والفيديو والفنون الرَّقميَّة وغيرها، كما عرَّجَ على مصطلحاتِ الفُنونِ الجَميلةِ مثل: الرَّسْم أو التَّصوير، والنَّحتِ، والحفر، والرَّسم الخطّيّ، وتناولَ بالدَّرس الفُنونَ التَّشكيليَّة، وخصَّصَ حيِّزًا من اهتمامِه في هذا المُعجَم للفنونِ البَصريَّةِ ذاتِ الأبعادِ النَّفعيَّة، مثل: تَصميم المَنتوجِ الصِّناعيِّ والحِرَفيّ، وهو وإن وضعَ كلَّ هذه الأصنافِ الفنيَّة ضمنَ عُنوانِ الفنون البصريَّة فإنَّ ذلكَ لم يمنعْهُ من إبرازِ خصوصيّاتِ بعضِها، لاسيما تلك التي لم تقفْ عند حاسَّة البصر بل شَمِلَت مُعظَمَ الحواسّ، لذلك يَجِدُ القارئ في هذا المُعجَم عددًا مِنَ المَسائلِ المُتعلِّقة باختصاصاتٍ مُغايرةٍ كالعُلوم الإنسانيَّةِ والعلوم الطَّبيعيَّة وغيرِها، وهو ما يؤكِّدُ على أنَّ هذا المُعجم لا يَستهدِفُ المُختَصّين في

الفُنونِ البصريَّة وحدهم، بل يتوجَّه كذلكَ إلى الباحثينَ في المَجالاتِ المعرفيَّةِ الأخرى.

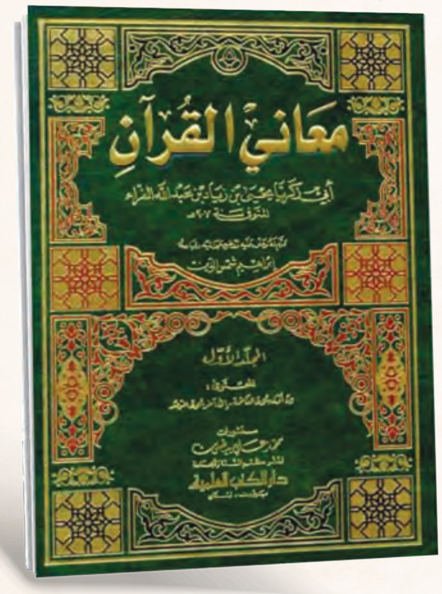
قَدَّمَ المؤلِّفُ هذا المعجم باللِّسانِ العربيّ إثراءً للغةِ الضّاد، وتوسيعًا لمجالِ البحث العربيّ، محاولًا طرح فكرة إجماليَّة عن تاريخ إشكاليّات الفنون البصريَّة، من خلال التَّمعُّن في مصطلحاتها، والتَّعريف بها، والتَّعريج على نظرة الفنّان الغربيّ إلى الشّرق، وتحرير المُصطلَحاتِ الفنيَّة من أسرِ الجُمودِ القاموسيّ، وإعادةِ وصلِها بجذورها الفلسفيَّةِ والجَماليَّة، وبسياقاتها التّاريخيَّةِ والاجتماعيَّةِ والثَّقافيَّة، وصولًا إلى تفسير التّقنيات والتّكنولوجيّات المعاصرة، وقد نجح المؤلف في صياغةِ عملٍ يتجاوزُ مجرَّدَ التَّعريف، إلى التَّحليلِ والنَّقدِ والاستشكال، كاشفًا عن شبَكةٍ مُعقَّدةٍ من العَلاقاتِ بينَ المَفاهيم والتَّيّاراتِ والأَعلام، ومُبرزًا التَّفاعُلات الخفيَّة بين الفُنونِ والعُلوم الأخرى، ومُحتَفيًا بالهويَّةِ العربيَّةِ في حوارٍ مُتَكافئٍ مع التَّجاربِ العالميَّة، ومؤكِّدًا على أنَّ دراسة الفنونِ البصريَّة ليسَت مجَرَّدَ نشاطٍ توثيقيٍّ، بل هي مُمارسَةٌ معرفيَّةٌ إبداعيَّةٌ تنفتِحُ على أسئلةِ الجمالِ والمَعنى، وتسعى إلى إعادَةِ بناءِ رؤيةٍ للعالمِ من خلالِ الفَنّ، آملًا من ذلكَ كُلِّه أن يكونَ هذا المعجم أداةَ بحثٍ ناجعة تُعينُ الباحثَ العربيَّ السّاعي إلى التَّعمُّقِ في المَجالِ المَعرفيِّ البَصَريّ، والتَّفكيرِ في مُصْطَلَحاتِه ومُمارساته، مع الوعيِ بالحاجَةِ الماسَّة إلى مزيدِ تَطويرِه، وإغْنائه، وتلافي ما قد يَقعُ فيه من نَقائص وشَوائب.



## سامي بن عامر

- فنّانٌ تَشكيليٌّ، وأستاذُ التَّعليمِ العالي بالمَعهَدِ العالي للفُنونِ الجَميلةِ في تونس.
- مُؤلّفٌ وفنّان وباحِث، أشرفَ على إعدادِ الكَثيرِ من مذكّرات الماجستير، وأُطروحاتِ الدُّكتوراه.
- تخرَّجَ في جامعة السّوربون، حاملًا شهادةَ الدُّكتوراه، عن مَبْحثِه «التَّأهيل الجامعيّ في الفنون التَّشكيليَّة».
- عَمِلَ في تدريسِ الفنِّ في المعهَدِ العالي للفُنونِ الجَميلةِ في تونس ثُمَّ مديرًا له.
- شغَلَ منصب الأمين العامّ لاتّحاد الفنّانين التَّشكيليّين التّونسيّين.
- كُلِّفَ بمهمَّة إعداد المُتحَف الوطنيّ الحديث والمعاصر في تونس.
- صدر له كتاب: «الفنون الجميلة: الاصطلاح وموقعه من الفكر الحديث» سنة 2001 عن مركز النَّشر الجامعيّ بتونس.
- شارك في عددٍ من معارِض الفنونِ التَّشكيليَّةِ والورشات ذات الصِّلة بعددٍ من الدُّول منها: تركيّا، وعمّان، وكولونيا، وبكّين، والكويت، ولندن، والقاهرة، ودبي والشّارقة، والمغرب، والجزائر.
- نظَّم عددًا مُهمًّا من المعارض الشَّخصيَّة عن انتاجاته الفنيَّة التَّشكيليَّة، وكان آخرها معرضه الافتراضيّ عام 2020، بعنوان «لمسة مميتة» وتمحور حول تأثيرات جائحة كورونا.
- نشَرَ عددًا من المقالات العلميَّة في مجلّات كثيرة مثل: «القلم» و«الحياة الثَّقافيَّة» و«الخيال» المصريَّة.
- شاركَ في تأليفِ أربع كتُبٍ ضمنَ دليل المُعلِّم في مجالِ تدريس مادَّة التَّربية التَّشكيليَّة في التَّعليم الأساسيّ.

# نحوٌ في محرابِ التّفسير «معاني القرآن للفرّاء»



في لحظة مفصلية من تاريخ العربيّة، وبين جيلين من النحاة، وقف الفراء حاملًا مشروعًا لغويًا يتجاوز الشكل إلى المعنى، والتقعيد إلى البيان. لم يكن معاني القرآن مجرد تفسير لغوي، بل إعلانًا عن ولادة اتجاه جديد في فهم النص القرآني، يقوم على اللغة أساسًا، وعلى الإعراب مفتاحًا، وعلى تنوع القراءات مجالًا رحبًا لاختلاف الدلالة وانفتاح التأويل.

في زمن ازدهرت فيه العلوم الإسلامية، وانفتح فيه العقل العباسيّ على ضروب المعرفة، برزت الحاجة إلى تفسير النص القرآني من زوايا متعددة، من أبرزها الزاوية اللغوية، حيث غدت أدوات النحو ضرورة لفهم التركيب والمعنى، وفي هذا السياق يبرز كتاب معاني القرآن ليحيى بن زياد الفراء، باعتباره من أوائل المحاولات المنهجية التي التقت فيها علوم اللغة بالتفسير، فكان شاهدًا على مرحلة مبكرة من التداخل بين النحو والتأويل.



سـناء محمـد أحمد
كاتبة

## الفرّاء: نحوٌ في محراب التفسير

يحيى بن زياد الفراء، من أعلام المدرسة الكوفية، وُلد في أوائل القرن الثاني الهجري، واشتهر بحسه اللغوي الرفيع، وتوسعه في جمع الألفاظ من أفواه الأعراب، تميز منهجه بالتوازن بين النقل عن العرب والقياس العقلي، وابتعد عن التزمت القواعدي، فكان أقرب إلى الواقعية اللغوية من التنظير الجامد، وكان من أبرز تلامذة الكسائي، لكنه لم يكن مقلدًا، بل صاحب رأي ناقد ومنهج مستقل.

ومن أبرز سماته أنه لم يجعل النحو غاية، بل وسيلة لفهم أسمى نص لغوي: القرآن الكريم. ولهذا وصف بأنه "نحوي في محراب التفسير"، إذ جمع بين دقة الصناعة اللغوية، وسلاسة الفهم التفسيري، دون أن يغرق في الجدل الكلامي أو الفقهي.

## سياق التأليف ودوافعه

جاء كتاب معاني القرآن استجابة لحاجة أحد طلابه، الذي لاحظ صعوبة الأوجه النحوية والتراكيب في القرآن على غير المتخصص؛ فبادر الفراء إلى تأليف كتاب يُوضح فيه المسالك اللغوية

للآيات، ويشرح القراءات المختلفة، ويوجه الإعراب، خاصة في الآيات ذات البناء المعقد، مع تعليل نحوي رصين.

وقد تميز هذا المشروع بأنه لم يتوجه إلى الفقهاء أو المحدثين، بل إلى النحاة وأهل العربية، فجاء مختلفًا عن التفاسير السائدة في عصره، التي غلب عليها الطابع الفقهي أو الروائي.

## منهج الكتاب وبنيانه الداخلي

أُلِّف معاني القرآن في ثلاث مجلدات، مرتبة وفق ترتيب سور المصحف. يبدأ الفراء عادةً بتقديم الآية أو جزء منها، ثم يعالج ألفاظها وتراكيبها من زاوية نحوية صِرفة، مستندًا إلى شواهد لغوية من كلام العرب أو من الشعر الجاهلي والإسلامي. يعرض القراءات المختلفة، ويُرجح بينها بناء على قواعد النحو، لا على المذهب أو العقيدة.

## من أبرز ملامح منهجه:

* تحليل البنية الإعرابية لكل جملة، مع بيان أثر الإعراب في المعنى.

* توجيه القراءات القرآنية المختلفة وفق منهج لغوي دقيق.

* الاستشهاد بالشعر العربي لدعم القاعدة، مع إدراك لتنوع اللهجات.

* التزام بالمنهج اللغوي، مع تجنب الخوض في المسائل الفقهية والعقدية.

ومن الأمثلة على تحليله، ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿إِنّ الله اصطفى آدم ونوحًا﴾، حيث أوضح أن "إنّ" تفيد التوكيد، و"اصطفى" فعل ماضٍ،



# أبو زكريّا الفرّاء

## صاحب كتاب «معاني القرآن»

أبو زكريا الفرّاء (144- 215هـ) هو يحيى بن زياد الكوفي، من أبرز أعلام النحو في المدرسة الكوفية في العصر العباسي، ولقب بالفرّاء لأنه "يفري الكلام"، أي يُصلحه.

نشأ في الكوفة ثم انتقل إلى بغداد، وتلقى العلم عن أعلام مثل الكسائي ويونس بن حبيب، وغيرهم، وكان من أحفظ الناس لنوادر الكسائي.

اتصف بالتدين والورع والكرم، إذ كان يجتهد في طلب الرزق طوال العام، ثم يعود في نهايته إلى الكوفة، فيمكث أربعين يومًا بين أهله، يوزّع عليهم ما جمعه من مال، ويكرمهم به.

اشتهر بمنهجه القائم على كثرة الرواية والدقة اللغوية، وله تأثير عظيم في علوم النحو حتى قيل: "لولا الفراء لما كانت عربية".

لُقّب بأمير المؤمنين في النحو، وكان له دور في ضبط اللّغة العربيّة ونشرها.

من أشهر مؤلفاته: الحدود في أصول النحو، والوقف والابتداء، والجمع والتثنية، وآلة الكاتب، والمقصور والممدود، المذكر والمؤنث، ولغات القرآن، وكلها تعكس عمق علمه في النحو والقرآن.

توفي سنة 207 هـ وقيل 215 هـ في بغداد أو في طريقه إلى مكة.

وبيّن أثر هذا التركيب في الدلالة. كما لم يُخطّئ القراءات الشاذة، بل فسّرها على ضوء النحو، مما يدل على سعة أفقه وحياده العلمي.

## لغة الفراء بين الدقة والبساطة

كتب الفراء بأسلوب خالٍ من التكلّف، دقيق العبارة، موزون المعنى، يجمع بين الصرامة العلمية وسلاسة العرض. لم يكن هدفه التنظير، بل الشرح والتوضيح. وتجلّى ذلك في اختياره للأمثلة والشواهد، حيث فضّل اللغة الحية المستعملة لدى العرب على التركيب المتكلف، فجاء كتابه قريبًا من القارئ الجاد وطالب العلم على حد سواء.

## المعاني في مواجهة التعقيد النحوي

ما يميز معاني القرآن عن غيره من المصنفات النحوية أنه لم يُقدِّم القواعد في صورتها الجافة، بل استخدمها كأداة لفهم النص، تجاوز الشكل إلى الجوهر، فأصبح الإعراب وسيلة لتلمّس المعنى العميق، وقد بيّن في مواضع كثيرة كيف تؤثر الحركات الإعرابية في المعنى، مبرزًا الفروق الدقيقة بين التراكيب.

كما ناقش مسائل خلافية بين النحاة مثل جزم الفعل بعد أدوات الاستفهام، أو نصب الاسم بعد "إنّ" في مواقع مخصوصة، مقدمًا شواهد دقيقة وتحليلات أصيلة.

## مكانة الكتاب في التراث

> كتب الفراء بأسلوب خالٍ من التكلّف، دقيق العبارة، موزون المعنى، يجمع بين الصرامة العلمية وسلاسة العرض. لم يكن هدفه التنظير، بل الشرح والتوضيح.

> إنّ ما يميّز معاني القرآن عن غيره من المصنفات النحوية أنه لم يُقدِّم القواعد في صورتها الجافة، بل استخدمها كأداة لفهم النّص، تجاوز الشكل إلى الجوهر، فأصبح الإعراب وسيلة لتلمّس المعنى العميق.

## النحوي والقرآني

يُعد معاني القرآن من أقدم وأهم ما كُتب في التفسير اللغوي، وقد أثّر في أجيال من النحاة والمفسرين، لا سيما:

* الزجاج في معاني القرآن وإعرابه، الذي تابع منهجه بوضوح.

* الزمخشري في الكشاف، الذي تأثر بتحليلات الفراء، وإن توسع في البلاغة.

* ابن جني وابن هشام، ممن استفادوا من منهجه وملاحظاته الدقيقة.

وقد عدّه الدارسون من أوثق المصادر النحوية في مسائل الإعراب القرآني، ومرجعًا لا غنى عنه في توجيه القراءات.

## الفراء والتوازن بين المدرستين

رغم انتمائه إلى المدرسة الكوفية، إلا أن الفراء لم يكن متعصبًا، بل أخذ من البصريين حيث رأى الصواب، وقد أشار الباحثون إلى تقاطعات عديدة بينه وبين سيبويه، مما يدل على استقلاله الفكري، وقدرته على الموازنة دون انغلاق.

ويكشف هذا التوازن عن منهج عقلاني، يجعل من النحو وسيلة لفهم النص، لا ساحة للخصومة.

## نظرية نقدية

لا تخلو القراءة المعاصرة للكتاب من ملاحظات، أبرزها:

* الاقتصار على الجانب النحوي دون الانتباه الكافي للمعنى العام للآيات.

* الإغراق في تتبع القراءات دون تحليل سياقي معمق.

* الاعتماد على الترتيب المصحفي، مما

يصعب معه الاستفادة الموضوعية أو الموضوعاتية.

* إهمال بعض جوانب البلاغة التي تضيء المعنى، والتركيز الحصري على الإعراب.

ومع ذلك، تظل هذه الملاحظات في إطار حدود التخصص، ولا تنتقص من القيمة العلمية للكتاب.

**خاتمة: نحو قراءة جديدة للقديم**

معاني القرآن ليس مجرد كتاب في النحو، بل وثيقة لغوية شاهدة على وعي مبكر بدور اللغة في تفسير النصوص، لقد فهم الفراء أن الإعراب مفتاح للبيان، وأن دقة اللغة سبيل إلى إدراك المعنى.. ومن هنا، فإن العودة إلى كتابه ليست فقط رجوعًا إلى التراث، بل دعوة إلى قراءة لغوية حديثة تُعيد التفسير إلى جذوره البيانية، وتُحيي مشروعًا نحويًا أصيلاً لا يزال حيًّا حتى اليوم.


**المصادر والمراجع:**

1. الفراء، معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1955م.
2. عبد الحميد حسن، دراسات في النحو الكوفي، دار الفكر العربي، القاهرة.
3. المختار أحمد ديرة، نظرات في كتاب معاني القرآن للفراء، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 78، دمشق، 1991م.
4. رسالة ماجستير بعنوان الفكر النحوي عند الفراء، جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، 2017م.
5. فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، الجزء الثالث: النحو واللغة، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت.


## حِكَمٌ وَآدَابٌ

**قالَ أبو الأسود الدؤليّ واصِفًا فضلَ العلمِ ومكانَةَ أهلِه:**

العِلمُ زَينٌ وَتَشريفٌ لِصاحِبِه ... فَاطلُب هُديتَ فنونَ العِلمِ والأَدَبا

لا خَيرَ فيمَن لَهُ أَصلٌ بِلا أَدَبٍ ... حَتّى يَكونَ على ما زانَهُ حَدِبا

العِلمُ كَنزٌ وذُخرٌ لا نَفادَ لَهُ ... نِعمَ القَرينُ إذا ما صاحِبٌ صَحِبَا

يا جامِعَ العِلمِ نِعمَ الذُّخرُ تَجمَعُهُ ... لا تَعدِلَنَّ بِهِ دُرًّا ولا ذَهَبا



# رحلة التصويبات من الهوامش إلى المتـــون فـــي التـــراث العربـــي

## أمثلةٌ ونماذج من كتاب «الرواية الشنقيطية» للدكتور أحمد كوري بن يابــة الســـالكي




**كتاب العلامة المحقق د. أحمد كوري بن يابة السالكي «الرواية الشنقيطية.. من الألفية والشواهد النحوية» كتاب جليل القدر، عظيم الفائدة. جمع فيه المؤلف بين نهج الأقدمين في عُلو الهمّة وسعة المعرفة، وبين نهج المتأخرين في حُسن الترتيب والتقسيم، رغم تشعّب موضوعات الكتاب. كما تجلّت فيه براعة المؤلف المعهودة في الضبط والتدقيق، والاستفادة من كافة المصادر والمراجع المخطوط منها والمطبوع. إضافة إلى الموضوعية التي التزم بها المؤلف في مراجعاته للنصوص.**

**ورغم أن الكتاب يبحث في ظاهرة «الرواية» التي انفردت بها المصادر الشنقيطية، من الألفية والشواهد النحوية عن باقي المصادر المشرقية القديمة ومحاولة تفسيرها؛ فإنه -أيضاً- حافل بأمثلة كثيرة من التراث العربي، تُبيّن بجلاء ظاهرة انتقال التصويبات من الهوامش إلى صلب المتون، وهو ما سنقف عنده من خلال الأمثلة والنماذج الآتية.**



د. أحمد غوثم اقّمد
سكرتير تحرير مجلة الرافد الرقمية

### تفسير الظاهرة:

تبدو مسألة التّحويرات أو التّصويبات في التّراث العربي ظاهرة قديمة، لا يكاد يسلم منها متن أو شـرح، سـواء في ذلك النصوص الفقهية، أو اللغوية، أو الشواهد والنصوص الشعرية. والسبب في ذلك أن بعض رواة الأشعار وأصحاب الشروح كثيراً ما يعتمدون على القياس اللغوي والنحوي دون الرواية في ضبط النصوص، ثم يأتي النساخ فيعتمدون هذا الضبط ويدرجونه في الأصل، وشيئاً فشيئاً يصير هذا «الإصلاح» إحدى روايـات النص، وينتقل من الهامش إلى المتن.

ومن مظاهر هذه التصويبات قديماً، قول خلف الأحمر: «وقد كانت الرواة قديماً تصلح أشعار الأوائل»، وكذلك كان يفعل خلف والأصمعي، وأبو تمام في حماسته «فكثيراً ما كان يعتمد على ذوقه؛ فأحياناً يقدم

ويؤخر في أبياته، وأحياناً يبدل بعض كلمات العرب بكلماته، وربما حذف ما يحتاج إليه المعنى، فيختل المبنى، هذا وقد عبثت أيدي رواته بجمعه، فوضعوه على غير وضعه».

ويبدو كذلك أن الشراح كالدماميني والمرزوقي والتفتازاني وعبد القاهر البغدادي، لم يكونوا يتحرجون من تغيير اللفظ الذي يرون أنه «قبيح»أو «بشع» أو «فاحش»، لا يلائم الذوق السليم، أو الآداب الاجتماعية .

وقد لاحظ محمد بن الحسن البناني (ت: 1149هـ) احتمال تصرف بعض الشراح في نص مختصر الشيخ خليل، بتحويل التصويبات إلى المتن، كما يقول: «فكان حق المصنف أن يقدمه على قوله: "إن لم يأخذه" إلخ، وقد قدمه الخرشي هناك، وهو حسن، غير أنه خلاف النسخ».

وقد أصلح ابن عقيل قول ابن مالك في الألفية:

واسماً أتى وكُنيةً ولَقَبا
وَأَخِّرَنْ ذَا إِنْ سِواهُ صَحِبَا

فاقترح إصلاحه بـ«سواه»، ثم جاء السيوطي وابن حمدون والخضري، فجعلوا هذا الإصلاح رواية من روايات الألفية .

بل إنّ ظاهرة التصرف في النص الأصلي أو الرواية الصحيحة اعتماداً على كثرة الروايات والشيوع، أو الاجتهاد، لا تختص بالشعر والشواهد النحوية، بل تطال أحياناً كتب الحديث الشريف، كما قال القاضي عياض: "روايتنا في مسلم عن جمهورهم



(بَدُن) كما ذكر عن أصحاب الحديث، وللقاضي الصدفي عن العذري: (بَدَّن)، وأراه إصلاحاً".

إذنْ؛ فليست التصويبات بغريبة عن المتون والأشعار، والشواهد اللغوية ومدونات التراث العربي.

## المُؤلِّف وهاجس التصويبات:

لقد نصّ العلماء على منع تغيير النص الأصلي، وبينوا أن التصويبات ينبغي أن تكون في الهامش، لا في المتن. قال الإمام الدرير في شرحه لقول خليل: «فما كان من نقص كمّلُوه ومن خطأ أصلحوه»: «أصلحوا ذلك الخطأ بالتنبيه عليه في الشروح أو الحاشية أو التقرير... من غير تبديل في أصل الكتاب؛ فإنه لا يجوز ولا إذن فيه لأحد، كما هو ظاهر» .

وعلّق الدسوقي على هذا الكلام قائلاً: «لأن فتح هذا الباب يؤدي لنسخ الكتاب بالكلية؛ لأنه ربما ظن الناسخ أن الصواب معه مع كون ما في نفس الأمر بخلافه».

وكان جمال الدين محمد بن مالك لا يرضى بجعل حرف بدل آخر في مؤلفاته، قال تلميذه ابن أبي الفتح البعلي: "قرأت عليه يوماً قوله في باب حروف الجر: "مِن مقَرْ" بالقاف؛ فردها علي «مِن مفرْ»؛ فقلت: «يا سيدي ما للباغي مفر ولا مقر»! فقال لي: صدقت، ولكن أنا ما قلت إلا «مفر».

وقد كانت ظاهرة التصويب والإصلاح حاضرة وبقوة في ثقافة المحظرة الشنقيطية، حتى خاف بعض المؤلفين الشناقطة منها، فكثر تحذيرهم أولا من التسرع والجراءة على التصويب قبل التأكد من وجود الخطأ، كما كثر تحذيرهم ثانياً من إدراج هذه التصويبات في كتبهم، وإذا كان لا بد منها فلتكن في الهامش، أو في كتاب مستقل.

ومن العلماء الذين كانوا يخافون أن تُحرّف كتبهم الإمام محمد اليدالي

(1096-1166هـ)، فكان يرشد النقاد إلى الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الناقد المثالي، كما قال في خاتمة الذهب الإبريز:

**وأَخْشى عَليه نَاقداً ومُحرفاً**
**له لم يَكُن في الرأس منه سِوى اللحم**
**نعم فَلْيُصحّح ناقد ذو بصيرة**
**أخو ثقة ثبت ذكيّ أخو الفهم**

كما كان الشيخ أحمد البدوي المجلسي (1158-1208هـ) ينعى على معاصريه عدم التؤدة في التخطئة، ويرد عليهم مقدماً، أنه لم يعتمد إلا على مشاهير الكتب:

**ومَن رَأى خلاف ما ذكرتُهُ**
**فَلْيَتّئِدْ لعلَّ ما أبْصَرْتُهُ**
**فِي غيرِ مَا طالعَهُ إذِ الطُّرقْ**
**لاسَيّما في الفنِّ ذا- قد تَفترِقْ**
**ورُبّما أنْكَرَ ضَيّقُ العَطن**
**والباعِ والبَحْثِ علي فَطعن**
**ولسْتُ إلاَّ من مَشاهِيرِ الكتبْ**
**آخُذُ فلْيُزَكّها أو ليسبْ**

واشترط الحسن بن زين القناني (ت: 1315هـ) شرطين في تصويب احمراره على لامية الأفعال: أولهما أن يتيقن المصوب وجود الخطأ، وثانيهما أن يصوب في الهامش لا في الأصل .

ويقول الشيخ الطالب عبد الله الجكني (القرن 13هـ) في كتابه: "الإيضاح الساطع، شرح المحتوى الجامع، رسم الصحابة وضبط التابع":«وأطلب المعذرة مِن مّن وصل إليه من أهل الإتقان، في ما رأى من خطأ؛ فإن الحوادث محل التغيير، وليصلحه خارجاً إن استطاع، فإن اطلع عليه في حياتي فليطلعني عليه، فلعله لم يفهم ما قيل، أو يكون هو الخاطئ؛ فإن الحادث لا بد له من خطأ، وإن لم يكن في حياتي فليُطلع عليه أهل الإتقان؛ ليجتهدوا في تفهيمه؛ فقد يكون صحيحاً».

**”**

**تبدو مسألة التّحويرات أو التّصويبات في التّراث العربي ظاهرة قديمة، لا يكاد يسلم منها متن أو شرح، سواء في ذلك النصوص الفقهية، أو اللغوية، أو الشواهد والنصوص الشعرية. والسبب في ذلك أن بعض رواة الأشعار وأصحاب الشروح كثيراً ما يعتمدون على القياس اللغوي والنحوي دون الرواية في ضبط النصوص.**

هكذا إذنْ؛ ظل هاجس التصويب خَوفاً من التحريف أو الزيادة أو النقصان حاضراً عند المؤلفين الشناقطة.

طريقة الشناقطة في تصويب النصوص:

اعتنى علماء شنقيط عناية خاصة بالمخطوطات العربية، فرحلوا طلباً لها، وبذلوا الغالي والنفيس في الحصول على نوادرها. وكانت لهم طريقتهم الخاصة في تحقيقها وإخراجها، وهي طريقة تتجاوز -أحياناً- الإصلاح في الهامش والحاشية إلى الإدراج في المتن الأصلي.

وهي طريقة أثارت استغراب بعض المشارقة، كما يقول محمد عبد الجواد الأصمعي عن طريقة تصحيح العلامة محمد محمود بن التلاميد (1245-1322هـ) لكتاب الأغاني:

«فلقد كان الشنقيطي -رحمه الله- يكتب صواب الكلمة تارة بالهامش، وطوراً يكشطها ثم يكتب صوابها بغاية الدقة في موضعها الأصلي، وآونة يصلح الحرف المغلوط بالحرف الصحيح كالدال في موضع الراء، ومرة يكشط نقطة أو يضيف على الموجودة أخرى، أو يعجم الحرف المهمل أو يهمل المعجم، وهلم جرا: وذلك لكله في نفس الكلمة المطبوعة، وبطريقة لا تكاد تظهر إلا بانعدام النظر وكثرة التأمل، من ما يقضي في كثير من الأحيان الاستعانة بالنظارة العدسية».

ويقول عبد السلام هارون عن طريقة ابن التلاميد في التصحيح في صلب النص: «امتازت بتلك التصحيحات التي صنعها الشنقيطي بقلمه، مستعملا المحو تارة، والترميج تارة أخرى».

فقد كان ابن التلاميد يصحح الأخطاء بكل الوسائل المتاحة لديه، بالمحو، والترميج، والحذف والزيادة... إلخ.

يقول حسين نصار عن تعامل ابن التلاميد مع نسخة آيا صوفيا من ديوان الخرنق: «اطلع الشنقيطي على النسخة السابقة؛ فدون منها نسختين، فرغ من أولاهما في آخر ليلة من شهر رمضان سنة: 1295هـ، وكتبها بخط مغربي. وأَعَدُّ

هذه النسخة تحقيقاً، أو اللون الذي كان يعرفه عصره من التحقيق؛ فقد مَنح نفسه حرية التصرف في النسخة بالتصحيح، بل بزيادة بعض الشعر، وتغيير ما لا يجب تغييره من ألفاظ. فجاءت نسخته أقرب إلى السلامة اللغوية من نسخة الأصل، غير أنها ابتعدت عنها». وعلى نسخة الشنقيطي هذه اعتمد كل من بشير يموت ولويس شيخو في تصحيح شعر الخرنق.

وعلى سنة سلفه سار أحمد بن الأمين الشنقيطي (1280 - 1331هـ)، فقد كان -حسب رأي صلاح الدين الهادي- في تصحيحه لديوان الشماخ: «يتصرف في النصوص التي يصححها أو يشرحها؛ فيقدم ويؤخر حسب ما يرى أنه مناسب للمعنى، ويحذف ما يستغلق عليه معناه، ويثبت في المتن ما يراه صواباً، بدون إشارة إلى ذلك، وإن خالف المخطوطات المعتمدة لديه».

وقد بقيت هذه النشرة التي نشرها ابن الأمين من ديوان الشماخ، وتصرف فيها، هي المعتمد الوحيد المتوفر للباحثين من هذا الديوان، منذ نشرت سنة: 1327هـ، حتى نشر صلاح الدين الهادي نشرته المحققة سنة: 1388هـ.

وعن تصحيح ابن الأمين لأمالي الزجاجي، يقول عبد السلام هارون: "وقد عُني بتصحيحها ونشرها أحمد بن الأمين الشنقيطي، ولم يشر إلى أصلها، كما كانت عادة الناشرين في ذلك العصر، وقد عُنيتُ بمقارنة نصوصها بنصوص الأصلين السابقين، وقد لحظت أن الناشر كثيراً ما يغير النص بدون تنبيه، معتمداً على النصوص المشتركة بين أمالي الزجاجي وبين الأغاني لأبي الفرج، الذي قام هو بنشره في النسخة المعروفة بنسخة الساسي».

وقد بقيت -أيضاً- هذه النسخة التي نشرها ابن الأمين من أمالي الزجاجي، هي المعتمد الوحيد المتوفر للباحثين من هذا الكتاب، منذ نشرت سنة: 1324هـ، حتى نشر عبد السلام هارون نسخته المحققة سنة: 1382هـ.

ختاماً: لا خلاف عند المحققين أن المنهج الصحيح هو التمسك بالنص الأصلي كما هو في المَتن، وإجراء التصويبات في الهامش، كما أن الكتابي -أيضاً- مقدم على الشفاهي عند التعارض، ولذلك كان المحدثون يقدمون ما في الكتاب على ما في الحفظ، إذا كان ما في الكتاب هو الأصل: "إذا وجد الحافظ في كتابه خلاف ما يحفظه نظر؛ فإن كان إنما حفظ ذلك من كتابه فليرجع إلى ما في كتابه، وإن كان حفظه من فم المحدث فليعتمد حفظه دون ما في كتابه إذا لم يتشكك، وحسن أن يذكر الأمرين في رواية فيقول: (حفظي كذا، وفي روايتي كذا)».

وقديماً تفطّن ذو الرمة إلى مستوى التّحوير الذي تلحقه الشفاهية بالنصوص عند أهل البادية، فقال لعيسى بن عمر: «اكتب شعري؛ فالكتاب أحب إلي من الحفظ، لأن الأعرابي ينسى الكلمة وقد سهر في طلبها ليلته، فيضع في موضعها كلمة في وزنها، ثم ينشدها الناس، والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلاماً بكلام».

ورغم أن الشناقطة كان لهم نصيبهم -مثل غيرهم- من هذه التحويرات التي تخالف -أحياناً- الرواية الأصلية؛ فإن ذاكرتهم القوية حدّت من تسيّب الشفاهية؛ فاقتصر مجال التصويب على الألفاظ والجُمل، ولم يصل إلى تبديل النص من أساسه، فأصبح منهجهم في تحقيق التراث العربي محلّ ثقةٍ من العلماء والمحققين في المشرق والمغرب، كما قال حسام الدين المقدسي: "الناس يسكنون إلى كتب الأستاذ الشنقيطي، لاسيما ما تعهده بالتصحيح».

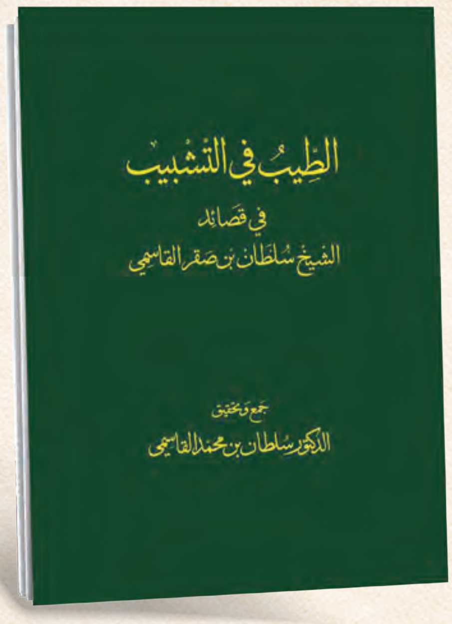
**لقد نصّ العلماء على منع تغيير النص الأصلي، وبينوا أن التصويبات ينبغي أن تكون في الهامش، لا في المتن. قال الإمام الدرير في شرحه لقول خليل: «فما كان من نقص كمِّلوه ومن خطأ أصلحوه»:... «أصلحوا ذلك الخطأ بالتنبيه عليه في الشروح أو الحاشية أو التقرير... من غير تبديل في أصل الكتاب؛ فإنه لا يجوز ولا إذن فيه لأحد، كما هو ظاهر».**

***

**كتاب الرواية الشنقيطية من الألفية والشواهد النحوية.**

**تأليف: د. أحمد كوري بن يابة السالكي.**

**الناشر: دائرة الثقافة- الشارقة، الطبعة الأولى:** 2016.




# الطّيب في التّشبيب

## في قَصائد الشيخ سُلطان بن صَقر بن خالد القاسميّ



جمع وتحقيق: الشَّيخ الدُّكتور سُلطان بن محمَّد القاسمي

**قدَّمَ صاحبُ السُّموِّ الشَّيخُ الدُّكتور سُلطان بن محمَّد القاسمي، حاكمُ الشَّارقة، كَنْزًا أدبيًا دَفينًا في كتابٍ حملَ عنوان «الطِّيب في التَّشْبيب»، إذ أخرَجَ إلى النُّورِ مجموعةً من القصائد القديمةِ للشيخ سُلطان بن صَقر بن خالد القاسمي رحمهُ الله، أحدِ حُكَّامِ الشَّارقةِ الأسبقين، بعد أن وَجَدَها ضِمنَ ديوانٍ شِعريٍّ نادرٍ.**

وقد عَكفَ سُموُّهُ على دِراسةِ تلك القصائدِ وتحقيقِها، مُستخلصًا منها ثمانِ قصائدَ تزيَّنتْ مطالعُها بالتَّشْبيبِ، وهو الوصفُ الرَّقيقُ للنساءِ الذي يَفتتحُ به الشُّعراءُ العربُ عادةً قصائدَ المدح. وتتميَّز هذه المختاراتُ بجمالِ لغتِها، وجزالةِ ألفاظِها، وأصالتِها العربيَّةِ، فغدَتْ مثالًا ناصعًا للفصاحةِ والرُّقيِّ الشِّعري في الوَصف. وقد اكتفى سُموُّهُ بمَقاطعِ التَّشْبيبِ دون سِواها، فحقَّقها لفظًا ونحوًا، وأغفل بقيَّةَ النّصوص، ليُقدِّمَ للقارئِ عملًا يجمعُ بين الذَّوقِ الأدبيِّ الرَّفيعِ والتّحقيقِ العِلميِّ الدَّقيق.



الشيخ سلطان بن صقر بن خالد القاسمي رحمه الله

لقراءة الديوان



# مِن أعْلامِ العَربِيّة

- مِنْ أَسَاطِينِ اللُّغَةِ العرَبِيَّةِ ابنُ مَالِكٍ الأَنْدَلُسِيُّ
- الخَليــــلُ الفَـراهــيدِيُّ: حيـاتُـه وشــخصيّتُـه
- التَّرْجَمَةُ للأَعْلام مَزِلَّةُ أَقْدام ابنُ سيدَه وكـتابُـه: (المحكَمُ في اللّغة)



# مِنْ أَسَاطِينِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ ابنُ مَالِكٍ الأَنْدَلُسِيُّ



خلف محمود أبوزيد
كاتب وباحث

**يُعدُّ ابنُ مالكٍ، إمامًا من أئمّةِ اللّغةِ العربيّةِ الكبارِ، ذلك الإمَامُ النّابهُ، الذي غاصَ في أعماقِ المعاني والأفكارِ، فاستخرجَ منَ المكنونِ نفائسَه بهمّةٍ عاليةٍ واقتدارٍ، فأثرَى دُررَ العربيّةِ ونفائسَها بآرائه الحَصيفةِ، ولطائفِ تحقيقاتِه وإشاراتِه البديعةِ، فبلغت شهرتُه الآفاقَ وذاع صيتُه وطارَ ذكرُه في كلِّ صوْبٍ واتّجاهٍ، فحازَ قصبَ السّبقِ وشقَّ بجهودِه العلميّةِ الفائقةِ، دروبًا مضيئةً للأجيالِ بعدَ الأجيالِ، هذا إلى جانبِ أنَّ ابنَ مالكٍ إمامُ النَّظمِ في علومِ العربيّةِ، فهو صاحبُ الباعِ الطّويلِ في هذا الميدانِ، لاقت مؤلّفاتُه اللّغويّةُ عنايةً خاصّةً منذ أيّامِه، وذاع بعضُها ذيوعًا واسعًا، واستمرَّ إلى هذه الأيّامِ، ونتعرّفُ عبْرَ هذه السّطورِ، على سيرةِ ابنِ مالكٍ، و أهمّيةِ كُتبِه وعلوِّ مكانتِه في خدمةِ تراثِ العربيّةِ الخالدِ.**

**مولدُه ونشأتُه:**

اتّفق المؤرّخون، على أنَّ محمّد بنَ عبد الله بنِ مالكٍ الطّائيَّ الأندلسيَّ، وُلد بمدينة «جَيّان»، وهي تبعدُ سبعة عشر فرسخًا عن قرطبةَ بالأندلس، وتُرجعُ أرجحُ الرّوايات ميلادَه، إلى نهايةِ القرن السّادس الهجريِّ، ومُفتتحِ القرن السّابع، «فقيل سنة 597 هجرية، وقيل 598 هجرية، وقيل 600 هجرية، وقيل 601 هجرية، وقيل 608 هجرية» (1)، أمّا عن وفاتِه فكانت في دمشق، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شعبان، سنة 672 هجرية، ودُفنَ بسفْحِ جبلِ قاسيون، وقد تلقَّى ابنُ مالكٍ علومَه الأُولى في بلاد الأندلس، ثمّ رحلَ إلى بلادِ الشّام بين الخامسةِ والعشرين والثّلاثين من عمره، حيث استقرَّ في دمشق، وانبرى بهمّةٍ عاليةٍ وقلبٍ صَبورٍ يطلبُ العلمَ، ويرتشفُ من أنواعِ المعرفة، ولم يزل مجتهدًا في تحصيل العلمِ حتى كمُلَ ونضجَ في النّحوِ بمسائلِه وقضاياه التّركيبيّةِ والتّصريفيّةِ، ونذكرُ في هذا المقام، من شيوخِه الذين أخذ عنهم العلمَ:

* أبو عليّ الشّلوبين الأزدي الإشبيليّ.
* العلم السّخاوي علي بن محمد الهمداني المصري.
* أبو المفضّل نجم الدّين كرم بن محمّد القرشيّ.
* ابن يعيش الأسديّ الموصليّ الحلبيّ.

* ابن عمرون محمّد بن محمد الحلبيّ جمال الدين أبو عبدالله.

وغيرهم من أفاضل العلماء الكبار ممّن زخر بهم عصرُ ابنِ مالك.

**علمه وثقافته:**

كان ابنُ مالك، ذا ثقافةٍ واسعةٍ، وأسلوبٍ عربيٍّ سليم، كثيرَ الاطّلاعِ في علومِ اللّغةِ والأدبِ، حيث كان صاحبَ عقلٍ متدبّرٍ، وحافظةٍ قويّةٍ، وذهنٍ وقّادٍ، ويصفُ لنا الإمامُ الذّهبيُّ مكانةَ ابنِ مالكٍ العلميّةَ والفكريّةَ بقوله «صرفَ همّتَه إلى إتقانِ لسانِ العرب حتى بلغ فيه الغايةَ، وحاز قصَبَ السّبقِ، وأربى عن المتقدّمين، كان إمامًا في القراءات وعللِها، وأمّا اللُّغة فكانَ إليه المُنْتهى في الإكْثَار من نقل غريبِها، والاطّلاعِ على وحشيِّها، وأمّا النَّحْو والتّصريفُ فكانَ فيهمَا بحرًا لَا يُجارَى، وحَبْرًا لَا يُبارَى. وأمّا أشعارُ العَرَب الَّتي يَستشهدُ بهَا على اللُّغَة والنّحو فكانَتِ الأَئمَّةُ الأَعْلَام يتحيّرون فيهِ، ويتعجّبون من أَيْن يأتي بها»(2). فهذه الرّواية للذّهبيّ، تدلُّ على سَعةِ ثقافته، وتبحُّرِه في علوم العربيّةِ، وتدلُّ أيضًا على وضوحِ شخصيته العلميّةِ، وأنّه أحاطَ بعلومِ اللّغةِ إحاطةً واسعةً، وهذا المقريّ التّلمسانيّ، صاحبُ كتاب نفح الطّيب، يضيف إلى صفات ابنِ مالك العلميّةِ صفاتٍ أُخرى، فيقول: "كان رحمه الله كثيرَ المطالعة، سريعَ المراجعة، لا يكتبُ شيئًا من محفوظِه حتى يراجعَه في محلّه، وهذه حالةُ المشايخِ الثّقات، ولا يُرى إلّا وهو يصلّي، أو يتلُو أو يصنّفُ أو يُقرئ، وأنّه توجه يوماً مع أصحابِه للفُرجةِ في دمشقَ، فلمَّا بلغُوا الموضعَ الذي أرادُوا، غفلُوا عنه سُويعةً، فطلبُوه فلم يَجدوه، ثمّ فحصُوا عنه، فوجدُوه مُنكبًّا على أوراقٍ»(3)، ونظرًا لنبوغ ابنِ مالكٍ في علوم اللّغة، وَلِيَ عدّةَ وظائفَ مهمّة، في حلبَ كان متصدّرًا لتعليم العربيّةِ، حيث كان إمامَ المدرسةِ السّلطانيّةِ، وفي حماة تصدّر مدّةً، وفي دمشقَ وَلِيَ مشيخةَ العادليّة الكبرى، والتي كان من شرطِها، أن يكون شيخُها نابغًا في القراءاتِ العربيّةِ، وكان ذلك في عهد السّلطان بِيبرسَ.

**كان ابنُ مالك، ذا ثقافةٍ واسعةٍ، وأسلوبٍ عربيٍّ سليمٍ، كثيرَ الاطّلاعِ في علومِ اللّغةِ والأدبِ، حيث كان صاحبَ عقلٍ متدبّرٍ، وحافظةٍ قويّةٍ، وذهنٍ وقّادٍ.**

**آراءُ علماءِ عصرِه فيه:**

كان لابنِ مالكٍ، منزلةٌ كُبرى بين علماءِ عصرِه، الذين أثنَوْا عليه وأشادُوا بجهودِه العلميّةِ في خدمةِ اللّغةِ العربيّةِ وعلومِها، فقال عنه الصَّفديُّ: "أنّ ابنَ مالكٍ، كان إذا صلّى في العادليّةِ، وكان إمامَها، يشيّعُه قاضي القضاة، شمسُ الدّين بنُ خلّكانَ تعظيمًا له"(4)، وأنَّ الشّيخ تاجَ الدّين عبدَ الرّحمن الغزاويَّ، العالمَ المشهورَ، تأسّفَ يومَ موتِ ابن مالكٍ تأسُّفًا كبيرًا، فقيل له: "أكان الشّيخُ جمالُ الدّين ابنُ مالكٍ في النّحو مثلَك في الفقه؟ فقال له: "والله ما أنصفْتُموه، بل كان في النّحوِ مثلَ الشّافعيِّ في الفقه" (5)، كما قال عنه أبوحيّان الأندلسيُّ: "إنّ ابنَ مالك، نظم في هذا العلم كثيرًا ونثرَ، وجمعَ باعتكافِه ومُراجعتِه غرائبَ، وحوتْ مصنّفاتُه نوادرَ وعجائبَ، وأنَّ من عرفَ ما في تسهيلِه، لا يكونُ تحت السّماءِ ما هو أنحَى منه"(6). وقد رثاه من تلامذتِه النُّجباء، الشّيخُ بهاءُ الدين ابنُ النّحّاس، بقصيدة، منها:



قُل لابن مالكٍ إن جرتْ بك أدمُعي
حُمرًا يحاكيها النّجيعُ القاني
فلقد جرحتَ القلبَ حين نُعيتَ
لي فتدفّقت بدمائها أجفاني

**مؤلّفاتُ ابنِ مالكٍ العلميّةُ:**

ترك ابنُ مالك، مؤلّفاتٍ كثيرةً في النّحو والصّرفِ، واللّغةِ والعَروضِ والقراءاتِ، وقد دلّت هذه المؤلّفاتُ على سَعةِ علمِه واتّساع أُفقِه وعلوٍّ ورفعة مقامِه، حيث ألّفَ ابنُ مالكٍ في مختلفِ علومِ العربيّةِ، وجاءت هذه المؤلَّفاتُ، على مُستويَين اثنين هما: المتونُ الموجزةُ، والشّروحُ المطوّلةُ، وكان ذلك وَفقًا لمستوى التّلاميذِ والقُرَّاءِ، وَفقًا للغاية من تلك المؤلّفاتِ، وقد حَظيت مؤلّفاتُه بشهرةٍ واسعةٍ، وحقّقتْ رواجًا كبيرًا، ولا يزالُ الدّارسُون والباحثُون إلى يومِنا هذا، يَنهلون من مَعين هذه المؤلّفاتِ، ويتناولونَها بالبحثِ والتّحليلِ، والتّحقيقِ، والتّعليقِ، ويمكنُ لنا أن نقسمَ مؤلّفاتِه على النّحوِ الآتي:

> **ترك ابنُ مالك، مؤلّفاتٍ كثيرةً في النّحو والصّرفِ، واللّغةِ والعَروضِ والقراءاتِ، وقد دلّت هذه المؤلّفاتُ على سَعةِ علمِه واتّساع أُفقِه وعلوٍّ ورفعة مقامِه، حيث ألّفَ ابنُ مالكٍ في مختلفِ علوم العربيّةِ.**

**أوّلًا: في النّحوِ والصّرفِ:**

* أجوبةٌ على أسئلةِ جمالِ الدّين اليمنيِّ في النّحو.
* إكمالُ العُمدةِ وشرحُه.
* إيجازُ التّعريف في علمِ التّصريف، مختصرٌ شَرح فيه بعضَ المسائلِ الصّرفيّةِ، وقد نقلَ منه المراديُّ والأشمونيُّ.
* تسهيلُ الفوائدِ وتكميلُ المقاصدِ، وقد شرحَه ابنُ مالكٍ، ولم يُكملْه وأكملَه ولدُه بدرُ الدّين.
* سبْكُ المنظومِ وفكُّ المختومِ، وهو شرحٌ لكتابِ المُفصّلِ في علمِ العربيّةِ، للزّمخشريِّ.
* شرحُ الجُزُوليّة، شرحَ فيه المقدّمةَ الموجزةَ، التي وضعَها الجُزُوليّ في النّحو.
* عُدّةُ اللاّفظ وعُمدةُ الحافظِ، وهو عبارةٌ عن رسالةٍ صغيرةٍ، تضمُّ أصولَ النَّحوِ.
* الكافيةُ الشّافيةُ، وهي منظومةٌ طويلةٌ عدّةُ أبياتِها نحوُ ثلاثةُ آلاف بيتٍ من مزدوجِ بحرِ الرّجز.
* شواهدُ التّوضيحِ والتّصحيح لمشكلاتِ الجامعِ الصّحيحِ، أعربَ فيه ثمانيةً ومئةً منَ الأحاديثِ المُشكلة، التي ضمّها الجامعُ الصّحيحُ، للإمام البخاريِّ.
* الضّربُ في معرفةِ لسانِ العربِ.
* الفوائدُ النّحويّةُ والمقاصدُ المحويّةُ. شرحٌ لمنظومةِ الفرائدِ، وهي أصلٌ لكتابِه (التّسهيل).
* المُؤصلُ في نظمِ المُفصلِ، وهو نظمٌ لكتابِ (المُفصل في علمِ العربيّة)، للزّمخشريّ.
* نُكتةٌ على مقدّمةِ ابنِ الحاجبِ، شَرحَ فيه بعضَ مسائلِ المقدّمةِ المعروفةِ بـ(الكافيةُ في النّحو) لابنِ الحاجبِ.

**ثانيا: مؤلّفاتُه في اللّغة:**

* أُرجوزةٌ في الخطّ.

كما اهتمَّ بمشكلةِ الظّاءِ والضّاد، وما حدثَ من خلْطٍ بين هذين الصّوتَين، فوضعَ فيهما خمسةَ مصنّفاتٍ، بذل فيهما غايةُ جهدِه، في محاولةَ التّفريقِ بينهما، وهذه المؤلّفاتُ هي:

* أُرجوزةٌ في الضّادِ والظّاءِ.
* الإرشادُ في الفرقِ بين الظّاءِ والضّاد، وهو رسالةٌ في ألفاظٍ متّفقةِ المبنى مختلفةِ المعنى.
* الاعتمادُ في نظائرِ الظّاء والضّاد، شَرحَ فيه الكتابَ السّابقَ ورتّبَ ألفاظَه على حروفِ المعجم.
* الاعتضادُ في الفرقِ بين الظّاءِ والضّادِ، قصيدةٌ عددُ أبياتِها اثنان وستّون بيتًا مع شرحٍ لها.
* قصيدةٌ ظائيّةٌ في الفرقِ بين الظّاءِ والضّادِ، وشرحٌ لها.
* إكمالُ الإعلامِ بمثلّثِ الكلامِ، وهو أرجوزةٌ مربّعةٌ، نظمَها في حلبَ، عدّتُها خمسةٌ وخمسون وسبعمئة وألفا بيتٍ، وأهداها إلى الملكِ النّاصرِ عمادِ الدّين.
* كتابُ الألفاظِ المختلفةِ، في المعاني المؤتلفةِ، جمعَ فيه الألفاظَ المترادفةَ مرتّبةً بحسبِ الموضوعاتِ.
* تحفةُ المودودِ في المقصورِ والممدودِ

وشَرْحُها، وهو قصيدةٌ همزيّةٌ، عددُ أبياتِها واحدٌ وستّون ومئةُ بيت منَ البحرِ الطّويلِ.

* ثُلاثيّاتُ الأفعالِ، يتضمّنُ ما جاء منَ الأفعالِ على وزن (فَعل وأَفعل) بمعنًى واحدٍ، وهو على صلةٍ بالكُتبِ السّابقةِ.

* ذكرُ معاني أبنيةِ الأسماءِ الموجودةِ في المفصّل.

* رسالةٌ في الاشتقاقِ.

* رسالةٌ في بعضِ الصِّيَغِ ومعانِيها واستعمالِها.

* النّظمُ الأوجزُ فيما يُهمزُ وما لا يُهمزُ، منظومةٌ فيما هو مهموزٌ وغيرُ مهموزٍ.

* قصيدةٌ في الأسماءِ المؤنّثةِ.

* لاميةُ الأفعالِ أو "المفتاحُ في أبنية الأفعالِ"، وهو منظومةٌ عدّتُها أربعةَ عشر ومئةُ بيت منَ البحرِ البسيطِ، تناولَ فيها معظمُ موضوعاتِ الصّرفِ، وخاصّةً أبنيةَ الأفعالِ.

* منظومةٌ فيما وردَ منَ الأفعالِ بالواو والياء، قصيدةٌ تائيةٌ، منَ البحرِ الكاملِ، عددُ أبياتِها سبعةٌ وستّون بيتًا.

* وفاقُ الاستعمالِ في الإعجامِ والإهمالِ.

**ثالثًا: مؤلّفاته في القراءات:**

* المالكيّةُ في القراءات، قصيدةٌ داليةٌ منسوبةٌ إلى ناظمِها، على غرارِ الشّاطبيّةِ.

* اللّاميةُ في القراءاتِ، فخر فيها بما زادتْه على الشّاطبيّةِ من إفادةٍ.

**أشهرُ مؤلّفاته:**

يُعدُّ كتابُ «الخلاصة» أوِ الألفيةُ، من أشهرِ مؤلّفاتِ ابنِ مالك، واسمُ الخلاصةِ يشيرُ إلى أنّ ابنَ مالك وضعَ قبْلَه منظومةً طويلةً سمّاها «الكافيةُ الشّافيةُ»، ولمّا قصدَ «حماة»، بعد تصدُّرِه في حلبَ اختصرَ منَ الكافيةِ الشّافية، «الخلاصة» أوِ الألفية ونظمَها في ألفِ بيتٍ، وقد ذكرَ الصّفديُّ عنِ الذّهبيُّ، أنَّ ابنَ مالك صنّفَ الألفيةَ لولدِه، تقيّ الدّين محمود المدعو بالأسد، ولكنَّ العلّامة العجيسيَّ اعترض هذه الرّوايةَ، بروايةٍ أخرى، ذكرَ فيها أنَّ تقيَّ الدّين محمودًا صنّفَ له المقدّمةَ الأسديّةَ، وأمّا الألفيّةُ فذكرَ لي من أثِقُ بقولِه إنّه صنّفها للقاضي «شرفِ الدين الشّهير بابنِ البارزيّ»، ويتّفقُ ابنُ الجزري مع العلّامة العجيسيِّ، فيقرّرُ أنّ ابنَ مالك نظمَ «الخلاصة» بحماة للشّيخ شرفِ الدّين البارزيّ» (8)، وفي الواقع «لم تلْقَ منظومةٌ نحويّةٌ، ما لقيتْهُ ألفيةُ ابنِ مالك، من حرصٍ على حفْظِها ودَرْسِها وشرْحِها عبْرَ العصور، فحجبتِ الأنظارَ عنِ الأصلِ، الذي لُخّصت منه «الكافيةُ الشّافيةُ»، وعن قصائدِ ابنِ مالك وأراجيزِه الأخرى، التي لخّصَ فيها كثيرًا من مسائلِ اللّغةِ والنّحوِ والقراءاتِ، بل يمكنُ القولُ إنّها حجبتِ الأنظارَ عن المنظوماتِ الأخرى، كألفيتَيْ ابنِ مُعْطٍ والسّيوطيّ وغير ذلك»(9)، حيث جمعَ فيها ابنُ مالك معظمَ مسائلِ النّحو والصّرف، وعرضَها بأسلوبٍ سهلٍ عذْبٍ، وألفاظٍ مُوجزةٍ شيّقةٍ رائعةٍ، فجلاَ الغامضَ ويسّرَ العسيرَ، وضمَّ المشتَّتَ، وقرّبَ البعيدَ، حتى ظهرتْ في صورةٍ مُشرقةٍ وضّاءةٍ، لا يَستغني عنها باحثٌ، كما ظهرت لها شروحٌ عديدةٌ، من أهمّها شرحُ العلّامة أبي محمّد عبدِ الله عبد الرّحمن الشّهيرِ بابنِ عَقيل النّحويّ، المتوفّى سنة 769 هجريّة، وشرحُ العلّامةِ نورِ الدّين أبي الحسن عليّ محمّد الأشمونيّ المسمَّى "المسالكُ إلى ألفيةِ ابنِ مالك"، حيث كانتِ الألفيّةُ الكتابَ الوحيدَ، الذي شغلَ العلماءَ، منذ عصرِ ابنِ مالكٍ بشرحِها



مدينة جيّان – مسقط رأس ابن مالك الأندلسي

والتّعليقِ عليها، وأنَّ ما دارَ حولَها من شروحٍ وتعليقاتٍ، جعلَها حيّةً نابضةً قويّةً متحرّكةً، لم تُضعفْها كثرةُ السّنين التي مرّتْ على تأليفِها، ولا أدلَّ على ذلك من أنَّ معاهدَنا التي أخذت على عاتقِها دراسةَ اللّغةِ العربيّةِ، ظفرتْ فيها دراسةُ الألفيّةِ بشروحِها وتعليقاتِها بنصيبٍ كبيرٍ، فقدِ اهتمَّ بها علماءُ النّحوِ إلى يومِنا هذا، شارحِين ومعلّقِين واضعِين نصْبَ أعيُنِهم شرْحَ غامضِها، وتذليلَ مصاعبِها وتوضيحَ خفيِّها، حتى تصدّرت كُتبَ النّحو في مراحلِ التّعليم، وعرفَها القاصي والدّاني، ممّن يعملون في هذا المجالِ الخصبِ.

منهجُ ابنِ مالكٍ في الدّراساتِ النّحويّةِ:

كان ابنُ مالك صاحبَ منهجٍ خاصٍّ في الدّراساتِ النّحويّةِ، صنّفه بنفسِه وكوّنَه من خلال ثقافتِه ومعارفِه، وقد قامَ هذا المنهجُ على عدّةِ دعائمَ أساسيّةٍ هي:

**أولًا: الاستشهادُ بالقرآنِ الكريمِ:**

كان ابنُ مالكٍ يأخذُ بالقُرآنِ الكريمِ، ويجعلُه على رأسِ مصادرِه، واستشهادُ ابنِ مالكٍ بالقرآنِ الكريمِ، لا يقفُ عند القراءاتِ المتواترةِ فحسبُ، بل يأخذُ بها جميعًا في بناءِ القاعدةِ، سواءً أكانت متواترةً أم شاذّةً، قال السّيوطي: "ابنُ مالك، أخذَ بالقراءاتِ الشّاذّةِ وردَّ على النّحويّين المتقدّمين، الذين يَعيبون على عاصمٍ وحمزةَ وابنِ عامرٍ قراءاتٍ بعيدةً عنِ العربيّةِ، وينسبونَهم إلى اللّحنِ، وهم مخطئُون في ذلك، فإنَّ قراءاتِهم ثابتةٌ بالأسانيدِ المتواترةِ الصّحيحةِ، التي لا مطعنَ عليها، وثبوتُ ذلك دليلٌ على جوازِه في العربيّة" (10)، فابنُ مالكٍ إذن، لا يتشدّدُ في قَبولِ القراءاتِ، كما كان يفعلُ علماءُ البصرة، وكان يرى أنَّ هذه القراءاتِ رُويت من عَربٍ خُلّصٍ، ومنَ الغُبن أن نستشهدَ بكلامٍ لم تبلغ درجةُ العنايةِ به، كما بلغت في القراءاتِ، التي هي أولى في مجال الاستشهادِ من شعْرِ الشُّعراءِ وخُطبِ الخُطباء.

> **كان ابنُ مالكٍ يأخذُ بالقُرآن الكريم، ويجعلُه على رأس مصادرِه، واستشهادُ ابنِ مالكٍ بالقرآن الكريم، لا يقفُ عند القراءاتِ المتواترةِ فحسبُ، بل يأخذُ بها جميعًا في بناءِ القاعدةِ.**

**ثانيًا: الاستشهادُ بالحديثِ النّبويِّ:**

كما أنَّ ابنَ مالك أوّلُ من توسّعَ في الاستشهادِ بالحديثِ النّبويِّ الشّريفِ؛ لأنَّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، أفصحُ العربِ لسانًا وأقوامُهم بيانًا، وأحسنُهم بلاغةً، وقدِ اهتمَّ رواةُ الحديث بما نُقلَ عنه صلّى الله عليه وسلّم، وتشدّدُوا في ضبطِه ووقفُوا في روايتِه، وتكبّدُوا المشاقَّ والصّعابَ في سبيل ضبْطِ هذه الأحاديثِ ومعرفةِ الرّجالِ الذين نقلُوها أو رَوُوها، ولهذا كان الاحتجاجُ بالحديثِ في نظر ابنِ مالكٍ يلي القُرآنَ الكريم في المرتبة، وقد وضعَ في ذلك كتابًا سمّاه «شواهدُ التّوضيح والتّصحيح بمشكلاتِ الجامعِ الصّحيحِ».

**ثالثًا: الاستشهادُ بأشعارِ العربِ:**

أمّا الأساسُ الثّالثُ في مذهبِه اللّغويّ، فهو الاستشهادُ بأشعار العربِ وكلامِهم، فقد كان ابنُ مالكٍ راويةً لأشعارِ العربِ، مُلمًّا بها عارفًا بكلِّ الأشعارِ العربيّةِ، التي يستشهدُ بها في المجالاتِ النّحويّةِ، لدرجةِ أنَّ الأئمّةَ الأعلامَ كانوا يتعجّبون من أين يأتي بها، حيث كان يحتجُّ بكلامِ العربِ، ويَعتدُّ بكلِّ ما قالُوه؛ لأنّه كان يرى أنَّ لُغاتِ العربِ كلَّها جديرةٌ بالاعتبارِ، ولا يصحُّ ردُّ إحداهما بالأخرى، وابنُ مالكٍ لا يلجأُ إلى الاستشهادِ بأشعارِ العربِ في إثباتِ القواعدِ النّحويّةِ، إلّا بعدَ الرّجوعِ إلى القرآنِ الكريمِ وقراءاتِه، ثمّ الأحاديثِ النّبويّةِ، فهما في نظره، أقوَى في الاستشهادِ وأبلغُ في الاحتجاجِ من أشعارِ العربِ، وهو إذا استشهدَ بأشعارِ العربِ، أتى بالعجائبِ والغرائبِ، ممّا يدلُّ على مقدرةٍ كاملةٍ، واطّلاعٍ شاملٍ، وضرْبٍ باللّغةِ دقيقٍ، ويكفِي في ذلك، أنَّ علماءَ عصرِه شهدُوا له بطولِ الباعِ في هذا المضمارِ، كما أنّ اتّساعَ ابنِ مالك في رواياتِ أشعارِ الشّواهدِ النّحويّةِ، جعلَه مثْلَ الكوفيّين، يأخذُ من كلِّ القبائلِ، وممّا يدلُّ على ذلك، أنَّ أبا حيّانَ في شرح التّسهيل اعترضَ على ابنِ مالكٍ حيث يقول: «وعُنِيَ في كتبِه بنقلِ لُغةِ لخمٍ وخُزاعةَ وقُضاعةَ

وغيرِهم»، وقال: «ليس ذلك من عادة أئمّة هذا الشّأن»(11).

**القياسُ عندَ ابنِ مالك:**

كما أخذ ابنُ مالكٍ بالقياسِ في الكثيرِ منَ القواعدِ النّحويّةِ، وذلك عند فُقدانِ الشّاهدِ المقبولِ، وقد راعَى في أقْيِسته السّهولةَ، حيث كان يحترمُ كلَّ مسموعٍ ويعيشُ عليه؛ لأنّه يرى أنَّ اللّغةَ مُتطوّرةٌ، وكلّما زادت أساليبُها وكثُرَ المرويُّ منها، وكلّما اتُّخذ هذا المرويُّ مهما كان قليلاً أساسًا للقياس عليه، كانتِ اللّغةُ حيّةً ناميةً متحرّكةً، وابنُ مالكٍ محقٌّ في ذلك؛ لأنَّ الرّواةَ لم يحيطُوا بكلٍّ لهجاتِ العربِ ولُغاتِهم، حتى يَردّوا ذلك المسموعَ القليلَ، وربّما كان لهذا المسموعِ، نظائرُ كثيرةٌ لم يستوعِبْها الرّواةُ.

**ابنُ مالكٍ وتيسيرُ النّحو:**

كان لابنِ مالكٍ، فضلٌ كبيرٌ في تيْسير النّحو، وتقريبِه للمتعلّمين، حتى أصبحت كتبُه مَرجعًا لمن أراد أن يتعلّم النّحو سهلاً واضحًا، ولعلَّ أبرزَ مظاهرِ التّيسيرِ النّحويِّ عندَه تنظيمُ موضوعاتِ البحث، وحسنُ تقسيمِه لها، فتجربةُ ابنِ مالكٍ الطّويلةُ، في تعليم النّحوِ وتدريسِه، جعلتْه يقيمُ وظيفتَه والهدفَ منه، إذ كان المقصودُ من ذلك تقويمَ الألسنةِ وصرفَها عنِ الخطأ، ولا شكَّ أنَّ تحقيقَ ذلك يتمُّ إذا خلتْ قواعدُه منَ التّعقيدِ والتّكلّفِ، والابتعادِ عنِ الافتراض والتّقدير، وفي سبيلِ ذلك لجأ ابنُ مالكٍ، إلى اختيارِ الرّأي الأسْهلِ البعيدِ عنِ التّكلّفِ، وهو عند ذِكرِ أقوالِ النُّحاة، يختارُ الأسهلَ والأبعدَ عنِ التّكلّفِ، ويجعلُ ذلك سببًا من أسبابِ اختياراتِه، وينصُّ بعضُ معاصريه، بأنَّ مؤلّفاتِه البعيدةَ المسائلِ الكثيرةَ الفوائدِ، استطاعت أن تبيّنَ المعالمَ الطّامسةَ، وتحقّقَ ما لم يكن تبيّنَ منه ولا تحقّقَ، فعندما ألّف ابنُ مالكٍ ألفيتَه راعَى فيها وضْعَ المبتدئين الذين لا يَستطيعون فهْمَ النّحو، كما جاء به النّحاةُ القُدامَى، إلّا بعدِ جهدٍ جهيدٍ ومشقّةٍ كبيرةٍ، هذا إلى جانب الأمثلةِ والشّواهدِ المتنوّعةِ، التي صاغَها في هيئةِ منظوماتٍ، دون أن يُفلتَ منه الوزنُ، وأنَّ ألفيتَه في النّحوِ والصّرفِ خيرُ دليلٍ على ذلك، فقد جمعَ فيها أبوابَ النّحوِ والصّرفِ، في صورةٍ سهلةٍ بعيدةٍ عنِ الخلافِ والتّعقيدِ.

**أخيرًا:**

لقد كان لابنِ مالكٍ جهودٌ كثيرةٌ في المجالِ اللّغويّ، وهي جهودٌ متنوّعةٌ وخِصبةٌ، إذا قُرنت بجهودِ غيرِه من علماءِ اللّغةِ، فقدِ استطاعَ من خلالِ مؤلّفاتِه اللّغويّةِ المتعدّدةِ، أن يُشاركَ بنصيبٍ وافرٍ في النّهضةِ اللّغويّةِ العربيّةِ، هذه المؤلّفاتِ الثّريّةِ، التي تدخلُ في أكثرِ مباحثِها اللّغويّةِ المختلفةِ، مُجتمعةً أو مُتناثرةً في مجالِ فقهِ اللّغةِ، بالمعنى المتعارفِ عليه في الوقتِ الحاضرِ بين الباحثين، الأمرُ الذي يجعلُ من شخصيّةِ ابنِ مالكٍ شخصيّةً فذّةً، في تاريخِنا اللُّغويِّ تَستحقُّ منّا كلَّ تقديرٍ وإعجابٍ.

---

**الهوامش:**

(1) عالم النحو واللغة، الإمام ابن مالك الأندلسي، د/ عبد الحميد جاسم الكبيسي، مجلة منار الإسلام، الإمارات العربية المتحدة، عدد صفر 1428 هجرية.
(2) طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، تح: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1407هـ.
(3) نفح الطيب، في غصن الأندلس الرطيب، المقّري التلمساني، الجزء الثاني، ص 222، الناشر دار السعادة القاهرة.
(4) شذرات الذهب، في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، الجزء الخامس، ص 339، مكتبة القدسي، القاهرة.
(5) نفح الطيب، مصدر سابق.
(6) ابن مالك الأندلسي، سيبويه زمانه، في الدراسات النحوية، الدكتور، عبد العال سالم مكرم، مجلة العربي، الكويت، عدد سبتمبر عام 1972م.
(7) عالم النحو واللغة، الإمام ابن مالك، مجلة منار الإسلام ، مصدر سابق.
(8) ابن مالك الأندلسي، سيبويه زمانه، مجلة العربي، مصدر سابق.
(9) ابن مالك الطائي، ناظم علوم العربية، د/ محمود عبد الله نجيب، مجلة التراث العربي، دمشق، العدد 98، إبريل عام 2005م
(10) بغية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، الجزء الأول، ص 133، الناشر المكتبة العصرية، صيدا لبنان.
(11) ابن مالك الأندلسي، سيبويه زمانه، مجلة العربي، مصدر سابق. 9 – يوسف زيدان: حيّ بن يقظان، النُّصوص الأربعة ومُبدعُوها، ط2، القاهرة: دار الأمين، 1998م.

# الخَليلُ الفَراهيدِيُّ
# حياتُه وشخصيّتُه

(100هـ = 718م - 175هـ = 791م)



د. ياسر تربه جي
كاتب وباحث



**بين يَدَيِ التَّرجمة:**

**العَلَمُ الذي أجمع العلماءُ والرّواةُ والإخباريّون على صِفاتِه النّادرةِ وعلومِه الدّقيقةِ، وذكرُوا له من فائقِ الذّكاءِ، وبديعِ الصّفاتِ، وكبيرِ الزُّهدِ، وعظيمِ الورعِ، وأجمعُوا على سَبْقِه أقرانَ عصرِه، وعلى أثرِه العظيمِ في تاريخِ العربيّةِ وعلومِها، الإمامُ الهُمامُ الّذي اكتشفَ علمَ العَروض، واخترعَ أوّلَ مُعجمٍ في تاريخِ العربيّة، وكان له الأثرُ الأعظمُ في عِلمِ النّحوِ وفي كتابِ سِيبَويه.**



**شخصيّةٌ فريدةٌ في تاريخ العربيّة، ربّما لا نكاد نجدُ مثيلاً لها في تاريخ الإسلام. كيف لا، وقد ذكرَ الرّواةُ أنّها الشّخصيّةُ الأذكَى بعد الأنبياءِ والصّحابةِ؟ رِضوانُ الله تعالى عليهم. ولولا إجماعُ الرُّواة على ما ذُكر له من إنجازاتٍ وسبْقٍ لجميع مُعاصريه بما أبدع لشكَّ كثيرون في إنجازاتِه، ونسبُوها إلى غير العربِ من الأمم أخرى.**

شخصيّةٌ فريدةٌ في تاريخ العربيّة، ربّما لا نكاد نجدُ مثيلاً لها في تاريخ الإسلام. كيف لا، وقد ذكرَ الرّواةُ أنّها الشّخصيّةُ الأذكَى بعد الأنبياءِ والصّحابةِ؟ رِضوانُ الله تعالى عليهم. ولولا إجماعُ الرُّواة على ما ذُكر له من إنجازاتٍ وسبْقٍ لجميع مُعاصريه بما أبدع لشكَّ كثيرون في إنجازاتِه، ونسبُوها إلى غير العربِ من الأمم أخرى.

ومَن سيجمعُ هذه الصّفاتِ إلّا الخليلُ بن أحمد الفراهيديّ؟ الشّخصيّةُ الفذّةُ التي حُقَّ للمسلمينَ العربِ أن يَفخرُوا بها بين جميع الأُمم. فما ولدتْ أُمّةٌ مثلَ الخليلِ بنِ أحمدَ، ولا سمعْنا بشخصيّةٍ فريدةٍ مثلِه. ولو كان للعالَمِ أن يَحتفل كلَّ سنةٍ بشخصيّةِ العالَم اللّغويّةِ التّاريخيّةِ لكانت تلكَ الشّخصيّةُ هي الخليلَ الفراهيديَّ، ولو أنصف اللّغويّون المعاصرون الخليلَ لأقرّوا بأنّه اللّغويَّ الأوّلَ على مرّ التّاريخ، مُتقدّمًا على جميع اللُّغويّين القُدامَى والمُحدَثين، سابقًا سِيبَويه وكتابِه، والجرجانيِّ ودلائلِه، مُنيفًا على (دي سوسير) ونظريّتِه، و(تشومسكي) وجهودِه. الشّخصيّةُ التي سبقتْ عصرَها بمئات السّنين، فكان أكبرَ من عصرِه، وكان حقًّا علينا أن نبدأ تمهيدَنا هذا به مباشرةً لا بعصرِه.

### الاسمُ الكاملُ مع الكُنيةِ واللّقبِ:

هو الخَليلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَميمٍ، أَبو عَبدِ الرَّحْمنِ، البَصْرِيُّ، الفَراهيدِيُّ، أَوِ الفُرْهودِيُّ كَما كانَ يَقولُ يونُسُ بنُ حَبيبٍ (ت 182هـ)، الأَزْدِيُّ -وقيلَ: الباهِلِيُّ- اليَحْمَدِيُّ، النَّحْوِيُّ العَروضِيُّ اللُّغَوِيُّ الأَديبُ الزَّاهِدُ. [أخبار النحويين البصريين، السيرافي، 31. معجم الأدباء، الحموي،

3/1260. وفيات الأعيان، ابن خلّكان، 2/244]

ونقلَ مُغْلطاي عن المرزبانيّ (ت 384هـ) في (معجم الشعراء) أنّ «أمّهُ عَنكشة». [إكمال تهذيب الكمال، 4/221] ولم أجد ذلك عند غيره.

### النّسبةُ والأصلُ والبلدُ:

الفراهيديُّ في الأصل من سُكّان عُمان وأهلها، من قريةٍ من قُراها، ثمّ انتقل إلى البصرة، وبها استقرّ. [معجم الأدباء، الحموي، 3/1260]

وقدِ اختلف العلماءُ في نسبته على أقوال:

**الأوّل:** - وهو أصحُّها -: أنّه عربيٌّ منسوبٌ إلى حيٍّ من الأزد اسمُه: فراهيد، وهو: فراهيدُ بنُ مالكِ بنِ فَهمِ بن عبد الله بن مالك بن مُضَر - وفي بعض المراجع: نصر- ابنِ الأزد بن الغوث [معجم الأدباء، الحموي، 3/1260. إنباه الرواة، القفطي 1/376]، والنِّسبةُ إلى هذا الحيّ: فراهيديّ، وكان يونسُ يقول: الفُرهوديّ، مثل: قردوسي. [طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، 1/22. طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 47].

**الثّاني:** أنّه عربيٌّ منسوبٌ إلى فُرهود بنِ شبّابة بنِ مالكِ بن فَهم بن غنم بن دَوس بنِ عدنان بنِ عبد الله بنِ زهران بنِ كعب. [المتفق والمفترق، الخطيب البغدادي 2/867. إنباه الرواة، القفطي، 1/376]. وقيل: إلى فرهود بن الحارث. والأوّل هو الصّواب، وشبّابة والحارث أخوان. [وفيات الأعيان، ابن خلكان، 2/248].

**الثّالث:** أنّ الفراهيديَّ فارسيُّ الأصلِ لا عربيٌّ، فهو مولى الفراهيدِ لا منهم، وممّن ذكر هذا القولَ ياقوتٌ الحمويُّ (ت 626هـ)، وقد أيّده ومال إليه، مُستدلًّا بأنّ أغلبَ من ترجمَ له اكتفَى بذكر اسم أبيه ولم يزد، وهذا عنده دليلٌ على جهلِهم بنَسَبِه مع شهرته. وفي ذلك يقول: «وهذا القول عندي صحيحٌ، وذاك لأنّه لم يَذكر أحدٌ في نسَبه أكثرَ منَ الخليل بن أحمد لم يزد أحدٌ عليه، ولو كان عربيًّا لم يَخفَ ذلك عنِ الأئمّةِ العلماء الّذين كتبوا أنسابَ الأراذلِ الخاملي الذِّكر. فكيف مثلُ هذا الإمام مع كثرةِ تلاميذه المُتقنين. أمَا كان منهم رجلٌ سألَهُ عن نسَبِه فيكتبَهُ فيما كتبَ من أخباره وأشعاره؟» [معجم الأدباء، الحموي، 3/1260]. وممّن نقل هذا القولَ أيضًا ابنُ السّاعي. [الدر الثمين، ابن السَّاعي، 365].

> الفراهيديُّ في الأصل من سُكّان عُمان وأهلها، من قريةٍ من قُراها، ثمّ انتقل إلى البصرة، وبها استقرّ. وقدِ اختلف العلماءُ في نسبته على أقوال: الأوّل: - وهو أصحُّها -: أنّه عربيٌّ منسوبٌ إلى حيٍّ من الأزد اسمُه: فراهيد، وهو: فراهيدُ بنُ مالكِ بنِ فَهم بن عبد الله بن مالك بن مُضَر.

ولكنّ أكثرَ العلماء صرّحوا بنسبة الخليلِ إلى الأزْدِ الحيِّ العربيّ. فقد نقل القفطيُّ (ت 646هـ) عنِ الخليل نفسِه تصريحَه بانتسابِه إلى الأزد، وهذا ما جعل القفطيَّ يقطعُ بعروبتِه وصحّةِ نسَبه ومعرفةِ أهله، فقد قال: «وهو مِنَ الأَزْدِ، من حي يُقال لهم: الفراهيد. وسُئل: مِن أيِّ العرب أنتَ؟ فقال: فراهيديّ، ثمّ سُئل فقال: فُرهوديّ. قال أبو العباس: قوله: فراهيدي: أنتسبُ إلى فراهيد بنِ مالك بنِ فهم بنِ عبد الله بنِ مالك بنِ نصر بنِ الأزد، وكان من أنفَسِهم، صحيحَ النّسب، معروفَ الأهل». [إنباه الرواة، 1/376]

والنّسبُ إلى الفراهيد: فراهيديّ، على المشهور، وفُرهوديّ، كما ذكر يُونس (ت 182هـ) والنَّضْرُ بنُ شُمَيل (ت 203هـ)، وقيل إنّ النّسب إليه فراهِدِيّ، مثل: معافِريّ، وقد رُدّ هذا القولُ. وعن ابنِ الصّلاح (ت 643هـ) أنّه رأى بخطّ السّمعانيِّ (ت 562هـ) في كتاب (الأنساب): الفراهيذيّ، بالذّال. [إكمال تهذيب الكمال، علاء الدين مُغْلطاي، 4/219]. وجزم النّوويّ بأنّ هذا تصحيف. [تهذيب الأسماء واللغات، النووي، 1/178].

اليَحْمَديّ: نسبة إلى يَحْمَد، وهو بطنٌ من الأَزْد، خرج منه خلقٌ كثيرٌ. [وفيات الأعيان، ابن خلكان، 2/248].

وقولُ من قال: الباهليّ –وقائلُ

ذلك المِزّيّ– فيه نظرٌ؛ لأنّ علاءَ الدين مُغْلطاي (ت 762هـــ) قال إنّه: «يحتاج إلى معرفة قائلِه قبْلَه. فإنّي لم أرَه لغيره». [إكمال تهذيب الكمال، مُغْلطاي، 4/ 222]

**المولد:**

وُلد الفراهيديُّ سنةَ مئةٍ للهجرة [معجم الأدباء، الحموي، 3/1269. وفيات الأعيان، ابن خلكان، 2/244] الموافقةَ لسنة ثماني عشرة وسبعمئةٍ للميلاد.

**شـــذراتٌ مـن سـيــرتـه وشـمـائـلـه وأخلاقه:**

اشتملت سيرةُ الخليل منَ الصّفات الحسَنةِ، والمزايا المُستحسَنةِ، ما لم تشتملْه سيرةُ كثيرٍ منَ العلماء، منَ الذّكاء النّادر، والحكمةِ البليغةِ، وكتابةِ الشِّعر، مع سَعة العلمِ والمعارفِ، إلى جانب التّواضعِ والزُّهدِ والتّقشّفِ:

**1– ذكاؤه:**

كان الخليلُ بنُ أحمدَ آيةً من آيات الذَّكاء، وأُعجوبةً من أعاجيبِ الفِطنة، حاضرَ الذِّهن، مُتوقِّدَ القريحةِ، صافيَ البال، سريعَ الإجابة. وقد أجمع العلماءُ على أنّه من أذكى النّاس وأفطنِهم، بل أذكى العربِ في عصره وزمانِه. وقد قُورن ذكاؤه في العرب بذكاءِ ابنِ المقفّع في العجَم، فكان يُقال: «لم يكن في العرَبِ بعد الصّحابة أذكَى منَ الخليلِ بن أحمدَ ولا أجمعَ، ولا كان في العجَمِ أذكى من ابنِ المقفّع ولا أجمعَ». [معجم الأدباء، الحموي، 3/1263].

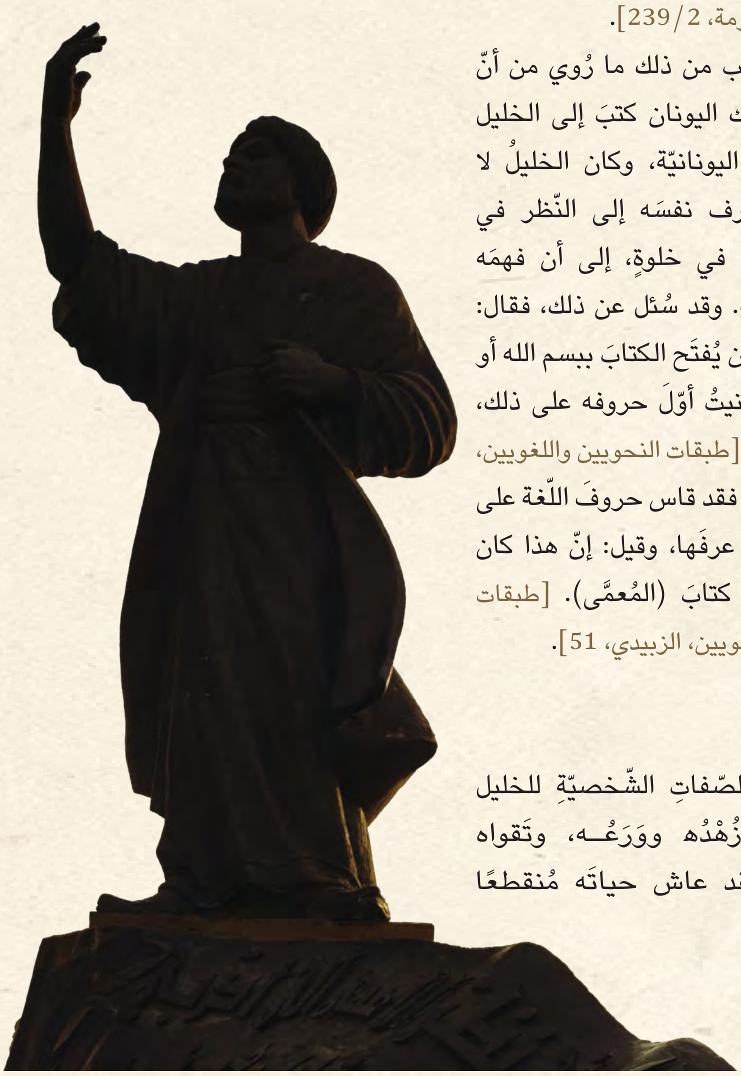
وقد ذكرَ الــرّواةُ والإخباريّون منَ القصص ما يدلُّ على ذكائِه المُفرط، وبراعتِه الفائقةِ. فمن ذلك ما رُوي من أنّه كان عند رجلٍ دواءٌ لِظُلْمةِ العين، فمات ولم يَعرفْ أحدٌ سِرَّ ذلك الدّواء، مع الحاجةِ له، فأخبروا الخليلَ بذلك، فطلبَ الإناءَ الّذي كانَ يُعمل فيه، وجعل يَشمُّه ويتعرّفُ ما به من أمزجةٍ وأخلاطٍ، حتّى عرفَ منه خمسَ عشرةَ مادّةً، ثمّ عملَ من ذلك الدّواء، وأعطاه للنّاس. وقد شُوهدت بعد ذلك نُسخةٌ للدّواء فيها ستّة عشر نوعًا، فلم يَضِع منه إلّا نوعٌ واحدٌ. [معجم الأدباء، الحموي، 3/1263. الوافي بالوفيات، الصفدي 13/242. قلادة النحر، ابن علي بامخرمة، 2/239].

ومنَ العجيب من ذلك ما رُوي من أنّ مَلِكًا من ملوك اليونان كتبَ إلى الخليل كتابًا باللّغة اليونانيّة، وكان الخليلُ لا يعرفُها، فصرف نفسَه إلى النّظر في الكتاب شهرًا في خلوةٍ، إلى أن فهمَه وعرف ما فيه. وقد سُئل عن ذلك، فقال: «لا بدّ له من أن يُفتَح الكتابَ ببسم الله أو ما أشْبهه، فبَنيتُ أوّلَ حروفه على ذلك، فاقتاسَ لي». [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 51]. فقد قاس حروفَ اللّغة على بعضِها حتّى عرفَها، وقيل: إنّ هذا كان الأصلَ لعملِه كتابَ (المُعمَّى). [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 51].

**2– زُهدُه:**

من أبرز الصّفاتِ الشّخصيّةِ للخليل الفراهيديّ زُهْدُه ووَرَعُــه، وتَقواه وتقشّفُه. فقد عاش حياتَه مُنقطعًا للعلم، زاهدًا في الدُّنيا ومتاعِها، غيرَ طالبٍ لشيءٍ من لذّاتها، ولا مُنصرفٍ إلى لهوٍ من لهوِها. وقد دعاه الملوك والأمراءُ والولاةُ ليُكرموه ويُقرّبوه، فكان يعتذرُ منهم، قناعةً بما لديه منَ العيش اليسير.

وقال تلميذُ الخليلِ النَّضرُ بنُ شُمَيل (ت 203هـ): «أقام الخليلُ في خُصٍّ من أخصاصِ البصرة، لا يَقدِر على فلسٍ، وأصحابُه يكسبونَ بعلمِه الأموال». [إنباه الرواة، القفطي، 1/380. وفيات الأعيان، ابن خلكان 2/2445. سير أعلام النبلاء، الذهبي 7/430].



وقد وصفَ النَّضرُ أيضًا شكلَه وهيئتَه بما يوحي بزُهده وتركِه التّجمّلَ والزّينةَ، فقال: «وكانَ شعثَ الرّأسِ، شاحِبَ اللّونِ، قَشفَ الهيئةِ، مُتخرِّقَ الثّيابِ، مُنقطِعَ القدمَين، مغمورًا في النّاس لا يُعرفُ». [شرح مقامات الحريري، الشُّريشي، 3/188].

فلم يكن الخليلُ يعبأُ بشيءٍ من أحوالِ الدّنيا ومظاهرِها، بل كان كثيرًا ما ينشدُ قولَ الأخطلِ [قلادة النحر، ابن علي بامخرمة، 2/241]:

**وإذا افتقرتَ إلى الذَّخائرِ لم تَجِدْ**
**ذُخرًا يَكونُ كَصالحِ الأعمالِ**

وقد كتب إلى الخليل سُليمانُ بن عليٍّ منَ الأهواز ليأتي ويُعلِّمَ أولادَه، وقيل: سُليمانُ بنُ حبيب والي فارس والأهواز لأجل أن يَحضر عنده ويُكرمَه، وكان الخليلُ بالبصرة، فاعتذر منَ الرّسول، وأخرج إليه خبزًا يابسًا، وقال: «ما عندي غيرُه، وما دمتُ أجِدُهُ فلا حاجةَ لي في سليمان»، وأنشده قائلًا [أخبار النحويين البصريين، السيرافي، 31، الزبيدي، 47. تاريخ العلماء النحويين، التنوخي، 130]:

**أبلِغْ سُليمانَ أنّي عَنهُ في سَعَةٍ**
**وفي غِنًى، غيرَ أنّي لَستُ ذا مالِ**
**شُحًا بِنفسيَ أنّي لا أرى أحدًا**
**يموتُ هَزْلًا ولا يَبْقَى على حالِ**
**فالرِّزْقُ عَن قَدَرٍ لا العَجْزُ يَنْقُصُهُ**
**ولا يَزيدُكَ فيهِ حَوْلُ مُحتالِ**
**وإنَّ بينَ الغِنَى والفَقْرِ مَنْزِلَةً**
**مَوْصولةً بِجَديدٍ لَيسَ بالبالي**
**والفَقرُ في النَّفسِ لا في المالِ تَعْلَمُهُ**
**ومِثْلُ ذاكَ الغِنى في النَّفْسِ لا المالُ**
**والصَّبْرُ يُعْقِبُ خَيْرًا إنْ قَنَعْتَ بِهِ**
**والحِرْصُ يَدْعُو إلَى فَقْرٍ وإذْلالِ**

> **لقد كان الخليلُ الفراهيديُّ أنموذجًا للعالم العاملِ التّقيِّ الورعِ، يعرفُ أنّ العالِمَ عليه منَ الواجباتِ ما ليس على غيره، بل كان يعدُّ العلماءَ أولياءَ لله تعالى، حتّى قال: «إن لم تكنْ هذهِ الطائفةُ -يعني أهلَ العلمِ- أولياءَ لله فليسَ لله وليٌّ»**

ونحوٌ من ذلك ما رُوي من أنّ صديقًا له وَلِي وِلايةً، فطلبَ منه أن يَلحق به، فجاء إليه رسولُه، وكان الخليلُ يأكلُ كِسرةَ خُبزٍ، فقال للرّسول: «قل لَهُ: ما دُمتُ أصْبِرُ على الكِسرةِ فلَستُ أبلغُكَ». [تاريخ العلماء النحويين، التنوخي، 131].

وهكذا عاش الخليلُ حياتَه مُتقشّفًا وَرِعًا، زاهدًا قانعًا بالقليل، مُكتفيًا بما عنده، غيرَ طامحٍ بما جاوزَه، مكتفيًا بما خلّفه عليه والدُه من بستانٍ يَعيش من غَلّتِه. [معجم الأدباء، الحموي، 3/1263، الدر الثمين، ابن الساعي، 366]، وهو يقول: «إنّي لأُغلِقُ عليَّ بابي فما يُجاوِزُهُ هَمّي». [معجم الأدباء، الحموي، 3/1269. وفيات الأعيان، ابن خلّكان، 2/245. سير أعلام النبلاء، الذهبي، 7/431]. ويقول [الثقات، ابن حبّان، 8/230. سير السلف الصالحين، إسماعيل الأصبهاني، 3/1108. نور القبس، اليغموري، 70]:

**إنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ لَحْمٌ**
**كَفاكَ خَلٌّ وَزَيْتُ**
**إلّا يَكُنْ ذا وهذا**
**فَكِسْرَةٌ وبُيَيْتُ**
**تَظَلُّ فيهِ وتَأْوي**
**حَتّى يَجيئَكَ مُوَيْتُ**
**هذا لَعَمْري كَفافٌ**
**فَلَنْ يَغُرَّكَ لَيْتُ**

لقد كان الخليلُ الفراهيديُّ أنموذجًا للعالم العاملِ التّقيِّ الورعِ، يعرفُ أنّ العالِمَ عليه منَ الواجبات ما ليس على غيره، بل كان يعدُّ العلماءَ أولياءَ لله تعالى، حتّى قال: «إن لم تكنْ هذهِ الطائفةُ -يعني أهلَ العلمِ- أولياءَ لله فليسَ لله وليٌّ». [أخبار النحويين البصريين، السيرافي، 30]، وقد أمضى حياته وهو يحجّ سنةً ويعزفُ سنةً إلى أن مات. [الدر الثمين، ابن الساعي، 366]. وجاء في الرّواية المنتشرة: «يحجّ سنةً ويغزُو سنةً» [معجم الأدباء، الحموي، 3/1263]. ويبدو أنّ هذا منَ التّصحيف أو سوء قراءةِ المخطوطات منَ المحقّقين. فالأقربُ أنّه كان يحجّ سنةً ويتركُ الحجّ سنةً أخرى فلا يحجّ.

وقد كان الخليل مَضربَ المثَل في الزّهد والتّقشف، ولم يختلف في ذلك أحدٌ منَ العلماء، وما رُوي عنه من الزُّهد والورَع أكثرُ من أن يُحصر في هذا الموضع. وقد قال النَّضْر بن شُمَيل (ت 203هـ): «كنا نَمثُل بينَ ابن عونٍ والخليلِ بن أحمدَ،



**إلى جانب ذكاءِ الخليل وزُهدِه ووَرَعِه، فقد عُرِفت عنه الحِكمةُ البالغةُ، والآراءُ الرّاجحةُ، والأقوالُ السّديدةُ الّتي تُنبئ عن عالمٍ جليلٍ، خَبِرَ الحياةَ، وأدركَ جوهرَها، بَعيدِ النّظرِ، كثيرِ التّأمُّل والفِكَر.**

أيَّهما نُقدِّم في الزُّهد والعِبادة؟ فلا ندري أيَّهما نُقدِّم» [نزهة الألباء، الأنباري، 47]

**3- حِكْمَته:**

إلى جانب ذكاءِ الخليل وزُهدِه ووَرَعِه، فقد عُرِفت عنه الحِكمةُ البالغةُ، والآراءُ الرّاجحةُ، والأقوالُ السّديدةُ الّتي تُنبئ عن عالمٍ جليلٍ، خَبِرَ الحياةَ، وأدركَ جوهرَها، بَعيدِ النّظرِ، كثيرِ التّأمُّل والفِكَر. وقد جمعنا أطرافًا من أقواله التي نُسبت إليه في هذا الجانب.

- فقد قال الخليلُ في التّنفير منَ الحياء في العلم، والتّحذير منَ الاستمرار على الجهل: «وَجدتُ في بعضِ كُتُبِ العلَماء: مَن أظهَرَ حياءً في التماسِ العلم، وقعدَ عنه، لَبِسَ الجهلَ وتقنَّعَ قِناعَ السَّفَهِ، ومَنِ امتدَّتْ له أيّامُهُ في غُلَواءِ جَهلِه حُشِرَ يومَ القيامةِ أعمَى». [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 48]
- وقال كذلك في تأكيد نفْيِ الحياء في طلب العلم: «إنّي أدركتُ بعضَ ما أنا فيه من العلمِ باطِّراحِ الحِشْمةِ بيني وبينَ المعلِّمين، وبإلقائِي السَّتْرَ بيني وبينَ الّذينَ كنتُ ألتمسُ ما عندَهم. ومَن رَقَّ وجهُهُ عن طلب العلم رقَّ عِلْمُه، ووجدتُ الرِّقّةَ في التماسِ العلمِ سَفهًا يَدْعو إلى سفاهٍ، وكُلٌّ يَدْعو إلى ضلالٍ». [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 47].
- ومن ذلك قولُه أيضًا ينفِّرُ منَ الحياء والكِبر في العلم، لأنّهما مَرتعُ الجهل: «تربَّعَ الجهلُ بينَ الحياءِ والكِبْرِ في العلم». [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 48]
- وقال في بدائع العلم، والتّنفيرِ مِنَ الكِبر والعُجْب أيضًا، والحضِّ على التّواضع في الأخذ منَ العلماء: «نوازِعُ العِلمِ بَدائعُ، وبدائعُ العلمِ مَسارِحُ العَقْلِ، ومَنِ استغنى بما عِندَهُ جَهِل، ومَن ضمَّ إلى عِلمِه عِلمَ غيرِه كان مِنَ المَوصوفينَ بنَعتِ الرَّبّانيِّين».[طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 48].
- ومن حِكَمِه في التّعليم والحضِّ عليه وعدمِ الانزعاج من كثرة الأسئلةِ من المتعلّمين قولُه: «إن لم تُعلِّمِ النّاسَ ثوابًا فعلِّمْهُم لِتدرُسَ بتعليمِهم ما عندكَ، ولا تجزعْ ممّن يَقرعُ السّؤالَ، فإنّه يُنبِّهكَ على علمِ ما لم تعلمْ» [نور القبس، اليغموري، 60].
- ومن ذلك قولُه يُنبّه على مزيّة السّؤال لطالبِ العلم، وأهمّيتِه للمعلّم العالم: «العُلومُ أقفالٌ، والسُّؤالاتُ مَفاتيحُها». [نور القبس، اليغموري، 60].
- ومنه أيضًا قولُه في العلم وفضيلتِه، وحالِ العالم بين الجُهّال وما يُعانيه منهم [نور القبس، اليغموري، 61]:

**العِلمُ يَذكي عُقولاً حينَ يَصحبُها ... وقد يَزيدُها طولُ التّجاريبِ**
**وذو التّأدُّبِ في الجُهّالِ مُغتربٌ ... يَرى ويَسمعُ ألوانَ الأعاجيبِ**

- وقال في شأن المعلّم: «لا يَعرفُ الرَّجلُ خطأَ مُعلِّمِه حتّى يُجالِسَ غيرَهُ»

[سير أعلام النبلاء، الذهبي، 7/431].

– وقال في خطأ العالم: «زَلّةُ العالِم مَضْروبٌ بها الطَّبْلُ». [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 48].

– وقال مُحذِّرًا من نسخ الكُتب من دون مقابلةٍ: «إذا نُسِخَ الكتابُ ثلاثَ مرّاتٍ، ولم يُقابَل، انقلبَ بالفارسيّة». [معجم الأدباء، الحموي، 3/1268].

– وللخليل حِكَمٌ يُصنِّف فيها النّاسَ والأوقاتَ والأشياءَ، وهذا يدلّ أيضًا على خبرته الكبيرةِ في الخَلْق والنّاس، وفلسفتِه الخاصّةِ للحياة. ومن ذلك أنّه رجلًا من فَزارةَ قدمَ عليه وسأله مسألةً، فأبطأ في جوابها، فتضاحَك الفزاريُّ، فالتفت الخليلُ إلى بعض جُلسائه وقال: «الرِّجالُ أربعةٌ: فرَجُلٌ يَدري ويَدري أنّه يَدري، فذلك عالمٌ فاتّبعوه– أو فاعرفوه–، ورجلٌ يَدري ولا يَدري أنّه يَدري، فذلكَ غافلٌ فأيقِظوه– أو: فذاك ناسٍ فأذكِروه–، ورجلٌ لا يَدري، ويَدري أنّه لا يَدري، فذاك جاهِلٌ فعلِّموه، ورجلٌ لا يَدري ولا يَدري أنّه لا يَدري، فذاك مائقٌ فاحذروه». [جمهرة أشعار العرب، القرشي، 43، معجم الأدباء، الحموي، 3/1264، تهذيب الكمال، المزي، 8/328].

– وقال في أنواع الأوقاتِ والأزمانِ: «النّاسُ على ثلاثة أوقاتٍ: وقتٍ مَضى عنكَ فلن يعودَ، ووقتٍ أنتَ فيه –فانظرْ كيفَ يخرجُ عنكَ؟– ووقتٍ أنتَ مُنتظِرهُ، وقد لا تَبلُغ إليه» [طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، 1/288].

– ونحوٌ من ذلك قولُه في الأيّام أيضًا: «الأيّامُ ثلاثةٌ: مَعهودٌ ومَشهودٌ ومَوعودٌ. فالمعهودُ أمسِ، والمشهودُ اليومَ، والموعودُ غدًا» [نور القبس، اليغموري، 63].

> وللخليل حِكمٌ يُصنِّف فيها النّاسَ والأوقاتَ والأشياءَ، وهذا يدلّ أيضًا على خبرته الكبيرةِ في الخَلْق والنّاس، وفلسفتِه الخاصّةِ للحياة.

– ومن أحسن ما قاله الخليلُ في أنواع النّاس مِن عالم ومتعلّم وجاهل مستكبرٍ – وهو يدلّ على تواضعِه أيضًا – قولُه: «كنتُ أخرجُ مِن منزلي فألقى رجلًا من أربعة: رجلًا أعلمَ منّي –فهو يومُ فائدتي– ورجلًا مِثلي –فهو يوم مُذاكرتي– ورجلًا مُتعلِّمًا منّي –فهو يومُ ثوابي– ورجلًا دوني في الحقيقة، وهو يرى أنّه فوقي، ويُحاول أن يتعلَّم مني وكأنَّه يُعلِّمني. فذاكَ الّذي لا أُكلِّمُه ولا أَنظُر إليه». [نور القبس، اليغموري، 60].

– وقال في السِّنّ التي يكون فيها اكتمالُ عُقول النّاس، ومتى يكون ضَعفُها ونُقصانُها، وفي أيّ وقتٍ يكونُ أكملُ صفائها: «أكْمَلُ ما يكونُ الرّجلُ عَقلًا وذِهنًا وهو ابنُ أربعينَ سنةً، وهي السِّنُّ التي بعثَ اللهُ رسولَهُ فيها، ثمّ يتغيَّرُ وينقُصُ إذا صارَ ابنَ ثلاثٍ وستّين، وهي السِّنُّ التي قُبض ﷺ فيها، وأَصْفى ما يكونُ ذِهنُه في السَّحَر». [نور القبس، اليغموري، 62–63. وفيات الأعيان، ابن خلّكان، 2/245].

– وقد جمع الخليلُ ما يُنسي المصائبَ في ثلاثٍ، فقال [معجم الأدباء، الحموي، 3/1265]: «ثلاثةٌ يُنسينَ المصائبَ: مَرُّ اللّيالي، والمرأةُ الحَسناءُ، ومُحادَثةُ الرّجال. وقال في ذلك:

**وما بَقِيتْ مِنَ اللّذّاتِ إلّا**
**مُحادَثةُ الرِّجالِ ذوي العُقولِ**
**وقد كُنّا نَعُدُّهُمُ قَليلًا**
**فقدْ أضْحَوا أقلَّ مِنَ القليلِ»**

– وللخليل حِكَمٌ في شأنِ الصّداقة والأصدقاء أيضًا. فهو يحضُّ على اتّخاذ الصّديق، ويؤكّدُ أهمّيّتَه. ومن ذلك أنّه قال: «الرَّجلُ بِلا صديقٍ كاليمينِ بِلا شِمالٍ». [نور القبس، اليغموري، 64].

– وقال في الاستكثار مِنَ الأصدقاء للانتفاعِ بهم عندَ الحاجة، مع عدم معاداةَ أحدٍ [نور القبس، اليغموري، 64]:

**تَكثَّرْ مِنَ الإخوانِ ما اسطعْتَ، إنَّهُمْ**
**بُطونٌ، إذا استنجدتَهمْ، وظُهورُ**
**وما بكثيرٍ ألْفُ خِلٍّ لِعاقلٍ**
**وإنَّ عَدُوًّا واحدًا لَكثيرُ**

– وقال في قَبولِ النَّصيحةِ من الأصدقاء [نور القبس، اليغموري، 65]: «إذا أخبرَكَ بعيبِكَ صديقٌ قبلَ أن يُخبرَكَ به عَدوٌّ فأحسِنْ شُكرَهُ، واقبَلْ نُصحَهُ –فإنّك إن قبلتَهُ لم يَنفعْه، وإن رَددتَهُ لم تَضُرَّ إلّا نفسكَ– ومَن أظهرَ لك عُيوبًا، وكشفَ لكَ عن مكروهٍ قِناعًا، فقِسْ ما غابَ عنكَ بما ظهرَ لكَ من فعله، وأنشد:

**ليسَ المُسيءُ إذا تَغيَّبَ سوءُهُ**
**عنّي بِمَنزلةِ المُسيءِ المُعلِنِ**
**مَن كانَ يُظهِرُ ما أُحبُّ فإنَّهُ**
**عِندي بِمَنزلةِ الأمينِ المُحسِنِ**
**واللهُ أعلمُ بالقلوبِ، وإنّما**

**لكَ ما بَدا لكَ منهُمْ بالألسُنِ»**

– وقال الخليلُ في المُمازحةِ بين النّاس: «النّاسُ في سِجْنٍ ما لم يَتمازحوا». [معجم الأدباء، الحموي، 3/1268].

– وله حِكمٌ تُعرِّفُ حقيقةَ الأشياء، مع حُسن العبارةِ ولُطفِ الإشارةِ. فمن ذلك تعريفُه لِلسَّماح، وذلك عندما سأله يزيدُ بنُ المهلّب والي خُراسان (ت 102هـ) فقال: «يا أبا عبدِ الرّحمن، ما تقولُ في السَّماح؟»، فقال الخليلُ: «هو إلى الكرم ارتياحٌ، وفي النِّعَم امتناحٌ، وليس فيه كبيرُ جَناحٍ، يَغفرُ الله عمّا فوقَه، ويأخُذُ بما هو دونَه. وما أُحبُّ أن أَغُرَّ بقولي وَرِعًا، ولا أَهُزُّ طَبْعًا». [نور القبس، اليغموري،62].

– وقال في شأنِ الزّاهِدِ: «الزّاهدُ من لا يَطلُب المَفقودَ حتّى يَفقِدَ المَوجودَ». [نور القبس، اليغموري، 63].

– وقال في شأن الجود: «الجودُ بَذْلُ المَوجودِ». [نور القبس، اليغموري، 63].

– وقد سُئِل عن قولهم:

**إذا كُنتَ في حاجةٍ مُرْسِلًا فأَرسِلْ حَكيمًا، ولا توصِهِ**

فأتى بالجواب الشّافي عن هذا الحكيم، فقال: «الحكيمُ الّذي لا يَحتاجُ إلى وصيةٍ الدِّرْهَمُ». [نور القبس، اليغموري،62].

**4- تواضُعه وحُسنُ مَعشرِه ودَماثةُ خُلقِه:**

إلى جانب زُهد الخليل وحِكمتِه، فقد عُرف عنه تواضعُه وحُسنُ أخلاقه، ودَماثتُه وظرافتُه. فالعالم الحقيقيُّ لا يزيّنُه شيءٌ مثلُ التّواضع وحسنِ الخُلُق والمعشرِ، ولا يَشينه شيءٌ مثلُ الكِبر وسوءِ الخُلُق.

ومن تواضُعِ الخليل ما مرّ من بساطةِ عيشِه وتقشُّفِه. وكذلك ما رُوي من أنّه كان يَرى نفسَه من أسفل النّاس، لا يتميّزُ من غيره أيَّ تميّزٍ. فقد «كان يقول: أشتهي أن أكونَ عندَ الله مِن أرفعِ النّاس، وعِندَ النّاسِ مِن أوسطِ النّاسِ، وعندَ نفسِي مِن أسفلِ النّاس. وكان يَدْعو بذلك في دُعائه». [نور القبس، اليغموري، 56].

ومن تواضُعِ العلماء أن يعترفُوا للآخرين بما حباهم الله مِنَ العلم والمعرفة، ولو كانوا أقلَّ شأنًا منهم، وهذا ما كان عند الخليلِ الّذي لم يُخفِ ما لصبيٍّ من حِذقٍ ومعرفةٍ. فـ«يُروى أنّ سيّار بنَ هاني أبا إبراهيم بنِ سيّار النّظام جاء بابنِه إبراهيم إلى الخليل، وقال: أُحبُّ أن يكونَ هذا الصّبيُّ بينَ يديكَ، فقال الخليلُ لإبراهيم كالعابثِ، وفي دار الخليلِ نخلةٌ: صِفْ لي هذه النّخلةَ، قال: بمدحٍ أم بذمٍّ؟ قال: بذمٍّ. قال: هي صعبةُ المُرتَقى، خبيثةُ المُجتنى. قال: فصفْ زُجاجتي هذه – يعني كأسًا في يده. فقال: أبمدحٍ أم بذمٍّ؟ قال: بذمٍّ. قال: هي سريعةُ الانكسارِ، بطيئةُ الانجبار. فقال الخليل لأبيه: أنا أحتاجُ أن أتعلَّمَ مِن ابنك هذا». [نور القبس، اليغموري، 69].

وممّا يدلُّ على تواضُعِ الخليل مع ما فيه من علمٍ جليلٍ أنّه كان لا يمُنّ على من يُفيدُه شيئًا، ويَشكرُ من يستفيدُ منه.



## من حِكم الفراهيدي

**قال في قَبولِ النَّصيحةِ من الأصدقاء:**

**«إذا أخبرَكَ بعيبِكَ صديقٌ قبلَ أن يُخبركَ به عَدوٌّ فأحسنْ شُكرَهُ، واقبَلْ نُصحَهُ -فإنّكَ إن قبلتَهُ لم يَنفعْه، وإن رددتَهُ لم تَضُرَّ إلّا نفسكَ».**

فقد حكى أيّوبُ بنُ المتوكّل قال: «كان الخليلُ إذا أفادَ إنسانًا شيئًا لم يُرِه بأنّه أفادَه، وإنِ استفادَ من أحدٍ شيئًا أراهُ بأنّه استفادَ منهُ». وقد عقّب على ذلك الذّهبيُّ (ت 748 هـ) فقال: «قلت: صار طوائفُ في زماننا بالعكس» [سير أعلام النبلاء، الذهبي، 7/431]. وإذا كان هذا حالُ طوائفَ من أهل زمان الذّهبيّ فقد صار هذا حالَ مُعظم أهلِ زماننا، بل ندَرَ أن تجدَ خِلافَه، فما أقلّ العلماءَ والطّلابَ المتواضعين! وما أكثر المدّعين!

ومن حُسن مَعشرِ الخليلِ ما رُوي عن المبرِّد (ت 286هـ) من أنّه قال: «جلسَ رجلٌ إلى الخليل بنِ أحمدَ فقال: «أحسبُني قد ضَيَّقْتُ عليك». فقال له: «لا تقُلْ ذلك. فإنّ شبرًا منَ الأرضِ لا يَضيقُ على المتحابّين، والأرضُ برُحْبِها لا تَسَعُ مُتباغضَيْن». [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 48].

### 6- شِعرُه:

كان الخليلُ بن أحمدَ ينظمُ الشِّعر، وله مقطوعاتٌ قصيرةٌ، تقتصرُ على أبياتٍ يسيرة. ويُلاحظ أنّ أغلبَ موضوعاته في الزُّهد والحكمة ونحوِ ذلك. وقد تنبّه إلى ذلك السّيرافيُّ (ت 368هـ)، فقال: «وكان الخليلُ يقول الشِّعر، البيتَين والثّلاثةَ ونحوَها، في الآدابِ». [أخبار النحويين البصريين، السيرافي،31]، وقال ابنُ النّديم (ت 380هـ): «وكانَ شاعِرًا مُقِلًّا». [الفهرست، ابن النديم، 65].

#### أ- شعرُه في النّحو:

من أحسنِ أشعارِ الخليلِ في العربيّة والحضِّ على تعلّم النّحو والتّنفيرِ منَ اللّحن قصيدتُه التي أنشدها بعدما رآه من لحنٍ وإسقاطٍ للأمير سليمان بن عليّ بن

> «جلسَ رجلٌ إلى الخليل بنِ أحمدَ فقال: «أحسبُني قد ضَيَّقْتُ عليك». فقال له: «لا تقُلْ ذلك. فإنّ شِبرًا منَ الأرض لا يَضيقُ على المتحابَّين، والأرضُ برُحْبِها لا تَسَعُ مُتباغضَيْن»

عبد الله بن عبّاس (ت141هـ). [تاريخ خليفة بن خياط، 419]، وكان سألَ الأميرُ الخليلَ عن نفسِه، فأخبره بذلك، فخجل الأميرُ منه حتّى كأنّما فقأَ الرُّمّان في وجهه، واحتجب عنِ النّاس يتعلّمُ حتّى صار فصيحًا كأنّه معدّ بنُ عدنان، فقال الخليل [طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، 50، معجم الأدباء، الحموي، 3/ 1262]:

لا يَكونُ السَّريُّ مِثلَ الدَّنِيـ ... ـيِ، ولا ذو الذَّكاءِ مثلَ العَيِيِّ
قيمَةُ المَرءِ كُلُّ ما يُحسِنُ المَرْ ... ءُ، قَضاءٌ مِنَ الإمامِ عَلِيِّ
أيُّ شَيءٍ مِنَ اللِّباسِ على ذي السَّـ ... ـرْوِ أبْهى مِنَ اللِّسانِ البَهِيِّ
يَنظِمُ الحُجّةَ الشَّتيتةَ في السِّلْـ ... ـكِ مِنَ القولِ مثلَ عِقْدِ الهَدِيِّ
وتَرى اللَّحنَ بالحسيبِ أخي الهَيْـ ... ـئةِ مثلَ الصَّدى على المَشْرَفِيِّ
فاطلُبِ النَّحوَ للحِجاجِ وللشِّعْـ ... ـرِ مُقيمًا، والمُسنَدِ المَرْوِيِّ
والخطابِ البَليغِ عِندَ حِوارِ الْـ ... ـقَوْلِ، يُزْهى بمِثلِه في النَّدِيِّ
وارْفُضِ القولَ مِنْ طَغامٍ جَفَوا عَنْـ ... ـهُ، فعادَوْهُ نَصْبَةً لِلنَّبِيِّ

ومن ذلك أيضًا ما ذكره في كتابَيْ أستاذه عيسى بن عمر (ت 149هـ) في النّحو، وهما (الإكمال) و(الجامع) [تاريخ العلماء النحويين، التنوخي، 133. تهذيب الكمال، المزي، 8/330]:

ذَهَبَ النَّحْوُ جَميعًا كُلُّهُ ... غيرَ ما أَحْدَثَ عيسى بنُ عُمَرْ
ذاكَ (إكْمالٌ)، وهذا (جامِعٌ) ... فهُما لِلنّاسِ شَمْسٌ وقَمَرْ

#### ب- شعرُه في الزّهد:

أكثرُ أشعارِ الخليلِ بنِ أحمدَ في الزّهد، وهذا انعكاسٌ لشخصيّتِه وطبيعتِها الزّاهدةِ التي امتلأتْ حكمةً وعلمًا. وزُهديّاتُ الخليلِ متنوّعةٌ بين ذمّ الدُّنيا وتركِ متاعِها، وتقصيرِ الأمل، والتّذكيرِ بالموت والإنذارِ بالشّيب ونحوِ ذلك.

ومن ذمِّ الدّنيا والتّنفيرِ منها عند الخليلِ قصيدةٌ قال في وصفها ابنُ المعتزّ [طبقات الشعراء، ابن المعتز، 98. نور القبس اليغموري، 63-64]: «ومما يُستحسنُ للخليل بنِ أحمد من شعرِه [في وصف الدّنيا وذمِّها، وتركِ الحرص عليها]، قولُه:

وما هيَ إلّا لَيلةٌ ثُمّ يَومُها ... وحَولٌ إلى حَولٍ وشَهرٌ إلى شَهرِ
مطايا يُقَرِّبْنَ الجديدَ مِنَ البلى

ويُدنينَ أشلاءَ الكِرامِ مِنَ القَبرِ
ويَترُكْنَ أزواجَ الغَيورِ لِغيرِه
ويُبعِدْنَ جُثمانَ الشَّحيحِ مِنَ الوفرِ

ومن شعرِه في تقصيرِ الأملِ والحثِّ على العلمِ والعملِ قولُه [نور القبس اليغموري، 63]:

غَـرَّ جَـهـولاً أَمَـلُـهْ
حتّى يُوافي أَجَلُهْ
ومَن دَنا مِن حَتفِهِ
لَم تُغنِ عَنهُ حِيَلُهْ
لا يَصحَبُ الإنسانَ مِن
دُنياهُ إلّا عَمَلُهْ

ومثل ذلك ما قالَه في وصفِ الأملِ وسَيْرِ الإنسان خلْفَ المال والولد، ومجيءِ الموت وقطْعِه لجميع ذلك [نور القبس اليغموري، 64]:

يَعيشُ المَرءُ في أَمَلٍ
يُرَدِّدُهُ إلى الأَبَدِ
يُؤَمِّلُ ما يُؤَمِّلُ مِن
صُنوفِ المالِ والوَلَدِ
ولا يَدري لَعلَّ المَو
تَ يَأتي دونَ بَعدِ غَدِ
فَلا يَبقى لِوالِدِهِ
ولا يُبقي على وَلَدِ

وقال الخليلُ في ذكرِ الموتِ والاستعدادِ له -ورأيتُه مَنسوبًا لعليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، قاله لمّا ضربهُ عبد الرّحمن بنُ ملجَمٍ، عليه منَ الله ما يَستحقُّ [المعجم الكبير، الطبراني، 1/96]- [البيان والتبيين، الجاحظ، 3/126.نـور القبس، اليغموري، 64]:

عِشْ ما بَدا لَكَ قَصرُكَ المَوتُ
لا مَرحَلٌ عَنهُ ولا فَوتُ
بَينا غِنى بَيتٍ وبَهجَتُهُ
زالَ الغِنى وتَقَوَّضَ البَيتُ
يا لَيتَ شِعري ما يُرادُ بِنا
ولَقَلَّما تُغني إذاً (لَيتُ)

ونحوٌ منه -وهو في أحسن تشبيهٍ، إذ شبّه الإنسانَ بصوتٍ، سيأتي إلى هذه الدنيا، ولا بُدَّ سيمضي- قولُه [نور القبس اليغموري، 64]:

المَرءُ ذو صَوتٍ يَعيشُ بِهِ
في النّاسِ، ثُمّ سَينفَدُ الصَّوتُ

ومن ذلك قولُه في الموتِ والاستعداد له أيضًا [أخبار النحويين البصريين، السيرافي، 32. شرح مقامات الحريري الشريشي، 2/345]:

وقبلَكَ داوى المَريضَ الطَّبيبُ
فعاشَ المَريضُ، وماتَ الطَّبيبُ
فكُنْ مُستعِدًّا لِداعي الفَنى
فإنَّ الّذي هو آتٍ قَريبُ

وقال الخليلُ في ذكر الشَّيبِ بعد الشّباب [نور القبس اليغموري، 64]:

أَتبكي بعدَ شَيبٍ قدْ علاكا
ولا يَنهاكَ شَيبُكَ عن بُكاكا
فهلّا، إذ بَكيتَ على التّصابي
بكيتَ على الصَّبابةِ في صِباكا

ونحوٌ منه قولُه في الشّيب أيضًا [مرآة الجنان، عفيف الدين اليافعي، 1/284. قلادة النحر، بامخرمة، 2/240-241]:

ألا يَنهاكَ شَيبُكَ عَن صِباكا
وتَترُكَ ما أَضلَّكَ مِن هَواكا
أتَرجو أن يُطيعَكَ قَلبُ سَلمى
وتَزعُمُ أنَّ قَلبَكَ قد عَصاكا

**الوفاةُ:**

تُوفِّي الخليلُ بن أحمدَ الفراهيديُّ سنة خمسٍ وسبعينَ ومئةٍ للهجرة، الموافقةَ لسنة إحدى وتسعينَ وسبعمئةٍ للميلاد، في أصحّ الأقوال، وكانت وفاتُه في البصرة، عن عُمرٍ يُناهز الأربعةَ والسّبعينَ عامًا. وقيل: توفّي سنة سبعين ومئة، وقيل: سنة ستّين ومئة، وعن ابن الجوزيّ: سنة ثلاثين ومئة، وقد جزم الرّواة بأنّ هذا القولَ الأخيرَ غلطٌ. [معجم الأدباء، الحموي، 3/1269، و3/1271. وفيات الأعيان، ابن خلّكان، 2/248. بغية الوعاة، السيوطي، 1/ 560].

وقد ذكرَ الرّواة شيئًا في سبب وفاتِه، فقيل إنّه كان يفكّرُ بتقريبِ نوع مِنَ الحساب، حتّى تمضيَ به الجاريةُ إلى البقّال، فلا يُمكنُه ظُلمُها، ودخل المسجدَ وهو على هذه الحالِ مِنَ التّفكير، فاصطدمَ بساريةٍ فيه، فوقعَ وانقلبَ على ظهره، وكانت سببَ موته. وقيل: بل كان يُقطِّع بحرًا منَ العروض. [وفيات الأعيان، 2/248. بغية الوعاة، السيوطي، 1/ 560].

وقد رُوي أنّ عليّ بن نصرٍ الجهضميَّ حدّث فقال: «رأيتُ الخليلَ بعدما ماتَ في النَّوم، فقلتُ له: ما صنعَ الله بكَ؟ قال: رأيتَ ما كُنّا فيه؟ لم يكن شيئًا، وما وجدتُ أفضلَ من: «سُبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ واللهُ أكبرُ». [معجم الأدباء، الحموي، 3/1267]، وفي رواية: «غفرَ لي، ورحمني، ثمّ قال: رأيتَ...». [نور القبس، اليغموري، 72]. غفر الله - سُبحانَه وتعالى- له، ورحمه، وجزاه عن الإسلام والعربيّة خير الجزاء.



## التَّرْجَمَةُ للأَعْلامِ مَزِلَّةُ أَقْدام

# ابنُ سيدَه

## وكتابُه:

## (المحكَمُ في اللّغة)

رفيق سربيس
كاتب وباحث

**ليس منَ السّهولة بمكانٍ أن نُترجمَ للأعلام ترجمَةً وافيةً شافيةً دون الرّجوعِ إلى المصادر العريقةِ التي تحدّثتْ عنهم بلِ الرّجوعُ إلى مؤلّفاتهم لتحكيَ عنهم قصّةَ حياتِهم، ودونَك أخي القارئ مثالاً على علَمٍ منَ الأعلامِ ظُلِمَ قرونًا بسببِ ضَعفِ التّحقيقِ والتّقصّي، وعدمِ التّثبّت والتّروّي.**

**قال السّهيليّ في كتابه (الرّوضُ الأُنف): «وزَعَمَ ابْنُ سيدَهْ في كِتابِ المُحْكَم لَهُ أَنّ العَرَبَ تَنْسِبُ إلى البَحْرِ بَحْرانِيّ على غَيْرِ قِياسٍ، وأَنّهُ مِنْ شَواذّ النّسَبِ ونَسَبَ هذا القَوْلَ إلى سيبَوَيْهِ والخَليلِ، ولَمْ يَقُلْهُ سيبَوَيْهِ قَطّ، وإِنّما قالَ في شَواذّ النّسَبِ: تَقولُ في بَهْراءَ: بَهْرانِيّ، وفي صَنْعاءَ: صَنْعانِيّ، كما تَقولُ بَحْرانِيّ في النّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ الّتي هِيَ مَدينَةٌ، وعَلى هذا تَلَقّاهُ جَميعُ النّحاةِ وتَأَوّلوهُ مِنْ كَلامِ سيبَوَيْهِ، وإِنّما شُبّهَ عَلى ابْنِ سيدَهْ لقَوْلِ الخليلِ في هذِهِ المَسْأَلَةِ أَعني مَسْأَلَةَ النّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ، كَأَنّهُمْ بَنَوْا البَحْرَ على (بَحْرانٍ).**

وإنّمَا أَرادَ لَفْظَ البَحْرَيْنِ أَلا تَراهُ يَقولُ في كِتابِ العَيْنِ: تَقولُ بَحْرانِيّ في النّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ، ولَمْ يَذْكُرِ النّسَبَ إلى البَحْرِ أَصْلاً للعِلْمِ بِهِ وأَنّهُ عَلى القِياسِ جارٍ، وفي الغَريبِ المُصَنّفِ عَنِ اليَزيدِيّ أَنّهُ قالَ: إنّما قالوا: بَحْرانِيّ في النّسَبِ إلى البَحْرَيْنِ، ولَمْ يَقولوا: بَحْرِيٌّ لِيُفَرّقوا بَيْنَهُ وبَيْنَ النّسَبِ إلى البَحْرِ، وما زالَ ابْنُ سيدَهْ يَعْثِرُ في هَذا الكِتابِ وغَيْرِهِ عَثَراتٍ يَدْمى مِنْها الأَظَلُّ، ويَدْحَضُ دَحَضاتٍ تُخْرِجُهُ إلى سَبيلِ مَنْ ضَلّ، أَلا تَراهُ قالَ في هذا البابِ وذَكَرَ بُحَيْرَةَ طَبَرِيّةَ، فقالَ: هِيَ مِنْ أَعلامِ خُروجِ الدّجّالِ وأَنّ ماءَها يَيْبَسُ عِنْدَ خُروجِهِ، والحَديثُ إنّما جاءَ في عينِ زُغَرَ، وإنّما ذُكِرَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيّةَ في حَديثِ يَأْجوجَ ومَأْجوجَ وأَنّهُمْ يَشْرَبونَ ماءَها، وقالَ في الجِمارِ في غَيْرِ هَذا الكِتابِ: إنّمَا هِيَ الّتي تُرْمى بعَرَفَةَ، وهَذِهِ هَفْوَةٌ لا تُقالُ وعَثْرَةٌ لا لَعًا لَها، وكَمْ لَهُ مِنْ هَذا إذا تَكَلّمَ في النّسَبِ وغَيْرِهِ»(1). انتهى كلام السُّهيليّ.

قلت: لقد اختار السّهيليُّ ثلاثةَ أمثلةٍ من أمثلةٍ كثيرةٍ يزعمُ أنّها أغلاطٌ ارتكبها ابنُ سيده في كتابه المُحكم وغيره، ووصفَها بعثراتٍ يدمى منها الأظلّ - باطن خفّ البعير -، وقد عزمتُ على أن أبيّن خطأ زعْمِ السّهيليّ بمناقشةِ الأمثلةِ الثّلاثةِ بما لا يبقَى معه لَبسٌ ولا شُبهةٌ متوكّلًا على الله وحده راجيًا منه التّسهيلَ والسّداد.

أمّا المثال الأوّل وهو اتّهامُ ابنِ سيده

بأنّه جعل النِّسبَةَ إلى البحر: (بحرانيّ) وعدّه شاذًّا الخ، فالجواب كالآتي:

**أوّلًا:** في كتابِ سيبَويه: «وقالوا في صَنْعاءَ: صَنْعانيٌّ، وفي شِتاء: شَتْوِيٌّ، وفي بَهْراء قَبيلةٌ مِنْ قَبيلةِ قُضاعَة: بَهْرانيٌّ، وفي دُسْتُواء: دُسْتُوانيٌّ مثل بَحْرانيٍّ، وزَعَمَ الخَليلُ أنَّهم بَنَوُا البَحْرَ على فَعْلان، وإنَّما كان للقِياسِ أَنْ يَقولوا: بَحْرِيٌّ»(2).

قلت: الذي يقرأُ كلامَ سيبويه سيَفْهَمُ كما فهِمَ ابنُ سيده وغيرُه أنّ الخليل أراد النِّسبَةَ إلى البحر؛ لأنّه قال: بَنَوُا البَحْرَ على فَعْلان، أي بَنَوْهُ على فَعْلان قبلَ النِّسبَةِ، فصار من باب التّسميَةِ بالمثنّى ثمّ جاءت النِّسبة، فلذلك لم تُحذف علامةُ التَّثنيَة، ولكنّ الخليلَ يريدُ النِّسبةَ إلى البحرين.

**ثانيًا:** ابنُ سيده لم ينفرد بهذا الفهم، فقد قال ابنُ هشام اللّخميّ في (المدخل إلى تقويم اللّسان): «وكذلك رجلٌ: (بَحْرِيٌّ)، منسوبٌ إلى البحر، وبَحْرانيّ منسوبٌ إلى البحرين، وحكى أبو علي الفارسيُّ أنَّهم قالوا: بحرانيٌّ، لمن أضافوه إلى البحر. قال: والألف والنّون فيه ليستا لتثنيةٍ، ولكن بُني الاسم على (فَعْلان) وأضيفَ إليه»(3)، فانظر كيف فهِم اللّخميّ ممّا حكاه عن أبي عليّ الفارسيّ أنّ بعضهم ينسبُ إلى البحرِ فيقول بحرانيّ، ويدلّ على صحّة هذه النّسبة – ولو شذوذًا – قولُ العلماء في حديث عائشةَ رضي الله عنها: «دَمُ المحيضِ بحرانيٌّ أسودُ»(4)، قالوا:





«نُسِبَ إلى بَحْر الرَّحِمِ وهُوَ عُمْقُهُ»(5)، وقال ابنُ الأثير: «نُسِبَ إلى البحر لكثرتِه وسَعتِه»(6)، فتأمّل ذلك فإنّه دقيقٌ.

**ثالثًا:** صنيعُ ابنِ سيدَه في المخصّص يدلُّ على أنه أراد أنّ النّسبةَ إلى البحر – إذا ثُنّي– بدليل قوله: «وأمّا النّسبة إِلى البَحْر بَحرانيّ فالقِياس أَن تُحذف عَلامَة التَّثنية في النّسبة كما تُحذف هاءُ التَّأنيث غيرَ أَنّهم كَرهوا اللَّبسَ ففرّقوا بَين النّسبة إِلى البَحْر والبحرَيْن لما سمَّوا بِهِ على مِثال سعْدانَ وسكْرانَ ونسبوا إِلَيْهِ على ذَلِك»(7)، فهنا واضح أنّه يريد أن تَنسب إلى البحرين فالقياس أن تَحذفَ علامة التّثنية ثمّ تقول: بحريّ أي منسوبٌ إلى البحرين، ولكنّهم تركوا العلامةَ لأنّها صارت منَ الاسم، فصار بصيغتِه المثنّاة اسمًا للموضع، ويشهدُ لِقَوْلِهِ السّابقِ قولُ السّيرافيّ في شرحه لكتاب سيبويه: «وأمّا النّسبةُ إلى البحرين بحرانيّ فالقياس أن تُحذف علامةُ التّثنية في النّسبة، كما تُحذف هاءُ التّأنيث، غير أنّهم كرهوا اللّبسَ، ففرّقوا بين النّسبة إلى البحر وإلى البحرين، وبنَوا البحرين لما سمّوا به على مثل سعدانَ وسكرانَ ونسبُوا إليه على ذلك»(8)، وهو عَيْنُ ما نقله ابنُ سيده في المخصّص.

أمّا المثال الثّاني: وهو ما جاء في بُحَيْرةِ طبريّةَ وأنّه عدَّها من علامات الدّجّال.

قال ابنُ سيدَه في المحكم: «وأمّا البُحَيرَةُ الَّتي بطبريَّةَ فإِنَّها بحرٌ عَظيم، نَحْو عشرَة أَمْيال في سِتَّة أَمْيال، وهِي عَلامَة لخُروج الدَّجَّال، تَيْبَسُ حَتَّى لا يبْقى فيها قَطْرَةُ ماء»(9).

قلت: غريبٌ إنكارُه عليه هذا الفهمَ، ففي كتاب الفتن لنعيم بنِ حمّاد: «ويَخْرُجُ يَأْجوجُ ومَأْجوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، لا يَمُرُّونَ على ماءٍ إلَّا نَزَفوهُ، والماءُ يَوْمَئِذٍ قَليلٌ، قَدْ غارَ عِنْدَ مَخْرَجِ الدَّجَّالِ حَتَّى يَنْتَهوا إلى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ،

(1) الروض الأنف تح: تدمري (3/220).
(2) كتاب سيبويه. تح: عبد السلام هارون (3/336).
(3) المدخل إلى تقويم اللسان. تح: الضامن (236).
(4) التاريخ الكبير للبخاري. تح: المعلّمي (1/115).
(5) أساس البلاغة. تح: باسل عيون السود (1/47).
(6) النهاية في غريب الحديث والأثر. تح: طاهر الزاوي، والطناحي(1/99).
(7) المخصص. تح: جفال (4/60).
(8) شرح كتاب سيبويه. تح: مهدلي، وعلي سيد (4/95).
(9) المحكم والمحيط الأعظم. تح: هنداوي (3/313).

فيَقولُ آخِرُهُمْ: لَقَدْ كانَ هاهُنا مَرَّةً ماءٌ»(10).

وفي مُسْنَد أحمد أنّ الدّجال سألَ النّاس الذين وجدوه مُكبّلًا في جزيرة: «فما فَعَلَتْ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّةَ؟ قالوا: هِيَ تَدْفُقُ مَلْأى»(11).

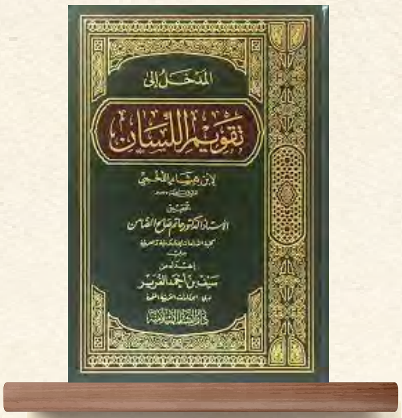
ثمّ هو مسبوقٌ بما في كتاب العين: «وأمّا البُحَيْرَة في طَبَرِيّة فإنّها بَحْرٌ عظيم وهو نَحوٌ من عَشْرَة أميالٍ في ستَّة أميالٍ، يقال: هي عَلامة لخروج الدَّجّال، تَيْبَس حتى لا يبقى فيها قَطْرة ماء»(12).

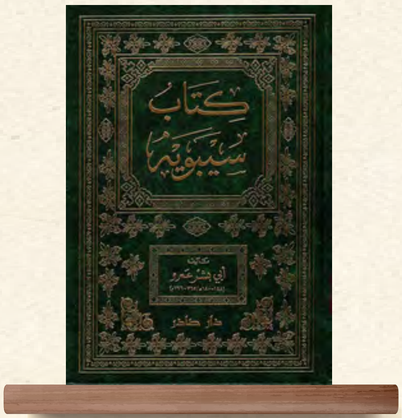
وفي التّهذيب: «وقالَ اللَّيْثُ: إذا كانَ البحرُ صَغيرا قيل لَهُ بُحَيْرَةٌ. قالَ: وأمّا البُحَيْرَةُ الَّتي بالطَبَريَّة فإنَّها بَحرٌ عَظيمٌ وهُوَ نحوٌ من عَشْرَةِ أَمْيالٍ في سِتَّة أَمْيال، وغُؤُورُ مائِها علامةٌ لخُرُوج الدَّجَّال»(13).

قلت: فما هو قائلٌ في هؤلاء؟!

وأمّا المثال الثّالث وهو أَغْرَبُهم: وهو زعمُه أنّ ابنَ سيدَه قال في غير المحكم –ولم يُسَمِّ المصدر– قال في الجمار: «إنّمَا هِيَ الّتِي تُرْمى بعَرَفَةَ».

قلتُ: لم يسمّ لنا السّهيليُّ المصدرَ الذي نقل منه هذا القولَ الغريبَ حتّى نتثبّتَ منه، وإنّما اكتفى بقوله: «وغيره»، وليس هذا منَ التّحقيق المرضيّ، فـ«هَفْوة لا تُقالُ» مثل هذه لابد أن يُعرفَ مصدرُها كي ينتبه لها القُرّاء والباحثون. وبعد بحثٍ دقيقٍ تبيّن أنّ القولَ لابن عبد البرّ في (الاستذكار)، ففيه: «ومِنْهُ الجِمارُ الَّتي تُرْمى بعَرَفَةَ يَوْمَ النَّحْرِ وسائِرُ الجمارِ تُرْمى أَيَّامَ التَّشْريقِ وهِيَ أَيّامُ مِنى»(14)، وابن عبد البرّ توفي (463هـ) بعد خمس سنوات من وفاة ابنِ سيدَه، فلعلّه اختلطَ عليه قولُ ابنِ عبد البرّ فعَدَّه لابن سيدَه، والمتأمّلُ بإنصاف يعلم يقينًا أنّ هذا



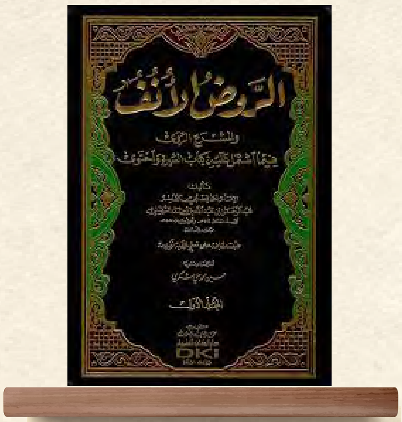

**ليس منَ السّهولة بمكان أن نُترجمَ للأعلام ترجمةً وافيةً شافيةً دون الرّجوع إلى المصادر العريقةِ التي تحدّثتْ عنهم بلِ الرّجوعُ إلى مؤلّفاتهم لتحكيَ عنهم قصّةَ حياتِهم.**

الخطأ - لو ثَبَتَ - فهو من باب السَّهو أو سبْقِ القلم إن لم يكن تصحيفًا حصلَ في المخطوط الذي اعتمدَه السّهيليُّ، وإنّما أراد ابنُ عبد البرّ: «تُرمى بالعقبةِ» يدلّ عليه كلامُه في التّمهيد: «فهذا حُكْمُ جَمْرَةِ العَقَبَةِ التي تُرْمى يومَ النَّحْرِ، ولا يُرْمى من الجِمارِ يومَ النحرِ غيرُها»(15)، فواضحٌ أنّه يريد جمرةَ العقبة، والعجبُ كلَّ العجب ممّن اعتذر لابنِ سيدَه –على فرض نسبةِ الكلام له– أنّه قاله لأنّه كان ضريرًا، أو أنّه لُغويٌّ ولم يكن فقيهًا ولم يحجَّ، وهل يُحتاج إلى بصر لمعرفة متى وأينَ تُرمى الجمار؟!. أو إلى كونه قد حجّ حتّى يُفسِّر معنى الجمرات؟!، وسيأتي كلامُه في المحكم والمخصّص بما يُزيل هذا الظّنّ.

وأيضًا عَجِبْتُ من صاحبِ كتاب (الوافي بالوفيات) صلاح الدّين الصّفديّ حين قال: «وكانَ ابْنُ سيده ثِقَةً في اللُّغَة، قَوْلُه: حُجَّة، لكنّه عثر في المُحكم عثراتٍ قالَ

(10) الفتن. تح: سمير الزهيري (2/584).
(11) مسند أحمد. تح: شعيب الارناؤوط وآخرين (45/315).
(12) العين. تح: المخزومي والسامرائي (3/220).
(13) تهذيب اللغة. تح: محمد مرعب (5/26).
(14) الاستذكار. تح: قلعجي (13/197).
(15) التمهيد. تح: بشار (5/287).
(16) الوافي بالوفيات (20/100).
(17) وقد حقّق بعضهم (الاستذكار) على خمس نسخ خطّيّة وَصَفَها بأنّها نسخٌ عزيزة، ومع هذا لم ينبّه على لفظة (تُرمى بعرفة).
(18) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (1/386).




في الجمار هِيَ الَّتي تُرمى بعَرَفَة، وكَذَلِكَ يَهِم في النَّسَب»(16).

تأمّل كيف لم ينتبه أنّ مسألة الجمار إنّما نسبها السّهيليّ إلى ابن سيده في غير المُحكم، ولم يذكرها ابنُ سيدَه لا في المحكم ولا في غيره كما مرّ بيانُه، وإنّما موضعُها في الاستذكار لابن عبد البرّ، وقد تبيّن أنّه سهو أو سبقُ قلم منه -رحمه الله- إن لم يكن تصحيفًا كما مرّ(17)، وليس هذا سهوًا من الصّفدي -رحمه الله- لأنّه كرّر الكلام نفسَه في كتابه: (نَكْتُ الهِمْيَانِ في نُكَتِ العُمْيَانِ).

وتأمّل كيف وقع صاحبُ كتابِ (شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام) (18) أبو الطّيب الفاسي (832هـ) في نفس خطأ الصّفدي، وجعل مثالَ (الجِمارِ) لابن سيده دون تثبّت لأنّه كرّر معنى ما ذكره في كتابه (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين)، وإن كان قد فَطِنَ لقول السّهيليّ أنّ القولَ في غير المُحكم، فقال: «ونُقِل عن ابنِ سيده اللّغويّ، ما يقتضي أنّها بعرفة. نَقَلَ ذلك عنه السُّهيليّ، وهو وَهْمٌ ذكرنا التّنبيه عليه. وهذه الجِمارُ مشهورةٌ بمنى»(19).

ولا يُقال هنا: لعلّ الصّفديّ لم يقف على كلمة (وغيره) حين النّقل عنِ السّهيليّ، فلعلّها سقطت تصحيفًا، فالجواب: كان ينبغي إذن التّثبّتُ والرّجوعُ إلى المُحكم، وهذا كلامُ ابنِ سيده في مُحكمِه: «والجَمَراتُ، والجِمار: الحَصَيات الَّتي يُرْمى بها في مَكَّة، واحدَتُها: جَمْرة»(20)، فأين قوله: التي يُرمى بها في عرفة؟!، وفي المُخصّص أيضًا نقلاً عن ابن دُريد: «الجَمَرات والجِمار: الحَصَياتُ الَّتي تُرمى بمِنًى واحِدَتُها جَمْرَةٌ»(21)، وكلامُه هنا أوضحُ إذ بيّن أنّها التي يُرمى بها في مِنًى.

**بعدَ التّأمّل والتّثبّت تبيّن أنّ ابن سيدَه ظلّ مظلومًا في نسبةِ بعضِ الأغلاط إليه طيلة تسعةِ قرون لاكتفاءِ مَنْ ترجَمَ له بالنّقل عن مصدرٍ واحدٍ دون تثبّت أو تحقُّقٍ مع غرابة الاتّهام.**

فالذي يظهر جليًّا أنّ الوَهمَ في هذه الهفوة وقع ممّن اتّهم ابنَ سيدَه بالوهم، وأصلُ الوهم في نسبة الخطأِ لابن سيدَه وهو الذي وقعَ من السّهيليّ -رحمه الله، ثمّ وهمٌ مضعّفٌ وقع ممّن أتى بعده بنسبة الخطأ لابن سيدَه، وأنّ الخطأ في مُحكمِه كما فعل الصّفديّ، وسببه عدمُ التّفطّن لكلمة (وغيره).

وأمّا مَن اتّهم ابنَ سيدَه بأنّه وقع في أخطاءٍ كثيرةٍ في مُحْكَمِهِ بسَبَبِ كونه ضريرًا، فهو ابنُ الصّلاح -رحمه الله- في كتابه (شرح مُشكل الوسيط) حينَ ناقشَ حديثَ: «كان رسول الله ﷺ إذا قام في صلاته وضعَ يديه على الأرض كما يضعُ العاجِنُ». قال: «فإنْ كان وصفُ الكبيرِ بذلك مأخوذًا مِنْ عاجنِ العَجينِ فالتّشبيهُ في شِدَّةِ الاعْتماد عند وَضْعِ اليدين، لا في كيفيّة ضمِّ أصابعِهما، وأمّا الذي في كتاب

(19) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (1/270).
(20) المحكم في اللغة (7/417).
(21) المخصّص (4/60).
(22) شرح مشكل الوسيط. تح: عبد المنعم خليفة (2/143).
(23) المقصور والممدود. تح: هريدي (113).
(24) تاج العروس. تح: جماعة من المختصين (35/377).
(25) الغريب المصنف. تح: صفوان عدنان (1/34)، والكلام للمحقّق.

«المحكم في اللّغة» للمَغْربيّ المتأخّر الضّرير من قوله في العاجن: «إنّه المعتمدُ على الأرض بجُمَعِه»، وجُمعُ الكفّ بضمّ الجيم هو أن يقْبِضَها كما ذكروه فغيرُ مقبول؛ فإنّه ممّن لا يُقْبَلُ ما يَتَفَرّدُ به؛ فإنّه كان يَغْلِطُ، ويُغَلِّطونه كثيرًا، وكأنّه أضَرَّ به في كتابه مع كِبَرِ حَجْمِهِ ضَرارَتُه، والله أعلم»(22). انتهى كلامُ ابنِ الصّلاح.

قلت: رحم الله ابنَ الصّلاح، فإنّ ابنَ سيدَه لم ينفرد بهذا المعنى، فقد سبقَه أبو عليٍّ القالي (356هـ) في كتابِهِ (المقصور والممدود)، قال: «العاجنُ: الذي يَعْتَمِدُ على الأرض بجُمعِهِ إذا أراد النّهوضَ من بَدَنٍ أوسِنٍّ، كالذى يعْجِنُ العَجينَ بيَدَيْه»(23)، وقد فسّر الزّبيديُّ في التّاج العَجْنَ بما فسّره به ابنُ سيدَه، ونقلَ بعضَ كلامِ أهل اللّغة ثمّ ذكر كلام ابنِ الصّلاح السّابق وعلّق عليه قولَه: «قلْتُ: ولا يظْهرُ وَجْهُ عَدَمِ قبولِ كَلامِه في تفسيرِ العاجنِ، وقد رَأَيْتَ ما أَسْلَفْنا في كَلامِ أئِمَّةِ اللُّغَةِ وهُمْ مُجْمِعون عَلَيْهِ، ولَقَد كانَ صاحِبُ المُحْكَمِ ثِقَةً حافِظًا في اللُّغَةِ، فتأمَّل ذَلِك»(24).

قلت: بعدَ التّأمّل والتّثبّت تبيّن أنّ ابن سيدَه ظلّ مظلومًا في نسبة هذه الأغلاط إليه طيلة تسعةِ قرون لاكتفاء مَنْ ترجَمَ له بالنّقل عن مصدرٍ واحدٍ دون تثبّتٍ أو تحقُّقٍ مع غرابة الاتّهام؛ وإن كان قد لا يُلامُ مَنْ تَقَدّم كالذّهبيّ وابنِ حجر -رحمهما الله- ممّن أراد الاعتذارَ لابن سيدَه دون بحث المسألة لقلّة المصادر وصعوبةِ توفّرها، فإنّ الموسوعةَ الميسَّرَةَ التي ترجمت لابن سيدَه قد قصّرت أيّما تقصيرٍ في اعتمادها على النّسخ واللّصق، وأيضا فعلَ بعضُ المحقّقين المُعاصرين الذين كان مبلغُهُم منَ التّحقيقِ تَنْسيقًا ليس إلّا، لا يُسْمِنُ ولا يُغني من جوع، ثمّ طَعْنًا في إمام من أئمّة اللّغة، قال محقّقٌ منهم -أصلحه الله-: «فكانت هذه عقوبةً من الله لابن سيدَه لمّا انتقص كبارَ العلماء ومنهم أبو عبيد وغضَّ من كتبهم ليُظهر فضلَ كتبه ومكانتَها، فكان جزاؤه من جنس عملِه فغضَّ السّهيليّ منه ومن كُتبه»(25).

قلت: تأمّل كيف يسهلُ الطّعن في النّيّة دون رويّة، وتحقيقٌ مثلُ تحقيق هذا المُعاصر -إن صحّ أن يُسمّى تحقيقًا- يصدقُ فيه قولُ النّابغة:

فعَدِّ عَمَّا تَرى إذْ لا ارْتِجاعَ لَهُ

أمّا أنا فأقول فيه نثرًا لا شعرًا: فعدّ عمّا ترى إذ لا تحقيقَ فيه في زمن سهُلت فيه سُبُلُ التّثبّت والتّحقُّق، وتوافرت فيه مصادرُ ومراجعُ لم يكن يَحلمُ بها مَنْ سبقنا مع إمكانية البحث السّريع الدّقيق، فلِمَ العَجَلَةُ في التّعليق قبْلَ التَّحقيق؟.

## حِكَمٌ وَآدَابٌ



### مِنْ عُيونِ الشِّعْرِ

مِنْ أَجْمَلِ ما قيلَ في وَصْفِ السَّخاءِ قَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ أبي سُلْمى:

**تَراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا**
**كَأَنَّكَ تُعْطيهِ الَّذي أَنْتَ سائِلُهُ**



# أَدَبٌ ونَقدٌ

- اللِّجَانُ الأَدبِيَّةُ في التُّرَاثِ العَرَبيِّ فِرَقٌ مُتَخَصِّصَةٌ في اخْتِيَارِ الشِّعْرِ وَحِفْظِهِ وَنَقْدِهِ
- دُرَّةُ الأَدَبِ العَرَبيِّ قصَّةُ حيّ بنِ يقظانَ وأهمُّ خصائصِها الفنِّيَّةِ
- مَشْهَدِيَّةُ الصَّحْرَاءِ في شِعْرِ عَبْدِ العَزِيزِ سُعُودٍ البَابْطِين
- أُلْفَةُ المَكَانِ وخُصُوصِيَّاتُهُ الجمَالِيَّةُ في رِوَايَةِ «مالكٌ الحزينُ» لإبراهيم أصْلان
- سِيَاحَةٌ مَعَ عَبْدِ اللّه الشَّيْخ البَشِير في قَصِيدَتِهِ: البَحْثُ عَنْ بَيْتِ شِعْرٍ

# اللِّجَانُ الأَدَبِيَّةُ في التُّرَاثِ العَرَبِيِّ

## فِرَقٌ مُتَخَصِّصَةٌ في اخْتِيَارِ الشِّعْرِ وَحِفْظِهِ وَنَقْدِهِ

**تُطلَقُ اللّجْنَةُ على جماعةٍ منَ المتخَصّصين تُسندُ إليهم مُهمّةُ النَّظرِ في أمرٍ أو اتّخاذ قرارٍ في مسألةٍ أو إبداءِ رأيٍ في قضيّة، ويُشترطُ فيها التّخصّصُ في الموضوعِ والعلْمُ به، ولعلَّ التّراثَ الأدبيَّ العربيَّ يحفلُ بهذا النّوعِ منَ التّجمّعِ المتخصّصِ الذي كان يحرصُ المُنضَوون تحتَه على النّظرِ في الشِّعرِ اختيارًا وتصنيفًا وجمعًا ونقدًا، قصْدَ الخروجِ بقرارٍ حاسمٍ متّفقٍ عليه، يكتسبُ صفةَ الإلزام. نصادفُ في الأحكامِ النّقديّةِ التي تتفرّقُ في كُتبِ النّقدِ إشارةً إلى جماعةٍ مجهولة، لا يُصرّحُ بأسماءِ أعضائِها أو زمانِ تجمّعِها ومكانِه، بل يُذكرُ مباشرةً ما خرجتْ به من قرارٍ مُلزمٍ يُبنَى على علْمِها المسلّمِ به من قِبَلِ النّاس، فبينَ عبارةِ (فضّلوا) و (إنّما وضعه عندهم) و(يقول أهل النظر) و(هذا إجماعٌ مأخوذٌ به ومتّبَعٌ نهجُه حتّى الآن)، وأمامَ إقرارِ المتلقّي سواء كان شاعرًا أو عالمًا بهذا الاتّفاق - نفترضُ وجودَ لجانٍ مُتخصّصةٍ تجتمعُ وتتداولُ في مسائلِ الشِّعرِ والنّقدِ واللّغة، وتخرجُ باتّفاقٍ أو إجماعٍ مُلزم.**



د. سعيد بكّور
أستاذُ الأدبِ العربيِّ القديمِ
بجامعةِ ابنِ طُفيل، المغرب

يمكنُ أن نبنيَ على ما سبق افتراضًا مُفاده أنَّ أقدمَ لجنةٍ علميّةٍ في تاريخ الأدبِ العربيِّ هي تلك اللّجنةُ التي كانت تحدّدُ القصيدةَ التي يحقُّ لها أن تندرجَ ضمْنَ نادي المُعلّقاتِ منَ القصيدةِ التي لم تَستوفِ الشّروطَ المضمونيّةَ والفنّيّةَ لتنالَ هذا اللّقب، ومن أسفٍ أنَّ النّصوصَ المرويّةَ لم تَحفظ لنا أسماءَ الذين كانوا يَختارون المعلّقةَ ويُقصّون ما لا يصلُ إلى مُستواها، والذي يمكن الاطمئنانُ إليه أنّها لجنةٌ من قريش، ولعلَّ ما يُقوّي هذا الظّنَّ أنَّ المعلّقاتِ إنّما كانت تُعلّقُ بأستارِ الكعبةِ، ولا شكَّ أنَّ المُشكّلين للجنةِ كانوا ممّن خَبِروا الشّعرَ العربيَّ وجمالياتِه، ولا نَستبعدُ أن تكون هذه اللّجنةُ هي التي وضعتْ ضوابطَ القصيدةِ العربيّةِ، وأشرفت على رسْمِ سنَنِها.

لقد كان الشُّعراء في الجاهليّةِ يَكتبون بلُغةِ الثّقافةِ المركزيّةِ، وهي لغةُ قُريش التي تجمعُ بين الفصاحة والصّفاء، ويَسعون كلُّهم إلى أن ينالُوا شرفَ أن تُعرضَ قصيدتُهم على أنظارِ العربِ في موسمِ الحجِّ وفي غير موسمِ الحجّ، ولقد كانت هذه اللّجنةُ متغيّرةً؛ لأنَّ زمنَ إنتاجِ المعلّقاتِ ممتدٌّ، فكان طبيعيًّا أن يتغيّرَ المُشكّلون لها.

إنَّ ما يؤكدُ علْمَ قريش بالشِّعر وأنواعِه، ووضْعَهم لحدودِه وسننِه قولُ الوليدِ بنِ المغيرة: "لقد عرفنَا الشِّعر كلَّه رجْزَه وهزْجَه وقريضَه ومقبوضَه ومبسوطَه"، وهذا القولُ وإن كان قد وردَ في سياقِ نفْيِ الشِّعر عنِ النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه يصلحُ حجّةً لتأكيدِ معرفةِ قريشٍ الدّقيقةِ بالشِّعر وصَنْعَته.

نسوقُ قصّةً أخرى تؤكّدُ حضورَ اللّجنةِ العلميّةِ في تقْييم شعْرِ الشّعراءِ والحُكم على جودته ودرجتِه، يقول حمّاد الرّاويةُ كما ورد في الأغاني: " كانتِ العربُ تعرضُ أشعارَها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما ردّوهُ منها كان مردودًا"،

**تُطْلَقُ اللّجْنَةُ على جماعة مِنَ المتَخَصِّصين تُسندُ إليهم مُهمّةُ النَّظرِ في أمرٍ أوِ اتّخاذِ قرارٍ في مسألةٍ أو إبداءِ رأيٍ في قضيّة، ويُشترطُ فيها التّخصّصُ في الموضوعِ والعلْمُ به ولعلَّ التّراثَ الأدبيَّ العربيَّ يحفلُ بهذا النّوعِ مِنَ التّجمّعِ المتخصِّصِ الذي كان يحرصُ المُنضَوُون تحتَه على النّظرِ في الشِّعرِ اختيارًا وتصنيفًا وجمعًا ونقدًا.**



وفي هذا الصّدد تتحدّثُ الأخبارُ عن علقمةَ الفحلِ الذي زار مكّةَ مرّتين في عامين، وقد أنشدَ في العامِ الأوّل قصيدتَه التي مطلعُها:

هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُوْمُ ... أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ اليَوْمَ مَصْرُوْمُ

فقالوا: هذه سِمْطُ الدّهرِ، وفي العامِ الثّاني أنشد قصيدتَه التي مطلعُها:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

فقالوا: هاتان سمطَا الدّهرِ، ويطرحُ المتلقّي سؤالاً عنِ الجهة التي حكّمتِ القصيدتَين وحدّدت لقبَهما، وتحديدُ اللّقب لم يكن اعتباطيًّا بل كان خاضعًا لجملة مِنَ الضّوابط والمعاييرِ الفنّيةِ المتّفَقِ عليها، فالسّمطُ يحملُ دلالةَ العلوِّ والصّنعةِ الفنّيةِ والتّماسك، لكنّه أقلُّ في سلّم الجودةِ والجمالِ الفنّي مِنَ المعلّقة، وغالبُ الظّنّ أنَّ علقمةَ وفدَ على مكّةَ وفي نفسِه أن تكون قصيدتُه الأُولى مِنَ المعلّقات وهو المعاصرُ لامرئ القيس، ولمّا لم ينَلْ مَطمَعَه عاد محاولاً في العام الموالي، والظّاهرُ أنّه لم يعترضْ على رأي اللّجنة، ما يعني أنّه كان لها من قوّةِ الرّأي التي لا يملكُ الشّاعرُ أمامَها إلّا أن ينصاعَ دون جدالٍ، ولا تحدّثُنا الأخبارُ بأنَّ علقمةَ عاد مرّةً ثالثةً إلى مكّة ليعرضَ شعْرَه؛ لأنّه يعلمُ أنّه استنفدَ طاقتَه الشّعريّةَ في القصيدتَين واستفرَغَها، ولكلِّ شاعريّةٍ حدٌّ تصلُه ولا تتجاوزُه.

ما وقع لعلقمةَ يُشبهُ بشكْلٍ مِنَ الأشكالِ ما وقعَ للنّابغة في يثربَ، فقد أنشدَ شعْرَه، فتنبّهتِ الجماعةُ إلى ما فيه من إقواءٍ، وهو اختلافُ إعرابِ القَوافي، فلم يلتفتْ لرأيهم اعتدادًا وثقةً، إذْ تروي الأخبارُ أنّه كانَ مَهيبَ الجانبِ لشاعريّته، وكيف يلتفتُ وهو الحاكمُ بين شعراءِ العربيّةِ في عُكاظ؟، ولم يكن للقوم إلّا أنِ اتّجهوا إلى حلٍّ يُعفِيهم من إحراجه، إذِ انتدبُوا جاريةً تُغنّي شِعْرَه لكي تصلَ الرّسالةُ أوِ الملاحظةُ النّقديّةُ الدّقيقةُ التي تُنبّهُه إلى ما في قافيتِه من عوارٍ صوتيٍّ يُفسدُه، وقد تنبّهَ النّابغةُ إلى المسألةِ عندما سمع شعرَه مُنشَدًا وقال: دخلتُ المدينةَ وفي شعري شيءٌ، وخرجتُ منها وأنا أشعرُ النّاس، وغالبُ الظّنّ أنَّ لجنةً متخصِّصَةً في الشّعر وضوابطِه صحّحت له خطأَه، تشملُ معرفتُها

كلَّ ما يتعلّقُ بجمالياتِ الشّعرِ، خاصّةً الصّوتيّة.

حرصَ رُواةُ الشِّعر على نقلِ الأشعارِ وتدوينِها وبيانِ صحيحِها من منحولِها، يحرّكُهم في ذلك هاجسُ حفْظِ التّراثِ الشِّعريِّ مِنَ الضّياعِ والتّلفِ، وبذلُوا في ذلك الجهودَ الكبيرةَ التي لا تقوَى عليها المؤسّساتُ الضّخمةُ في عصرنا، وكان الرّهانُ حفْظَ الهُويّةِ العربيّةِ التي يُعدّ الشّعرُ أهمَّ مُكوِّنٍ في تشكيلِ ملامحِها.

لقد هبَّ العلماءُ والـرّواةُ فُرادى وجماعاتٍ لروايةِ الأشعارِ وحفْظِها عن طريقِ التّدوين، بل تجاوزُوا ذلك إلى تنْقيحِها وبيانِ المنحولِ منها من خلالِ نسبةِ كلِّ شِعرٍ لصاحبِه، وهي دقّةٌ نابعةٌ من إكبارِ هذا الفنِّ الذي يمثّلُ هُويّةِ الأمّةِ العربيّةِ ونَتاجِها الوجدانيِّ الذي يتجاوزُ كونَه تعبيرًا فنّيًا موقّعًا إلى كونِه دليلًا على وجودٍ حضاريٍّ عمادُه الكلمةُ.

في هذا الصّددِ نفترضُ أنَّ الرّواة، على اخـتـلافِ مشاربِهم، كانوا يتبادلُون الآراءَ في صحّةِ الأشعار، وفي تمامِها أو نقصِها، وهو ما جعلَ عملَهم جماعيًّا يندرجُ في إطارِ لجانٍ متخصّصةٍ تُدقّقُ في الأشعارِ لتحديدِ الصَّحيحِ منها، وقد كان جمْعُهم للشّعرِ إنجازًا عظيمًا حمَى تراثَ الأمّةِ العربيّةِ مِنَ الاندثار، وقد تفطّنُوا بخبرتِهم وبُعدِ نظرهِم إلى أنّ التّدوينَ أبعدُ في الحفظِ من حملِ الأشعارِ في الأذهان.

في السّياقِ نفسِه، كانتِ الجماعةُ المكلّفةُ بحمايةِ الشّعرِ أكثرَ حرصًا على وضعِ الضّوابطِ والسّننِ المُلزمةِ التي ينبغي للشّاعرِ أن يُخضعَ لها إبداعَه إن أراد لشِعرِه أن يحظَى بالقَبول ويُدرَجَ في بابِ الجودةِ، ولا شكَّ أنَّ ابتداعَ مُصطلحِ عمودِ الشّعرِ لم ينشأْ فجأةً أو نطقَ به فردٌ صُدفةً، بل كان نتاجَ سيْرورةٍ نقديّةٍ طويلةٍ تُشرفُ عليها لجانٌ متخصّصةٌ لها باعٌ في النّقدِ ومعرفةٌ بالشعرِ، وغايتُها تسييجُ الإبداعِ الشّعريِّ من أن تنالَه يدُ العابثين، وحمايةُ الهُويّةِ الجماليّةِ مِنَ التّشويهِ والانحراف.



**حرصَ رُواةُ الشِّعرِ على نقلِ الأشعارِ وتدوينِها وبيانِ صحيحِها من منحولِها، يحرّكُهم في ذلك هاجسُ حفْظِ التّراثِ الشِّعريِّ مِنَ الضّياعِ والتّلفِ، وبذلُوا في ذلك الجهودَ الكبيرةَ التي لا تقوَى عليها المؤسّساتُ الضّخمةُ في عصرنا.**

إنَّ أهمَّ سمةٍ يمكنُ أن تُوسمَ بها الثّقافةُ العربيّةُ القديمةُ أنّها ثقافةُ إجماعٍ، وهذا الإجماعُ لم ينشأْ مع الفقهِ والحديثِ، بل كانت له تجلّياتٌ وبوادرُ سابقةٌ على العصرِ الإسلاميِّ، أبرزُها كما أشرنا الاتّفاقُ الضّمنيّ على الشّروطِ التي تؤهّلُ القصيدةَ لتُدرجَ ضمْنَ نـادِي المعلّقاتِ، والإجماعُ على القِيمِ الفنّيّةِ المحقّقة للجودة، والشّروطِ المحقّقة للفُحولة، وما إلى ذلك من ضوابطَ يُشرفُ عليها أُناسٌ لهم تخصّصٌ بالمجالِ، ولآرائِهم القوّةُ الإلزاميّةُ، وهؤلاء كانوا يَنضوُون في لجانٍ يَحكمُها مبدأ الاتّفاقِ والإجماع.

لقد كان عملُ اللّجانِ الأدبيّةِ في التّراثِ العربيِّ أشبَهَ بالواجبِ الوجوديِّ الذي يكتسبُ خطورتَه من خطورةِ الشِّعر، وضرورةِ تدوينه وحفظِه وروايتِه وتسييجه جماليًا، إذ هو ديوانُ العربِ وخزانةُ الأدبِ ومعدنُ اللّغةِ وهُويّةُ الأمة، لهذا كان الحرصُ على وضعِ الضّوابطِ والقوانينِ التي تُسيّجُه وتَحميه وتَقِيه الاندثارَ أمرًا مُلحًّا يرتبطُ بوجودِ الأمّةِ الحضاريِّ.

# من قصص سوق عكاظ الأدبيّة

كان نابغة بني ذبيان حَكمًا في الشعر، وكانت تُضرب له قبّة من أدَم (من جلد، وقيل جلد أحمر) بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسّان بن ثابت وعنده الأعشى، وكان قد أنشد الأعشى شعره.

ثم حضرت الخنساء، فأنشدته قصيدتها التى مطلعها :

«قَذىً بِعَينِكِ أَم بِالعَينِ عُوّارُ
أَم ذَرَّفَت إِذ خَلَت مِن أَهلِها الدارُ»

حتى انتهت إلى قولها:

وَإِنَّ صَخرًا لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِهِ
كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ
وَإِنَّ صَخرًا لَمولانا وَسَيِّدُنا
وَإِنَّ صَخرًا إِذا نَشتو لَنَحّارُ

قال النابغة: لـــولا أن أبا بصيرٍ (يقصد الأعشى) أنشدني قبلكِ لقلت: إنّك أشعر الناس.

فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها.

قال النّابغة: حيث تقول ماذا؟

قال: حيث أقول:

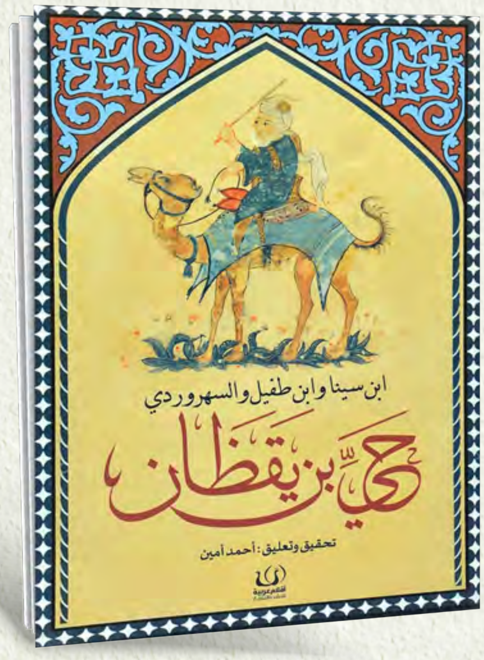
لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى
وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَما
وَلَدنا بَني العَنقاءِ وَابنَي مُحَرِّقٍ
فَأَكرِم بِنا خالًا وَأَكرِم بِنا اِبنَما

قال النابغة:

إنّك لشاعر لولا أنّك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.



# دُرَّةُ الأَدَبِ العَرَبِيِّ




## قصَّةُ حيّ بنِ يقظانَ وأهمُّ خصائصِها الفنِّيَّةِ

**قصَّةُ «حيُّ بنُ يقظانَ» إحدى كلاسيكيَّاتِ الأدبِ العربيِّ القديمِ الأكثرِ شُهرةً عالميًا، جمعَ فيها الأديبُ والفيلسُوفُ الأندلُسيُّ «أبُو بكر مُحمَّد بن طُفيل» (500 – 581هـ/ 1106 – 1185م) بين الفلسفةِ والأدبِ والدِّين والتَّربيةِ. إنَّ ما يُميّزُ هذه القصَّةَ هو الفرادةُ في اعتمادِ الفكرةِ، والابتكارُ في البناءِ الفنِّي، وأيضًا البراعةُ في المُعالجةِ، والفعَّاليَّةُ في الإيحاء. لقد عرضَ «ابنُ طُفيل» في هذه القصّةِ سيرةَ المعرفةِ الإنسانيَّةِ، عَبْرَ سِيرةِ ربيبِ ظَبْيةٍ دُعِيَ «حيّ بن يقظان»، وكيف تمكَّن بفطرتِه الفائقةِ منَ الارتقاءِ بالمعرفةِ منَ الحواسِّ والتَّجربةِ إلى المعرفةِ العقليَّةِ القائمةِ على نتائجَ ومُعطياتِ ما جرّبَه وخبَرَه في عالمَ الكونِ. ويُعدُّ «ابن طُفيل» أوَّلَ فيلسُوفٍ إسلاميٍّ صبَّ خُلاصةَ فلسفتِه كُلَّها في قالَبِ قصصيٍّ، وجعلَ بطلَ قصَّتِه شخصًا مُتوحِّدًا يُكوِّن نفسَه وأفكارَه بالاحتكاكِ بالطَّبيعةِ وبالكائناتِ التي هي أقلُّ منه درجاتٍ من جمادٍ ونباتٍ وحيوانٍ، إلى أنْ يصلَ لنُقطةِ الإدراكِ والاتّصالِ، فهذه القصَّةُ الرَّمزيَّةُ تُعدُّ بحقٍّ نوعًا منَ الفانتازيا العقليَّةِ التي قلَّدَها ونسجَ على مِنوالها كثيرُون من كُتَّاب الغربِ ومُفكِّريهم.**



وفيق صفوت مختار
كاتب وباحث - مصر

والقصَّةُ تُرجمت إلى لُغاتٍ أجنبيَّةٍ لم تعهدْها العربيَّةُ من قبلُ؛ حتَّى وصلتْ إلى أكثرَ من أربعين لُغةً حيَّةً حتَّى يومِنا هذا، لا يُنافسُها أيُّ عملٍ عربيٍّ آخرَ في ذلك إلَّا حكاياتُ «ألف ليلة وليلة».

وقد ظهرَ موضُوعُ «حيّ بن يقظان» في اللُّغة العربيَّة في عدّةِ قصصٍ، عند «أبُو علي الحُسين بن سينا» (370-427هـ /980 - 1037م) باسم «حيّ بن يقظان»، وعند «ابن طُفيل» بالعُنْوان نفسِه، ثُمَّ عند الصُّوفيّ «شهاب الدِّين أبو حفص عُمر السّهروردي» (539 - 632هـ) باسم «الغُربةُ الغريبةُ»، وأخيرًا عند العالم العربيِّ الكبيرِ «ابن النَّفيس» (607 - 687هـ / 1210 - 1288م) باسم «مُطلق ابن ناطق».

لكنِ اقترن اسمُها بـ«ابن طُفيل» دُون غيره؛ لأنَّه كان أبرعَ من وضع مادَّةَ الموضُوع في قالَبِها

الفنّي الجميلِ الجذّاب. كما أنَّ الأثرَ الإسلامـيَّ المتمثِّلَ في التَّعبيراتِ القُرآنيَّةِ والرَّوحِ الإسلاميَّةِ الصُّوفيَّةِ التي تملأُ القصَّةَ من بدايتِها إلى نهايتِها يَشِي بتفرُّدِها وتميُّزِها.

**مُلخَّصُ القصَّةِ:**

تتحدَّثُ القصَّةُ عن مُعاناةِ الطِّفلِ «حيّ بن يقظان» الرُّوحيَّةِ إثْرَ وفاةِ أُمِّه. حيث تخبرُنا القصّةُ أنَّ «حيّ» قد وُلد لأمٍّ هي شقيقةُ ملكِ إحدى الجُزرِ الهنديَّةِ، ومن أبٍ هُو قريبٌ لها اسمُهُ «يقظان»، كانت شقيقةُ الملِك قد تزوَّجته خُفْيةً عن شقيقِها الذي منعَها مِنَ الـزَّواجِ، وعندما وضعتِ المرأةُ طفْلَها خشيت من نقمةِ شقيقِها الملِك، فوضعتِ الطِّفلَ في تابُوتٍ وألقتْه في البحر، فحملتِ الأمواجُ التَّابُوتَ حتَّى ألقتْه على ساحلِ جزيرةٍ مُجاورةٍ هي جزيرةُ «الواقواق». نشأ «حيّ» في جزيرة «الواقواق» وهي جزيرةٌ مهجُورةٌ من جُزرِ الهندِ تحت خطِّ الاستواء، عاش مُنْعزلًا عنِ النَّاس، قامت بتربيتِه ظَبْيةٌ فأرضعتْهُ من لبنِها، وحين تدرّجَ في المشيِ أخذ يُحاكي أصواتَ الظِّباء ويُقلِّدُ أصواتَ الطُّيُورِ وأفعالَ الحيواناتِ بتقليدِ غرائزِها، ثُمَّ أخذَ يتدرَّجُ في مدارجِ المعرفة، فتعلَّمَ بنفسِه كيف يكفي حاجاتِه المادِّيّة، وكيف يستطيعُ أن يقومَ بتوفيرِ حاجاتِه الضَّروريَّةِ التي بها قوامُ حياتِه، من غذاءٍ وملبسٍ ومسكنٍ.

وحين كبُرَ «حيّ» وترعرعَ وأصبحَ ناضجًا اكتشفَ أنَّه مُرتبطٌ بالحيواناتِ







الأخرى لكنَّه يختلفُ عنها، فاستطاعَ بالملاحظةِ والفكرِ والتَّأمُّلِ أن يُبلورَ مذهبًا فلسفيًّا يُوضّحُ به حقائقَ الطَّبيعة، فأخذ يُلاحظُ البيئةَ الطَّبيعيّةَ ويكتشفُ قوانينَها وكيف تُحافظُ فيها الأشياءُ على بقائِها، وبهذا كانت له الفُرصةُ للتَّعرُّفِ على الخالقِ وهُو الله كمصدرٍ للوُجُودِ والمعرفة. في النِّهاية يلتقي «حيّ» بشخصٍ اسمُه «أبسال» قَدِم إلى الجزيرة ليبتعدَ عنِ النَّاس ويتفكّرَ في جوهرِ الخلقِ والدِّين، وبهذا اللِّقاء اسْتطاع «حيّ» الالتقاءَ بالحضارة والدِّين. ويُحاول «حيّ» نقْلَ فهمه العقلانيّ للأشياء إلى أهل جزيرةِ «أبسال»، لكنَّه يصطدمُ بالواقعِ وبتفكيرِ النَّاس البعيدِ عنِ الدِّين وعنِ الفهم الجوهريِّ للخلقِ فيعُود إلى جزيرتِه مع «أبسال» الذي صار تلميذًا له للتَّأمُّلِ والاسْتبصارِ في الحيّاة والطَّبيعة.

> **يعدُّ «ابـن طُـفيـل» أوّلَ فيلسُوفٍ إسلامـيٍّ صبَّ خُلاصةَ فلسفته كُلَّها في قالَبٍ قصصيٍّ، وجعلَ بطلَ قصَّتِه شخصًا مُتوحِّدًا يُـكـوِّن نفسَـه وأفـكـارَه بالاحتكاكِ بالطَّبيعة وبالكائناتِ التي هي أقلُّ منه درجـاتٍ من جمادٍ ونـبـاتٍ وحـيـوانٍ، إلـى أنْ يـصـلَ لنُقطة الإدراكِ والاتّصالِ.**

*** الخصائصُ الفنِّيَّةُ للقصَّة:**

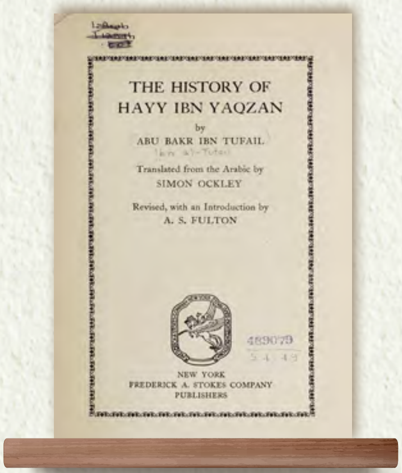
**أوّلًا: حَبْكة القصَّة:**

الحَبْكَةُ: مجمُوعةُ أحداثٍ (أفعالٍ) مُترابطةٍ يُنظِّمُها المُؤلِّفُ بوعيٍ انتقائيٍّ، فترتبطُ ارتباطًا وثيقًا بالجانبِ الدّراميّ في فُنُونِ السَّردِ (الملحمةُ، الرِّوايةُ، القصَّةُ، الحِكَايَةُ...) وفي فُنُونِ المسرحِ (المأساةُ، الملهاةُ، الأُوبرا، الأُوبريت..).

والحَبْكَة نوعانِ: صُورةُ البناء: وهي القصَّةُ ذاتُ الحَبْكَة المُفكَّكة، والصُّورة العُضويَّة: وهي القصَّةُ ذاتُ الحَبْكَة العُضويَّة المُتماسكة، وتقُوم على حوادثَ مُترابطةٍ، يرسُم القاصُّ فيها تصميمًا هيكليًّا واضحًا لقصَّته، ويُنظِّمُ الحوادثَ والشَّخصيَّاتِ بحيث يُـؤدِّي كُلٌّ منها دورَه في مكانه المُناسبِ، لتُؤدِّي كُلُّ الخُطوط إلى النِّهاية المرسُومة. وأبسطُ صُورةٍ لبناء الرِّواية هُو الَّذي يتكوَّنُ من ثلاث مراحلَ معرُوفةٍ حقَّقتها القصَّة كُلَّها، كالآتي:

**(أ)** المُقدِّمة: وهي المدخلُ الَّذي يُمهِّد للفكرةِ ويعرِّفُ بالحقائق اللَّازمةِ لفهم ما سيأتي فيما بعدُ، وهي تتضمَّنُ عناصرَ أساسيَّةً مثل الزَّمان والمكانِ والموضوع والمُشكلةِ التي يجبُ حلُّها، وشخصيَّةٍ أوِ اثنتين. وقد بدأ «ابن طُفيل» قصَّته راويًا رأيَين اثنين، عارضًا إيَّاهُما فيما يتعلَّقُ بتكوين بطلِ روايته، مُحيلاً الرِّوايتَين حينًا إلى «السَّلف الصَّالح»، والآخر الذي أحالَه إلى «الَّذين زعمُوا أنَّه تولَّد من الأرض...».

**(ب)** العقدة: تُطلقُ العقدةُ أو «ذُروة الحَبْكَة»، أو «أوجُ الحَبْكَة» على أقصى درجاتِ التَّأزُّم في عملٍ قصصيٍّ ما. وقد كانت بدايةُ العقدةِ في القصَّة هي اللَّحظةُ الفارقةُ الَّتي انبثق منها وعْيُه: عندما تموت أُمُّه الظَّبْيَةُ ويبدأُ الاكتشافُ: الموتُ، التَّشريحُ، آلاتُ الصَّيد... وُصُولاً إلى الإيمان. ولكنَّ هذا لا يعني أنَّه لم يسبقْ قبلَ موتها أن لاحظَ وجرَّبَ واكتشفَ واستنتج أمورًا كثيرةً قد يكوُن منها الطَّيرانُ، وقد لا يكوُن، فثمَّةَ إشارةٌ إلى أنَّه لبسَ لباسَ الطَّيرِ (ذَنَبٌ، جناحان) حتَّى هابتْه.




**(ج)** الحلُّ: يُشيرُ إلى النَّتيجة الختاميَّةِ للعمل الأدبيِّ. ويجبُ أنْ يُحقِّق الشُّرُوطَ الآتية: أنْ يكوُن: منطقيًّا، مُقنِعًا، غيرَ مُتكلَّفٍ. على أنَّ نهايةَ القصَّة أو إقفالَها أو إغلاقَها ليس دائمًا بمثابةِ إغلاقٍ للعمل؛ ففي الأعمال الحداثيَّةِ تُوجد نهاياتٌ مفتُوحةٌ open- ended، ولكنَّها أقلُّ منَ النِّهاياتِ التَّقليديَّة؛ لأنَّ القارئَ يُحبُّ الوُصُولَ - عادةً - إلى نتيجةٍ لا تَرْكَ الأُمور غيرَ مُنتهيةٍ. وقد كانت الخاتمةُ في القصَّة: العودةَ إلى الجزيرة مع "أبسال".

## ثانيًا: السَّردُ في القصَّة:

السَّردُ هُو: طريقةُ الكتابةِ، وهُناك أكثرُ من طريقةٍ استخدمها «ابن طُفيل» في سرد قصَّتِه، من أهمِّها:

**(أ)** السَّرد المُباشرُ: إذ كان الكاتبُ خارجَ أحداثِ القصَّة، يقومُ بعملِ المُؤرِّخِ الذي يجلسُ إلى مكتبه ليُؤرِّخ التَّاريخَ الظَّاهرَ لمجمُوعةٍ منَ الشَّخصيَّات، مُستخدِمًا ضمائرَ الغائب. وهُو الأكثرُ تداوُلاً بين السُّرّادِ والأيسرُ استقبالاً، مُحيلاً أخبارَ ولادةِ «حـيِّ بن يقظان» على «السَّلف الصَّالح»، مُتحدِّثًا عنِ البطل الرَّئيسِ وبقيَّةِ الأبطال، مُكتفيًا بأنْ يكوُن مُجرَّدَ راوٍ لها، فروى نظريَّتَين عن ولادةِ البطل، إحداهُما: «أنَّه ولد في جزيرةٍ من غير أمّ ولا أبٍ، وبها شجرٌ يُثمرُ نساءً»، وهي التي ذكر المسعوديُّ أنَّها جزيرةُ «الواقواق»، والأخرى: «كان بإزاءِ تلك الجزيرةِ جزيرةٌ عظيمةٌ متّسعةُ الأكنافِ كثيرةُ الفوائد عامرةٌ بالنَّاس، يملكُها رجُلٌ منهُم شديدُ الأَنَفة والغيرة، وكانت له أُختٌ ذاتُ جمال وحُسنٍ باهرٍ، فعضَلها ومنعَها الأزواجَ؛ إذ لم يجد لها كفؤًا...»، ويظلُّ إلى آخر القصَّة مُعتمدًا هذا السَّردَ، وإنْ زيَّنَه بالمُونُولُوج والاقتباسِ من غير استخدام الحوارِ المُباشر.

**(ب)** المُونُولُوج: هو حديثُ النَّفس للنَّفس، ويعني أن يتحدَّثَ أحدُ شخصيَّاتِ القصَّة لنفسه. والمُونُولُوج موجودٌ عادةً في مُعظم أنواعِ السَّرد. وقدِ استخدمه الكاتبُ في خلال سردِه ليطرحَ تساؤُلاتٍ تتطلَّبُ أجوبةً تقُودُه إلى المعرفة، فها هُو ذا - أثناءَ التَّشريح - قد جرَّد القلبَ فرآه مُصْمتًا من كُلِّ جهةٍ، فنظرَ هل يرى فيه آفةً ظاهرةً فلم يرَ فيه شيئًا! فشدَّ عليه يدَه فتبيَّن له أنَّ فيه تجويفًا فقال:

**تتحدَّثُ القصَّةُ عن مُعاناةِ الطِّفل «حيّ بن يقظان» الرُّوحيَّة إثْرَ وفاةِ أُمِّه. حيث تخبرُنا القصّة أنَّ «حيّ» قد وُلد لأمٍّ هي شقيقة ملك إحدى الجُزرِ الهنديَّة، ومن أب هو قريبٌ لها اسمُه «يقظان»، كانت شقيقة الملك قد تزوَّجته خُفْيةً عن شقيقِها الذي منعَها منَ الزَّواج.**

«لعلَّ مطلُوبي الأقصَى إنّما هُو في داخل هذا العُضو وأنا حتَّى الآن لم أصل إليه». وها هُو ذا يُخاطب نفسَه وقدِ اكتشف معرفةً ملمُوسةً كشفَها له غُرابٌ: و«قال في نفسِه: ما أحسنَ ما صنع هذا الغُرابُ في مواراةِ جيفةِ صاحبِه وإنْ كان قد أساءَ في قتله إيَّاه! وأنا كنتُ أحقَّ بالاهتداء إلى هذا الفعلِ بأُمِّي!». ويتساءلُ في مكانٍ آخرَ سُؤالاً أكثرَ عُمقًا مِنَ السُّؤالَين المحسُوسَين السَّابقَين: «إذا كان حادثًا، فلا بدَّ له من مُحدِثٍ، وهذا المُحدِث الذي أحَدَثَه لِمَ أحدثَه الآن ولم يُحدثْه من قبلِ ذلك؟ ألطارئٍ طرأ عليه – ولا شيءَ هناك غيرُه – أم لتغيُّرٍ حدثَ في ذاته؟ فإن كان، فما الذي أحدثَ ذلك التَّغيُّر؟...»، وهكذا نجدُ أنَّ المُونُولُوج يُتيحُ للقارئ قُربًا أكبرَ من شخصيَّةِ البطل، ومعرفةً بما يدُور في خَلَدِه.

(ج) الاقتباسُ: مَصْدَرُ اِقْتَبَس، وهُو تعديلُ أَثرٍ أدبيٍّ وبخاصّةِ الرِّواياتِ الموضُوعةِ أَصْلًا للقراءة لتُصبحَ صالحةً للمَسْرح أَو للسِّينما، (أو) تحويلُ فِكْرةٍ أدبيّةٍ إلى أَثرٍ مُوسيقيٍّ، (أو) نَقْلُ أَثرٍ أَجْنبيٍّ إلى لُغةٍ أُخْرى بعد إدْخَـالِ تَعْديلاتٍ على النَّصّ الأَصْليِّ، (أو) تَحْديثُ أَثَرٍ قديم، (أو) تَضْمينُ الكَلَام – نَثْرًا كان أَوْ نَظْمًا – شيئًا مِنَ القُرْآنِ أَوِ الحديثِ أو مِنْ مُصْطَلَح العُلُوم على وَجْهٍ غيرِ مَشْعُورٍ به. ويُفيدُ الاقتباسُ في (السَّرد) في دعم الأفكارِ التي يُوردها الكاتبُ، وللاقتباس أنواعٌ مُتعدِّدةٌ، نذكُرُ منها:

1 – الاقتباسُ المُباشَرُ: وهُو النَّقْلُ بشكلٍ حرفيٍّ مِنَ المصدر، عن طريق استخدام علامتَي الاقتباس مع الإشارةِ إلى صاحبِ النَّصّ الأصليّ، بوضع رقم بجانب النّص بعد علامة الاقتباس الثَّانية، وكتابةِ اسم المصدر أسفلَ الصَّفْحة أوْ في صفحة مُعيَّنةٍ خاصَّةٍ بالمُقتبسات. وهُنا نُلاحظُ اقتباسَ «ابن طُفيل» من آياتٍ قُرْآنيّةٍ مِنَ القُرْآن الكريم، أو من الأحاديث النَّبويَّة الشَّريفة.

2 – الاقتباسُ غيرُ المُباشر: وهُو الاقتباسُ الَّذي لا يُوجدُ فيه علاماتُ الاقتباس، إذ يكفي أن تقولَ كما فعلَ «ابن طُفيل» في بداية قصَّته: «ذكر سلفُنا الصَّالح – رضي الله عنهُم – أنّ...»، أو كما فعلَ حين اقتبسَ نظريَّةَ ولادةِ «حيّ بن يقظان» الثَّانية: «ومنهُم مَنْ أنكر ذلك وروى من أمرِه خبرًا نقصُّه عليك، فقال: إنَّه كان بإزاء تلك الجزيرة جزيرةٌ عظيمةٌ مُتَّسعةُ الأكنافِ كثيرةُ الفوائد عامرةٌ بالنَّاس». وكذلك قولُه: «تَبَرْهن في العُلُوم الطَّبيعيَّة أنَّه لا سببَ لتكوُّن الحرارةِ إلَّا الحركةُ، أو مُلاقاةُ الأجسام الحارَّة، والإضاءة. وتبيَّن فيها أيضًا أنَّ الشَّمْس بذاتِها غيرُ حارَّةٍ ولا مُتكيِّفةٍ بشيءٍ من هذه الكيفيَّاتِ المزاجيَّةِ، وقد تبيَّن فيها أيضًا أنَّ الأجسامَ التي تقبلُ الإضاءةَ أتمَّ القَبُول هي الأجسامُ الصَّقيلةُ غيرُ الشَّفَّافة، ويليها في قَبُول ذلك الأجسامُ الكثيفةُ غيرُ الصَّقيلة. فأمَّا الأجسامُ الشَّفافة التي لا شيءَ فيها مِنَ الكثافة، فلا تقبلُ الضَّوء بوجهٍ، وهذا وحدَه ممَّا برهنَه الشَّيْخُ أبو عليّ خاصَّةً، ولم يذكُرْه مَن تقدَّمَه». ومن إيجابيَّات هذا النَّوع من أنواع الاقتباسِ أنَّه يُساعدُ على الاستمراريَّةِ في القراءةِ.

### ثالثًا: أُسْلوبُ القصَّة ومُفْرداتُها:

الأُسْلوبُ في القصة: سهلٌ، بسيطٌ، مُعتدلٌ، جَزْلٌ في آن، مُنْسابُ اللُّغة، قريبٌ مِنَ القارئ، حتَّى يتميَّز «ابن طُفيل» عن بقيّةِ الفلاسفة في تمكُّنه من إيصالِ أفكارِه الفلسفيَّةِ في قالَبٍ لُغويٍّ يَفهمُه البُسطاءُ من غير تقعُّرٍ في الألفاظِ، وقد أخرجَ الفلسفةَ بأحسنِ ثوبٍ.

أمَّا مُفْرداتُه؛ فعربيَّةٌ، فصيحةٌ،

مَفْهومةٌ، مألُوفةٌ، سَهْلَةٌ، تدُلُّ على موضُوع القصَّةِ، والسَّببُ في السُّهولة والاعتدالِ أنَّ هدفَه منَ الأُسلوب و(الجملِ والمفرداتِ) هو إيصالُ الأفكارِ المُكثَّفةِ (علميًّا، إيمانيًّا، فلسفيًّا...) أكثرَ منَ الاستعراض اللُّغويِّ واستخدامِ المجاز أوِ التَّقعُّر اللُّغويِّ؛ نحو: «فوقع صوتُهُ في أُذن ظَبْيةٍ فُقد طَلاها [الطَّلا (ط ل و): ولدُ الظَّبْيَة ساعةَ تضعُهُ، (أو) الولدُ من ذوات الظِّلْفِ والخُفِّ، (أو) الصَّغيرُ من كلِّ شيءٍ، جمْعهُ: طَلْوان، أَطلاء]، خرج من كِناسِه [الكِناس (ك ن س): بيت الظَّبْيِ، وجمعُه: أكنِسَة وكُنُس] فحمله العُقابُ [العُقابُ (ع ق ب): طائرٌ من كواسر الطَّير، له منقارٌ قصيرٌ أعقفُ، قويُّ المخالبِ، حادُّ البصرِ، وفي المثَل: «أبصرُ من عُقابٍ» (للذّكَر والأنثى)، وجمعُه: عِقْبانُ وأَعْقُب، وجمعُ الجمعِ: عَقابين].

فلمَّا سمعتِ الصَّوتَ، ظنَّته ولدَها، فتتبَّعتِ الصَّوتَ وهي تتخيَّلُ طَلَاها حتَّى وصلت إلى التَّابوت [التَّابُوتُ: صُنْدُوق وُضع فيه الميت ليُدفَنَ، أو صُنْدُوق من خشبٍ يُوضعُ فيه المتَاع أو غيره، وجمعُه: توابيت]، ففحصت عنه بأظلافِها [الظِّلْفُ: ظُفُرُ كُلِّ ما اجترَّ، وجمعُه: ظُلوفٌ وأَظلافٌ] وهُو يُنْوِء [ناءَ (ن و أ)، ينوءُ: نهضَ بجُهْدٍ ومشقَّةٍ، (أو) سقطَ (من الأضداد)، ومصدره: نَـوْءًا وتَنْواءً]، ويئِن من داخله حتَّى طار عنِ التَّابُوت لوحٌ من أعلاهُ، فحنَّت [حَنَّتْ: مدَّتْ عُنُقَها شوقًا إلى ولدِها، ومصدره: حنينًا] الظَّبْيَةُ وَحَنَّتْ عليه ورئِمَتْ بِهِ [رئمَ (ر أ م)، يرأَمُ: الشَّيءَ: أحبَّهُ والِفَهُ، أنِسَ به، والمصدر: رأْمًا]، وألقَمَتْه [ألقَمَ (ل ق م) فُلانًا الطَّعامَ: أطعمَه إيَّاهُ بسرعةٍ، و(فلانًا حَجَرًا): أسكتَهُ عند المُخاصَمَة (مجاز)، والمصدر: إلقامًا] حَلَمَتَها وأرْوَته لبنًا سائغًا [السَّائغُ (س و غ) من الشَّرابِ: العَذْبُ]، وما زالت تتعهَّدُهُ وتُربِّيه وتَدْفَعُ عنه الأذى».

> **الأُسْلوبُ في القصة: سهلٌ، بسيطٌ، مُعتدلٌ، جَزْلٌ في آن، مُنْسابُ اللُّغة، قريبٌ منَ القارئ، حتَّى تميَّز «ابن طُفيل» عن بقيّةِ الفلاسفة في تمكُّنه من إيصالِ أفكارِه الفلسفيَّة في قالَب لُغويٍّ يَفهمُه البُسطاء.**

## رابعًا: الخيالُ في القصَّة:

الخيالُ: هُو القُدرةُ التي يستطيع العقلُ بها أنْ يُشكِّلَ صُورًا للأشياءِ أوِ الأشخاصِ أو يُشاهدَ الوُجُود من خلال حفْظِ ما يُدْرِكُهُ الحسُّ المُشترك من صُور المحسُوسات بعد غيبُوبة المادَّة، شرْطَ أنْ يُعطَى الحُرِّيَّةَ التي تشكّلُ عمادَه والتي بواسطتِها يُحلِّقُ في الزَّمان والمكان للوُصُول إلى حقائقَ لا يُمْكِنُ الوُصُول إليها عن طريق الحواسّ المُجرَّدة؛ فيُساعدُ على فهم وقائعِ التَّاريخ والفُنُون والآداب والعُلُوم واكتسابِ عناصرِ الثَّقافة الأُخرى، ويُساعدُ على الوُصُول إلى الإبداع الفنِّي والابتكارِ؛ لأنَّه يصلُ بين ماضي الطِّفل وحاضرِه ويمتدُّ إلى مُستقبله. ولعلَّ من أهمِّ أنواعِه ما يأتي:

1 - الخيالُ العلميُّ: حيث يُستخدمُ في القصصِ العلميَّةِ أوِ قصص الخيالِ العلميّ، ولعلَّنا نلحظُ في قصَّة «حيّ بن يقظان» ما قد يُذَكِّرُنا بمُحاولة طيرانِ «عبَّاس ابن فرناس»، لو لم يَشرح «ابن طفيل» أنَّ استخدامَ جناحَيِ النَّسر وذنبِهِ كان بهدف «السّتر والدِّفء والمهابة»: «صادفَ في الأيَّام نسرًا ميتًا، فهُدِيَ إلى نيلِ أملِه منه واغتنمَ الفُرصةَ فيه، إذ لم يرَ للوُحُوش عنه نفرة، فأقدمَ عليه وقطعَ جناحيْه وذنبَه صِحاحًا كما هي وفتحَ ريشَها وسوَّاها، وسلخَ عنه سائرَ جِلْده وفصلَه على قطعتَين، ربطَ إحْداهما على ظهرِه وأُخرى على سُرّته وما تحتَها وعلّق الذَّنبَ من خلفِه وعلّق الجناحين على عضُديه، فأكسبه ذلك سترًا ودفئًا ومهابةً في نُفُوس جميع الوُحُوش حتَّى كانت لا تنازُعه ولا تعارُضُه».

2 - خيالُ التَّأنيس: التَّأنيسُ هو إطلاقُ صفاتِ الإنسان على حيوانٍ ما أو جماد. فيُمكنُك أن تجعل حيوانًا أو جمادًا ما يتكلَّمان ويُفكِّران ويتصرَّفان كالإنسان. وفي القصَّة وُجد هذا الخيالُ من خلال تربيةِ الغزالة طفلاً بشريًّا وتعليمِه لُغتَها، إلى درجةٍ تبادلا فيها الكلامَ: «فما زال الطِّفلُ مع الظِّباء على تلك الحال، يحكي نغمتَها بصوْته حتَّى لا يكاد يُفرِّقُ بينهُما. وكذلك كان يحكِي جميعَ ما يسمعُه من أصواتِ

الطَّيْر وأنواعِ سائرِ الحيوان مُحاكاةً شديدةً لقوّةِ انفعاله لمّا يُريدُه. وأكثرُ ما كانت مُحاكاتُه لأصوات الظِّباء في الاستصراخِ والاستئلافِ والاستدعاءِ والاستدفاعِ؛ إذ للحيواناتِ في هذه الأحوال المُختلفةِ أصواتٌ مُختلفةٌ فألفَتْه الوُحُوشُ وألِفَها ولم تُنكرْه ولا أنكرَها».

3 – الخيالُ التَّقليديُّ: هُو المُستخدَم في القصصِ الشَّعْبيّةِ والتي تحتوي على أجواءِ سحْرٍ وجنٍّ وغيرِها. ونُلاحظُ هنا كيف ذكرَ «ابن طُفيل» إحدى نظريَّتيْ نُشُوءِ الطِّفل «حيّ بن يقظان» الخياليَّةِ، إذْ أحالَ مكانَ الرِّوايةِ (الأوَّل) جُغرافيًّا إلى مكانٍ غرائبيٍّ أُسطوريٍّ أوهمَ – أوْ حاولَ – من خلال وصْفِه القارئَ أنَّه حقيقيٌّ من خلال تأثيثِه بمُكوِّناتٍ طبيعيَّةٍ لتأكيد أصلِه الجُغرافيِّ، يقُول: «ذكر سلفُنا الصَّالح...»، ولكنَّ هذا لم يُقنعِ القارئَ بواقعيَّةِ حيِّزٍ، بل أكّدَ له أنَّها تدُورُ في عالَمٍ مُتخَيَّلٍ، أُسطوريٍّ، سواءٌ أكان الكاتبُ مُختبئًا منَ الرِّقابة الإيديولوجيَّةِ خلْفَ السَّردِ الرِّوائيِّ، أم قاصدًا إمتاعَ القارئِ بالخيالِ على نحوِ ما يفعلُ سُرَّادُ الرِّواياتِ والقصصِ جذْبًا لجُمْهُورهم.

**أهمّ المصادر والمراجع:**


1 – ابن طُفيل: حيّ بن يقظان، تقديم: فارُوق سعد، ط5، بيرُوت: دار الآفاق الجديدة، 2012م.

2 – عاطف العراقي: الميتافيزيقا في فلسفة ابن طُفيل، القاهرة: دار المعارف، ط5، 1992م.

3 – عبد الأمير شمس الدِّين: الفكر التَّربوي عند ابن طُفيل، ط2، بيرُوت: الشَّركة العالميَّة للكتاب، 1999م.

4 – عبد الحليم محمُود: فلسفة ابن طُفيل، ط2، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصريَّة، 2011م.

5 – عبد الرَّحمن بدوي: حيّ بن يقظان لابن طفيل، القاهرة: الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، 1995م.

6 – مُحمَّد علي أبو ريان: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، ط4، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعيَّة، 1980م.

7 – محمود أمين العالم: مدخل إلى قراءة حيّ بن يقظان لابن طُفيل، القاهرة: مجلَّة أدب ونقد، العدد: 106، يُونيه، 1994م.

8 – مُنى أحمد أبُو زيد: ابن طُفيل وقصَّة حيّ بن يقظان، القاهرة: مجلَّة أوراق فلسفيَّة، العدد: 29، 2010م.

9 – يوسف زيدان: حيّ بن يقظان، النُّصوص الأربعة ومُبدعُوها، ط2، القاهرة: دار الأمين، 1998م.


# حِـكَـمٌ وَآدَابٌ

## الْكَلَامُ بَيْـنَ الصَّـوَابِ وَالْهَـذْرِ



قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ صَلَاحٍ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ؛ إِذَا أَقْلَلْتَ مِنَ الْكَلَامِ أَكْثَرْتَ مِنَ الصَّوَابِ.

وَهَـذَا يَـدُلُّ عَلَى أَنَّ الْـكَلَامَ الْكَثِيرَ قَـدْ يُـعَـرِّضُ صَاحِبَهُ لِلْوُقُـوعِ فِي الْأَخْطَاءِ وَالـزَّلَّاتِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ الْمُقِلِّ مِنَ الْكَلَامِ.

وَقَالَ أَبُو عُثْمَانَ الْجَاحِظُ: لِلْكَلَامِ غَايَةٌ، وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ نِهَايَةٌ، وَمَا فَضَلَ عَـنْ مِقْـدَارِ الاحْتِمَالِ، وَدَعَـا إِلَـى الاسْـتِـثْقَالِ وَالْـمَلَالِ، فَذَلِكَ الْفَاضِلُ هُوَ الْهَذَرُ.

# مَشْهَدِيَّةُ الصَّحْرَاءِ فِي شِعْرِ عَبْدِ العَزِيزِ سُعُودِ البَابْطِين





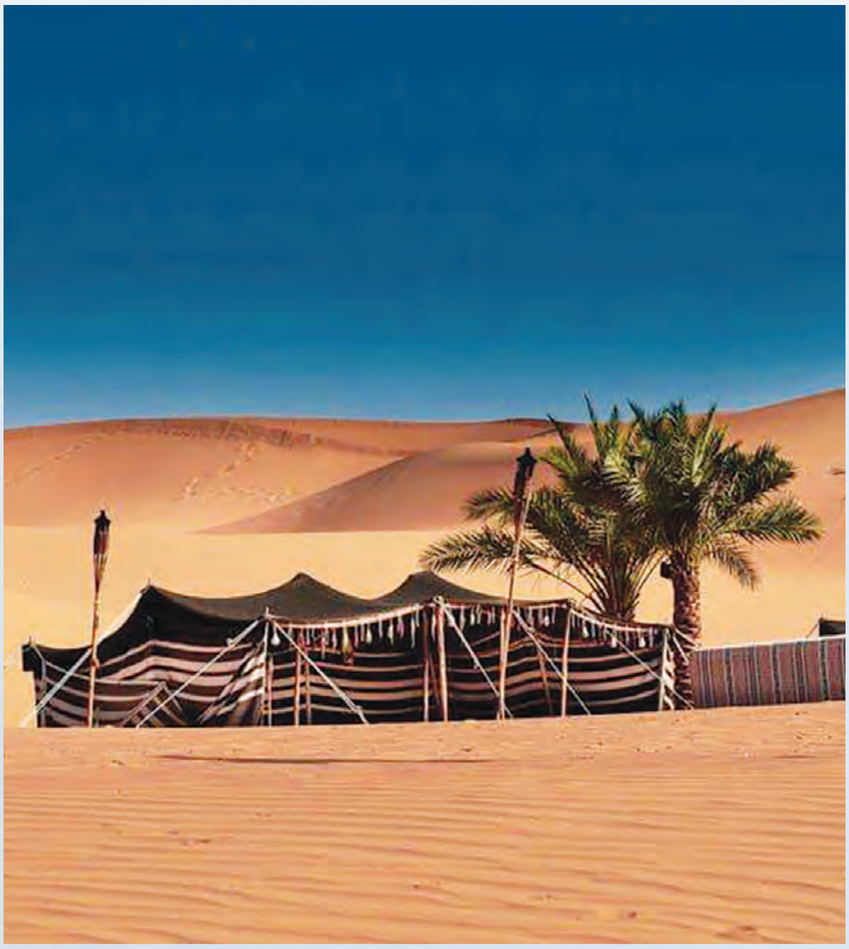


د. نصرالدين شردال
دكتوراه في الفُنونِ المَشهديّةِ والشِّعرِ الحديثِ والمعاصِر


**القَصيدَةُ العَمُوديَّةُ قَصيدَةٌ إنْشَاديَّةٌ إيقَاعيَّةٌ في المَقام الأولِ، لكنْ مع تطوُّرِ الحَياة والصّناعةِ ووسائلِ العيشِ والفنونِ البصريّة، فرضتْ عليها تطويرَ أدواتها؛ لأنَّ التّطوّرَ والتّجديدَ خاصّيةٌ متأصّلةٌ فيها، وليسَ منْ عَجزها، ومنْ علاماتِ هذا التّطوُّر إدخالُ التّصويرِ التّكنولوجيِّ والرّقميِّ في بنائها الفنيِّ، بعدَ أنْ كانَ تصويرًا مقصورًا على الصّورةِ البلاغيّة، هكذا دخلتْها الألوانُ والخطوطُ والرّسوماتُ والرّموزُ والأشكالُ والصّورُ الفوتوغرافيّةُ والسّينمائيّةُ، فغدتْ أبياتُها صورةً تتبعها صورةٌ، ومشهدًا يتَفتّقُ عنْ مَشهد.**

**وتتعدّدُ التّجاربُ والأسماءُ الشّعريةُ التّي امتدّتْ مجدّدةً لهذا النّمطِ الشّعريِّ، ولعلَّ الدّوحةَ الشّعريّةَ الكويتيّةَ الوارفةَ كانت في مقدّمةِ السّرايا الشِّعريّةِ العربيّةِ التي واصلت هذا التّجديدَ.**

وذلك ضمْنَ كوكبةٍ مضيئةٍ تتشكّلُ أساسًا من فهْد العسكر، ويعقوبَ الرّشيد، وأحمدَ العُدوانيِّ، وأحمدَ السّقّاف، وعبدِ الله زكريا الأنصاريِّ، وخليفةِ الوقيان، وفاضل خلَف، وسُعاد الصّباح... دون أن ننسَى الشّاعرَ عبد العزيز سعود البابطين نظرًا لِما راكمتْه تجربتُه الشّعريّةُ المتميّزةُ لِما يزيد عن أربعين سنةً منَ النّجاح المهمِّ في الكتابةِ والإبداعِ والتّواصلِ الثّقافيّ والبناءِ الحضاريّ. في هذا السّياقِ المتّسمِ بالتّعدّد والاختلافِ انفتحت هذه التّجاربُ الشّعريّةُ على كلِّ القضايا والمواضع، وكانتِ "الصّحراء عنوانًا ورمزًا لشعرِ شعراءِ الكويت، ورمزًا للصّبر والعشقِ والفراقِ" (1)، والأمرُ كذلك في قصائدِ شاعرِنا، حيث قالَها وكتبَها في صحارٍ



**القَصِيدَةُ العَمُودِيَّةُ قَصِيدَةٌ إنْشَادِيَّةٌ إيقَاعِيَّةٌ فِي المَقامِ الأولِ، لكنْ مع تطوُّرِ الحَياةِ والصّناعةِ ووسائلِ العيشِ والفنونِ البصريّةِ فرضتْ عليها تطويرَ أدواتِها؛ لأنَّ التّطوّرَ والتّجديدَ خاصّيةٌ متأصّلةٌ فيها، وليسَ منْ عَجزِهَا، ومنْ علاماتِ هذا التّطوُّرِ إدخالُ التّصويرِ التّكنولوجيِّ والرّقميِّ في بنائهَا الفنيِّ.**

عربيّةٍ ــ خلال رحلاتِ الصّيدِ والسّفرِ ــ بأسلوبٍ قوامُه الإبداعُ والتّجديدُ...

وقدِ استفادت تجربتُه الشّعريّةُ مِنَ الخبرات والتّقنياتِ وآلياتِ الكتابةِ المعاصرةِ، ومن بين هذه التّقنياتِ؛ تقنيةُ المشهدِ السّينمائيِّ، بحيث تحفلُ قصائدُه بمشاهدَ سينمائيّةٍ لحياتنا العربيّةِ في صعودِها واندحارِها... كما تعمدُ إلى المفارقةِ والتّصوير الشِّعريِّ المَشهديِّ ناقلةً اللّغةَ الشّعريّةَ إلى صورةٍ دراميّةٍ متحرّكةٍ في الزّمن الفزيائيِّ للنّصّ الشّعريِّ.

ولعلَّ المشهدَ الصّحراويَّ العربيَّ من بين أكثرِ المشاهدِ حضورًا في تجربتِه الشّعريّةِ على امتدادِها، ذلك أنّه أكثرُ ارتباطًا بالصّحراءِ العربيّةِ مِنَ المحيطِ إلى الخليجِ، وقد أكّدَ في أكثرَ من خطابٍ له على أهميّةِ الصّحراءِ في حياته: "الصّحراءُ والباديةُ والقفارُ جزءٌ لصيقٌ وهامٌّ داخلَ نفسِي وفي حياتي، فنفسِي تنطلقُ في الصّحراءِ إلى أقصَى مَداها، وتتفتّحُ رؤايَ فيها إلى أقصَى اتّساعِها، وأعتبرُها المكانُ الطبيعيُّ لروحي ونفسِي وأستنشقُ هواءَها بملءِ رِئتِي، وأرنُو إلى فضائِها وأُفقِها البعيدِ بمدَى اتّساعٍ بصريٍّ، فأجدُ فيها كلَّ ما تشتَهيه نفسِي من راحةٍ ومن سعادةٍ وهناءٍ"(2).

يرتبطُ المشهدُ السينمائيُّ في شِعْره بالصّحراءِ الكويتيّةِ والعربيّةِ الكبرَى ارتباطًا سينمائيًّا وسيميائيًّا دقيقًا، فتتعدّدُ معانيه، إذ يصوّرُ رموزَها وأنساقَها وكائناتِها (النّاقة، الصّقر، الذّئب، القبّرة، النّسر...) وغطاءَها النّباتيَّ (النّخلُ، الشّيح، الوردُ، الشّوكُ، العرعارُ، السّدرُ...) وتضاريسَها الجغرافيّةَ وطباعَ أهلِها، وعاداتِهم،

أعراسَهم، وولائمَهم، وممارستَهم اليوميّةَ من فلاحةٍ، وقنْصٍ، وصَيدٍ... ناقلاً الواقعَ الصّحراويَّ منَ الواقعيّةِ إلى اللّحظةِ التّخيليّةِ السّينمائيّةِ.

وقد تعلّقَ الشّاعرُ بها تعلُّقًا لا مثيلَ له، واتّخذها منزلاً دون القُصور، ومرتعًا خصبًا للصّيد، والحبّ، والأُنسِ، والحريّةِ، فهو يقصدُها هروبًا منَ الغُربة والسّأمِ بحثًا عنِ الأحبّة (بحرُ الرّمل):

«يَا صَدِيقِي حِينَ أَبْغِي قَنْصًا
أَطْرُدُ الظَّبْيَ وَصَقْرِي وَالذِّئَابَا
فَلِأُنْسِي جُرْحَ قَلْبِي وَالنَّوَى
وَهُمُومَ العِشْقِ تَكْوِينِي اغْتِرَابَا
فَأَنَا فِي البَرِّ نَفْسِي حُرَّةٌ
أُبْعِدُ الغُرْبَةَ عَنِّي وَالعَذَابَا
أُطْلِقُ الصَّقْرَ وَقَلْبِي خَلْفَهُ
طَائِرًا يَفْتَحُ لِي بِالأُفْقِ بَابَا
أَبْحَثُ اليَوْمَ وَأَمْسِي وَغَدًا
عَنْ حَبِيبٍ تَاهَ عَنْ عَيْنِي وَغَابَا
أُطْلِقُ الصَّقْرَ وَفِكْرِي شَارِدٌ
أَسْأَلُ الصَّقْرَ: تَرَى حُبِّي آبَا؟»(3)

ولمّا كانتِ السّينما والشِّعْر تشكيلاً جديدًا لعالَمٍ منَ المشاهدِ والمشاعرِ والأحداثِ والأفكارِ بالصّورة، بات منَ المُمكن «ملاحظةُ وجودِ (كاميرا) في الشِّعر تُوازي كاميرا السّينما؛ كاميرًا مُحرّكُها الشّاعر، وأداتُها اللّغةُ، وشاشتُها الصّفحةُ، ونهايةُ دَورانِها الصّورةُ»(4) وفي خِضمِّ هذا التّفاعلِ الجماليِّ "تتحوّلُ بعضُ الصّورِ أوِ اللّقطاتِ إلى مجازاتٍ واستعاراتٍ وكناياتٍ»(5)، كما تتحوّلُ بعضُ تلك الصُّوَرِ الشّعريّةِ إلى صُوَرٍ مشهديّةٍ تصويريّةٍ حيّةٍ داخلَ العملِ الشّعريِّ، وذلك هو الوجهُ الأمثلُ لهذا التّمازُجِ الفنّي، توضيحًا لذلك، لنتأمّلِ المقطعَ الشّعريَّ الآتي (بَحْرُ البَسيط):

> **لمّا كانت السّينما والشِّعر تشكيلاً جديدًا لعالمٍ منَ المشاهدِ والمشاعرِ والأحداثِ والأفكارِ بالصّورة، باتَ منَ المُمكن «ملاحظةُ وجودِ (كاميرا) في الشِّعر تُوازي كاميرا السّينما؛ كاميرًا مُحرّكُها الشّاعر، وأداتُها اللّغةُ، وشاشتُها الصّفحةُ، ونهايةُ دورانِها الصّورةُ»**

«سَلْ وَادِي الْحُبِّ وَاسْأَلْ وَرْدَةً فِيهِ
عَنِ اللِّقَاءِ الَّذِي لَوْ عَادَ يَرْوِيهِ
تَخْضَرُّ أَرْضٌ، وَيَزْهُو فِي جَوَانِبِهِ
شِيحٌ وَيَنْمُو الْخُزَامَى فِي رَوَابِيهِ
لُقْيَا تَحَدَّثَ عَنْهَا النَّجْمُ وَرَدَّدَهَا
لِلْقَادِمَاتِ مِنَ الأَيَّامِ فِي تِيهِ»(6).

يصوّرُ المقطعُ الشِّعريُّ أعلاه مشهدًا سينمائيًّا ناطقًا بالجمالِ العربيِّ الصّحراويِّ في فصلِ ربيعٍ جميلٍ بعد جذْبٍ طويلٍ، والمشهدُ مفتوحٌ على الصّحراء، له إطارٌ محدّدٌ هو وادي الحبّ، ويتجزّأ إلى مجموعةٍ من الصُّوَر "المينميّة" والقريبةِ والبعيدةِ القائمةِ على الحركةِ (وادي الحبّ، وردةٌ، أرضٌ خضراء، شيحٌ، خُزامَى، نجْمٌ...) والمشهدُ في تسلسلِه وتحوُّلاتِه أكثرُ ارتباطًا بالتّجربةِ الشّعريّةِ في شموليتِها، إذ يسترجعُ ذكرياتٍ عاطفيّةً زاهرةً من زمنِ الشّبابِ.

أمّا المقطعُ الشِّعريُّ الآتي، فيصوّرُ مشاهدَ منَ الصّحراءِ العربيّةِ في بهائِها السّاحرِ وعلاقتِها بالذّاتِ والجماعةِ والطّبيعةِ (بَحْرُ البَسيط):

«هَذَا الْوُجُودُ وَذَاكَ الأُنْسُ وَالطَّرَبُ
وَرَنَّةُ الْعُودِ وَالْمِزْمَارُ يَنْتَحِبُ
وَرَشْفَةُ الْوِرْدِ بِالأَسْحَارِ تَرْمُقُنِي
وَنَفْحَةُ الطِّيبِ بِالأَنْفَاسِ تَصْطَخِبُ
وَغِنْوَةُ الطَّيْرِ فِي الآفَاقِ صَادِحَةً
نَادَتْ عَلَى الْبُعْدِ إِلْفًا شَفَّهُ النَّصَبُ
وَصَبْوَةُ الشِّعْرِ صَاغُوهَا وَفِي شَغَفٍ
كِبَارُ قَوْمِي، وَقَدْ مَرَّتْ بِهِمْ حِقَبُ
وَرَسْمَةُ الكَوْنِ خَطَّتْهَا بِرِيشَتِهَا
يَدُ العَذَارَى، وَفَيْضُ الحُبِّ يَنْسَكِبُ
فِيهَا السَّمَاءُ صَفَاءُ الصَّفْوِ زِينَتُهَا
فِيهَا البَوَادِي بِلَوْنِ العِشْقِ تَخْتَضِبُ
فِيهَا الْعَصَافِيرُ فَرْحُ اللَّهْوِ أَنْطَقَهَا
وَفِي الجَوَانِحِ مِنْهَا حَلَقُ اللَّعِبِ»(7).

> **تتكوّنُ القصيدةُ «البابطينيّةُ» من مجموعةٍ منَ الصّور السّينمائيّةِ التي تقدّمُ «مشهدًا بصريًا وسمعيًا بلُغةٍ مرئيّةٍ، تستعينُ بمعطياتِ الصّورةِ السّينمائيّةِ من ديكورٍ، وإكسسوارٍ، وإضاءةٍ، وعتَمةٍ، وظلٍّ، ولونٍ، وحركةٍ، وكادرٍ**

تتكوّنُ القصيدةُ «البابطينيّةُ» من مجموعةٍ منَ الصّور السّينمائيّةِ التي تقدّمُ «مشهدًا بصريًا وسمعيًا بلُغةٍ مرئيّةٍ، تستعينُ بمعطياتِ الصّورةِ السّينمائيّةِ من ديكورٍ، وإكسسوارٍ، وإضاءةٍ، وعتَمةٍ، وظلٍّ، ولونٍ، وحركةٍ، وكادرٍ... وما يقترنُ بها من عناصرَ صوتيّةٍ وسمعيّةٍ، ويتمُّ ذلك عبرَ تجوالِ الكاميرا الشّعريّةِ في الفضاءِ الموصوفِ، وتصويرِه من زوايا مختلفةٍ، مُتتبّعةً أجزاءَه، مُستقصيةً كلَّ محتوياتِه للإلمامِ بجميعِ عناصرِه»(8). هذه المشاهدُ المرئيّةُ والمسموعةُ، يُفضي كلُّ واحدٍ منها بعلاقةٍ إلى الآخر، فينتجُ من تعالُقِها وتداخُلِها وتعاقُبِها قصّةٌ أو حكايةٌ»(9)، ومثلما نجدُ في كثيرٍ منَ القصائدِ الشّعريّةِ، وتكادُ تكونُ معظمُ قصائدِ الشّاعرِ حكاياتٍ شعريّةً تتحرّكُ شخصيّاتُها في فضاءِ الصّحراء، مدفوعةً بالحبّ والرّغبةِ في التّواصُل والبناء.

يقودُنا الشّاعرُ عبرَ التّخييلِ الشّعريِّ السّينمائيِّ إلى تمثّلٍ ذهنيٍّ لمشهدِ رحلةٍ صحراويّةٍ، اجتمع فيها رموزُ الحبّ والشِّعر الصّحراويِّ العربيِّ القديم، هكذا يتحوّلُ السّفرُ في الصّحراء، إلى سفرٍ في الذّاكرةِ الشّعريّةِ، وما حفلت به من صبابةٍ وبطولاتٍ حفظتْها الأجيالُ... ومن خلال هذا العرضِ التّفصيليِّ ينتقلُ بنا الشّاعرُ منَ المشافهةِ الغنائيّةِ إلى الكتابةِ البصريّةِ، فالمشاهدةِ السّينمائيّةِ، هذا ما نجدُه في المقطعِ الشّعريِّ الآتي (بَحْرُ الطّويل):

**«وَنَمْرَحُ فِي رَحْبِ الْفَضَاءِ تَهُزُّهُ**
**مَسَرَّاتُنَا فَأَنْحَازُ لِلْأَرْضِ لَاهِيَا**
**وَسَارَتْ قَوَافِي الشِّعْرِ خَلْفَ رِكَابِنَا**
**لِتَحْدُو بِنَا حَتَّى عَشِقْنَا الْقَوَافِيَا**
**وَكَانَ قَرِينُ الرَّكْبِ «عَمْرٌ» وَ«عِزَّةٌ»**
**وَ«قَيْسٌ» وَ«لَيْلَى» يَنْشُدُونَ الْأَغَانِيَا**
**يَزُفُّونَ عُرْسًا قَدْ سَمَا بِعُرُوسِهِ**
**رُؤَاهُ بِمَغْنَى السُّهَا بَزَّتْ الْمَغَانِيَا»**(10)

لقد تحوّلتِ الصّحراءُ في شِعرِ البابطِين إلى فضاءٍ للعرضِ المسرحيِّ والتّصويرِ السّينمائيِّ ومجالًا خصبًا للمرحِ والسّفرِ والسّمر رغمَ صعوبتِها وأهوالِها، أمّا المقطعُ الآتي (بَحْرُ الوَافِر):

**«نَكَأْتَ الْجُرْحَ يَا زَمَنِي (بِوَصْلٍ)**
**كَوَمْضِ الْبَرْقِ أَسْرَعَ فِي فَلَاةٍ**
**طَوَاهَا الْمَحْلُ أَعْوَامًا عِجَافًا**
**فَجَاءَ الْوَمْضُ بُشْرَى لِلْحَيَاةِ»**(11).

يتوزّعُ المشهدُ بين لفظتَين زمنيتَيْن متقابلَتين بين الإضاءةِ والتّعتيم، النّهارِ (اتّضاحُ الرّؤية) اللّيلِ (النّجمُ، التّيهُ) والسّماءِ (الومضُ، البرقُ)، الأرضِ (الفلاةُ)، الموتِ (الجرحُ، الجفافُ، الطّوى) الحياةِ (الومضُ، البُشرى).

وكما يصوّرُ أرضَ الصّحراءِ بعناصرِها ومكوّناتِها، يصوّرُ سماءَها، عاكسًا عدسةَ الكاميرا الشّعريّةَ نحو الأعلى، حيث القَطا يثورُ ويملأُ الأُفقَ صياحًا (بَحْرُ الرّمل):

**«اذْكُرِينِي كُلَّمَا ثَارَ الْقَطَا**
**يَمْلَأُ الْأُفْقَ صِيَاحًا وَنَحِيبْ**
**يَذْرَعُ الْكَوْنَ وَقَدْ حَثَّ الْخُطَى**
**تَائِهًا يَبْحَثُ عَنْ مَغْنَى الْحَبِيبْ»**(12)

نجدُ في المقطعِ الآتي تصويرًا دقيقًا لسماءِ البوادِي الصّحراويّةِ خاصّةً في مساءاتِ الصّيف (بَحْرُ البَسِيط):

**وَرَسْمَةُ الْكَوْنِ خَطَّتْهَا بِرِيشَتِهَا**
**يَدُ الْعَذَارَى، وَفَيْضُ الْحُبِّ يَنْسَكِبُ**
**فِيهَا السَّمَاءُ صَفَاءُ الصَّفْوِ زِينَتُهَا**

فِيهَا الْبَوَادِي بِلَوْنِ الْعِشْقِ تَخْتَضِبُ
فِيهَا الْعَصَافِيرُ فَرْحُ اللَّهْوِ أَنْطَقَهَا
وَفِي الْجَوَانِحِ مِنْهَا حَلَّقَ اللَّعِبُ» (13)

شعرُ البابطين في مُجملِه شعرُ رؤيةٍ وتأمّلٍ، وهي رؤيةُ الشّموخ والسّموِّ والرّفعة، هذه الرّؤيةُ التّأمّليّةُ جعلت شعرَه يتّزنُ بالحكمةِ والتّبصّرِ، لذا فهو يُكثرُ منَ الرّموزِ الشّامخةِ التي ترتبطُ بالبيئةِ الصّحراويّة: الجبالِ، الكثبانِ، الرّوابي، السّحابِ، النّخيلِ، الصّقرِ... وللصّقرِ حضورٌ قويٌّ ومهمٌّ في شعره، تتعدّدُ أساليبُ توظيفهِ وتتناسلُ دلالتُه، غيرَ أنّ أهمَّ ما يتعلّقُ بعوالمِه، هو تقنيةُ «عينُ الصّقر»، وهي «لقطةٌ عامّةٌ مِن ارتفاعٍ كبيرٍ، كأنّها نظرةٌ يُلقيها طائرٌ يحلّقُ في الفضاءِ، ويُشرفُ على ما تحتَه من كائناتٍ» (14)، وهذه التّقنيةُ مكّنتْه منَ النّفاذِ إلى جوهرِ الفيافي والبوادي والأمكنةِ والأشياءِ، والكشفِ عن مكوّناتِها الرّمزيّةِ، وقد بلْوَرَها بشكلٍ أجملَ في أكثرَ من قصيدةٍ، ومن نماذجِ هذه التّقنيةِ نمثّلُ بالمقطعِ الآتي (بَحْرُ الوَافِرُ):

> **شعرُ البابطين في مُجملِه شعرُ رؤيةٍ وتأمّلٍ، وهي رؤيةُ الشّموخ والسّموِّ والرّفعة، هذه الرّؤيةُ التّأمّليّةُ جعلت شعرَه يتّزنُ بالحكمةِ والتّبصّرِ، لذا فهو يُكثرُ منَ الرّموزِ الشّامخةِ التي ترتبطُ بالبيئةِ الصّحراويّة: الجبالِ، الكثبانِ، الرّوابي**

«صَبَاحُ الْخَيرِ يَا صَقْرَ الْفَيَافِي
وَمَـنْ كُـلُّ الـقُـلُـوبِ لَـهُ قَـرَارُ
إِلَـيكَ تَحِيَّتِي مَا حَـنَّ «قَـيْـسٌ»
إِلَـى «لَـيْلَاهُ» واشْـتَـاقَتْ «نُـوارُ»
مَـتَـى مَـا ضَـمَّـنَـا لِـلـشِّـعْـرِ دَوْحٌ
فَـإِنَّـكَ فِـي ذُرَا الـدَّوْحِ الْـهَـزَارُ
تُـعَـلِّـمُ كُـلَّ طَـيْـرٍ كَـيْـفَ يَـشْـدُو
فَيَبْدُو لِلْجَوَى مِنَّا اسْتِعَارُ» (15)

ولما كان الصّقرُ سيّدَ سماءِ الصّحراء، يحرسُها ويرقبُها من فوق، فإنَّ الشّاعرَ يستعينُ بعينِه الثّاقبةِ في مسحِ كُثبانِها ومكوّناتِها، سواء كانت بعيدةً أو قريبةً، فيعدّلُ من زوايا النّظرِ، ويقرّبُ اللّقطاتِ المتسلسلةَ ويوظّفُها، يُكبِّرُ ويصغِّرُ ويفتّتُ جُزئياتِ الصّورةِ وعناصرِها من أجل بناءِ مشهدٍ سينمائيٍّ متكاملٍ.

وقد ساهمت هذه التّقنيةُ في تقريبِ المشهدِ الصّحراويِّ، والإحاطةِ به من كلِّ الجوانبِ والتّفصيلِ في جُزئياتِه، وإرفادِ القصيدةِ العمُوديّةِ بطابَعِ

---

(1)عبد العزيز جمعة، عبد العزيز سعود البابطين، بطاقة تعريفية، نقلا عن مختار مجاهد، قراءة فنية في قصائد عبد العزيز سعود البابطين، دراسة وتحليل ديواني البابطين، تعريب وتقديم، سمير أرشدي، منشورات المبدأ، الكويت، ط1، س 2014، ص: 4.

(2) عبد العزيز سعود البابطين، مسافر في القفار (ديوان شعر)، منشورات مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط4، مقدمة الديوان، ص: 3.

(3)عبد العزيز سعود البابطين، بوح البوادي (ديوان شعر) منشورات مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط4، الكويت، س2014م، قصيدة "الوفاء الخالد"، ص: 3.

(4)وائل عيسى، التكوين السينمائي للصورة الشعرية، مجلة أفكار (وزارة الثقافة الأردنية) عدد 361، شهر شباط، س 2019، ص: 33.

(5) محمد آيت ميهوب، التداخل بين الخطاب الشعري والخطاب السينمائي في نماذج من الشعر العربي، مجلة أفكار (وزارة الثقافة الأردنية) عدد 361، شهر شباط، س 2019، ص: 22. ص: 22.

(6)عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، قصيدة «حنين»، ص: 15.

(7) عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، قصيدة «هديتي لها»، ص: 55.

**تقترنُ الصّحراءُ برموزٍ متعدّدةٍ أهمّها الكويتُ في مقاومتِها وشموخِها، مــذكّـــرًا بـأمـجـادِهـا وأعـراسِـهـا وأعـيـادِهـا، وسعْيِها الحثيثِ لتداركِ الصّعابِ ومآسي الماضي، واسـتـشـرافِ المستقبلِ بحبٍّ وتفاؤلٍ**

تقترنُ الصّحراءُ برموزٍ متعدّدةٍ أهمّها الكويتُ في مقاومتِها وشموخِها، مـذكّـرًا بأمجادِها وأعراسِها وأعيادِها، وسعْيِها الحثيثِ لتداركِ الصّعابِ ومآسي الماضي، واستشرافِ المستقبلِ بحبٍّ وتفاؤلٍ (بَحْرُ الطّويل):

«سَقَى اللهُ أَيَامَ الْوِصَالِ بِمُزْنَةٍ هَطُولٍ فَتَحْيَا بَعْدَ جَذْبٍ مَرَاتِعُهْ
فَتُزْهِرُ نَـوَّارًا وَتُنْبِتُ بُرْعُمًا وَتُحْيِي لَنَا حُبًّا أُبِيدَتْ مَوَاضِعُهْ
وَنَنْسَى عَذُولًا أَنْهَكَ الْوُدُّ سَعْيَهُ وَنُبْعِدُ شَيْطَانًا غَزَتْنَا نَوَازِعُهْ
وَيَجْلُو كِلَانَا هَمَّ دَهْرٍ فَقَدْ دَنَا سُرُورٌ فَقَدْنَاهُ فَبَانَتْ طَلَائِعُهْ»(16)

ترتبطُ الصّحراءُ العربيّةُ في شعر البابطين بالسّقي، والزّهرِ، والخيرِ، والحياةِ أكثرَ ممّا ترتبطُ بالجفافِ والفقرِ، وهذه دعوةٌ واضحةٌ وصريحةٌ إلى إعـادة إعمارِها وإصلاحِها والعنايةِ بمؤهّلاتِها الطّبيعيّةِ المتنوّعةِ، والسّعيِ إلى استرجاع المشاهدِ الهاربةِ منَ الذّاكرةِ العربيّةِ والسّهرِ على امتدادِ أنساغِها في الممارسةِ العربيّةِ الرّاهنةِ، وهذا يبدو في «عمقِه يقظةً شعريّةً جديدةً لنظريةِ «البداوةُ الشّعريّةُ الحضريّةُ»، أو «البداوةُ الشّعريّةُ الجديدةُ»(17)، ومُجملُ شِعْرِه يؤكّدُ ذلك.

إنّ القصيدةَ العموديّةَ التّقليديّةَ عند شاعرنا ممارسةٌ حَداثيّةٌ إحيائيّةٌ مُنشرحةٌ، غايتُها بعثُ النّماذجِ الرّاقيةِ منَ الشِّعرِ العربيِّ الرّصينِ والاحتذاءِ بها شكلًا ومضمونًا، وكذا تجديدُ روحِ البلاغةِ الشّعريّةِ وتطويرُها، واستنباتُ الصّحراءِ العربيّةِ بعد جذبِها وهجرِها، وتُنبتُ براعمَ حياةٍ جديدةٍ، لتُنبتَ حبًّا وقِيمًا إنسانيّةً وكونيّةً مشتركةً.

الحركةِ التّصويريّةِ، وكأنّنا أمامَ مشهدٍ من فيلمٍ وثائقيٍّ خاصٍّ بالحياةِ البريّةِ.

---

(8)أميمة عبد السلام الرواشدة، المشهد السينمائي في الشعر العربي المعاصر، مجلة أفكار (وزارة الثقافة الأردنية) عدد 36، شباط 2019، ص: 16.

(9)أميمة عبد السلام الرواشدة، التصوير المشهدي في الشعر العربي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، (سلسلة دراسات) ط1، س 2015، ص: 318.

(10) عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، قصيدة «وفاء»، ص: 47.

(11)عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، قصيدة: «نكأت الجرح»، ص: 24.

(12) عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، قصيدة «حنين»، ص: 15.

(13)عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، ص: 55.

(14)أميمة عبد السلام الرواشدة، التصوير المشهدي في الشعر العربي المعاصر، ص: 254.

(15)عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، ص: 35.

(16)عبد العزيز سعود البابطين، مصدر سابق، قصيدة «أيام الوصال»، ص: 31.

(17)محمد الدناي، «بوح البوادي» نحو يقظة أخرى للقصيدة البدوية الحضرية، ندوة تكريمية للشاعر الشيخ عبد العزيز سعود البابطين، مرجع سابق، ص: 172.

# أُلْفَةُ المَكَانِ وخُصُوصِيَّاتُهُ الجَمَالِيَّةُ في رِوَايَةِ

# «مالكٌ الحزينُ» لإبراهيم أصْلان






د. محمد فاتي
معلّم ـ المغرب

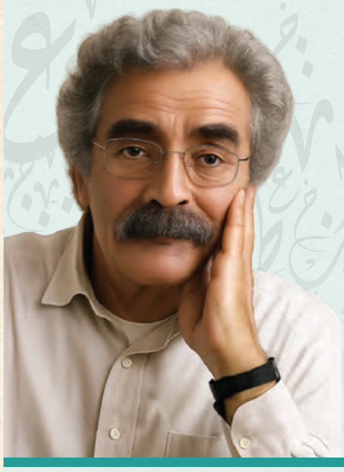
**للمكانِ أهمّيةٌ أساسيّةٌ في العملِ الرّوائيّ والأدبيّ بصفةٍ عامّةٍ، فهو العمودُ الفقريُّ الذي يُوحّدُ أجزاءَ الرّوايةِ ويربطُ كلَّ عناصرِها الأخرى، باعتبارِه الوعاءَ الذي يتحمّلُ ضغْطَ كلِّ الأحداثِ، ولكونِه المجالَ الذي يُخْضِعُ كلَّ الشّخصيّاتِ لتصميمِه، فتتفاعلُ فيما بينها انطلاقًا منَ الأرضيّةِ الخصبةِ التي يُوفّرُها الفضاءُ. ففي المكانِ تنشأُ الشّخصيّاتُ وتتحرّكُ مُسهمةً في خلقِ ديناميّةٍ سرديّةٍ، معزّزةٍ بضغطِ الأحداثِ الحِكائيّةِ التي تتصاعدُ نحو الذّروةِ والتّعقيد، ولا تتشكّلُ عناصرُ المكان إلّا «باختراقِ الأبطالِ له... من خلال الأحداثِ التي يقومُ بها الأبطالُ ومن المُميّزات التي تخصُّهم»(1). إذًا فالمكانُ لا يعيشُ منعزلًا عن باقي المكوّناتِ السّرديّةِ، بل إنَّ ترابُطَه بتلك المكوّناتِ شرطٌ ضروريٌّ لبناءِ العوالمِ الإبداعيّةِ للنّصّ الرّوائيّ، لكونِه يدخلُ في علاقاتٍ متعدّدةٍ مع العناصرِ الأخرى: الأحداثِ ـ الشّخصيّاتِ ـ الزّمانِ ... ومن هنا يمكنُ القولُ إنَّ دورَه مركزيٌّ في الرّوايةِ، «فهو يتّخذُ أشكالًا ويتضمّنُ معانيَ عديدةً بل إنّه قد يكونُ، في بعض الأحيان، هو الهدفَ من وجود العملِ كلِّه» (2).**

والمكانُ الرّوائيُّ لا يتطابقُ بالضّرورةِ مع المكانِ الواقعيِّ؛ لأنّ الرّوائيَّ يبنِي عالمَه التّخْييليَّ انطلاقًا من تحويلٍ ضمنيٍّ للمكانِ من عوالمِه المرجعيّةِ إلى إطارٍ تخْييليٍّ إبداعيٍّ، يَستقي خصوصيّاتِه منَ الرّؤيةِ الفنّيةِ، ومنَ اللّغة باعتبارِها الوسيطَ الرّئيسيَّ في عملية النّقلِ هاته. وفي هذا الصّددِ يقول (ميشال بوتور): "إنَّ قراءةَ الرّوايةِ رحلةٌ في عالم مختلفٍ عنِ العالَم الذي يعيشُ فيه القارئُ، فمنَ اللّحظةِ الأولى التي يفتتحُ فيها القارئُ الكتابَ ينتقلُ إلى عالمٍ خياليٍّ من صُنع كلماتِ الرّوائيّ. ويقعُ هذا العالمُ في مناطقَ مغايرةٍ للواقعِ المكانيِّ المباشرِ الذي يُوجَدُ فيه القارئُ"(3). فهو مرتبطٌ بطبيعةِ الأحاسيسِ والمشاعرِ والتّصوّراتِ النّفسيّةِ والاجتماعيّةِ والرُّؤى الفكريّةِ والفنّيةِ الخاصّةِ بالمُبدع؛ لأنّ "المكان الذي ينجذبُ نحوه الخيالُ لا يمكنُ أن يبقى مكانًا لا مُباليًا، ذا أبعادٍ هندسيّةٍ وحسبُ. فهو مكانٌ قد عاش فيه بشرٌ ليس بشكلٍ موضوعيٍّ فقط، بل بكلِّ ما في الخيالِ من تحيُّزٍ، إنّنا ننجذبُ

إليه؛ لأنّه يكثّفُ الوجودَ في حدودٍ تتّسمُ بالحمايةِ"(4).

وتمثّلُ اللّغةُ الوسيلةَ الأساسيّةَ في هذا النّسيجِ الفنّي للفضاءِ، لكونِها تعملُ على تحويلِ الواقعِ العينيِّ إلى واقعٍ إبداعيٍّ تخْييليٍّ مجسَّدٍ من خلال ترميزٍ لسانيٍّ تعبيريٍّ، لهذا فالمكانُ "لا يوجدُ إلّا من خلال اللّغةِ، يُعطيه النّصُّ مميّزاته الخاصّةَ وأبعادَه التي تحدّدُه"(5). وعن طريق البَوْحِ الأسلوبيِّ والصّياغةِ الأدبيّةِ يتحوّلُ الهاجسُ المكانيُّ من مصدرِه المرجعيِّ الحقيقيِّ، إلى إطارٍ إبداعيٍّ تخييليٍّ يشارك باقيَ المقوّماتِ الأخرى في خلْقِ الجمالِ الفنّي للنّصّ الرّوائيِّ؛ لأنَّ هذا الأخيرَ "يخلقُ عن طريقِ الكلمات مكانًا خياليًّا له مقوّماتُه الخاصّةُ وأبعادُه المميّزةُ"(6).

وتتجلّى أهمّيةُ المكانِ في وظائفه الجماليّةِ المتعدّدةِ في النّصّ الرّوائيّ، فهو لا يقدَّمُ كَإطارٍ تزيينيٍّ وجماليٍّ لأغراضٍ موضوعيّةٍ فقط، وإنّما يكتسبُ قيمًا أخرى جعلت منه كيانًا أساسيًّا يتّحدُ مع كلِّ المكوّناتِ السّرديّةِ الأخرى. فالمكانُ يقدِّمُ مجموعةً منَ المعطياتِ القريبةِ منَ الواقعِ أوِ المحتملةِ الوقوعِ فيه؛ لأنّه يقدَّمُ مُشخّصًا ومجسّدًا في العمل الرّوائيِّ، والأحداثُ فيه تبدو كأنّها أحداثٌ حقيقيّةٌ، لكونِه "يُوهمُ بواقعِيَّتِها"(7). كما أنّه مكوّنٌ مشاركٌ للشّخصيّاتِ في انفعالاتِها وأحاسيسِها ومواقفِها، حيث "يبدو كما لو كان خزّانًا حقيقيًّا للأفكارِ والمشاعرِ والحُدوسِ، حيث تنشأُ بين الإنسانِ والمكانِ علاقةٌ متبادَلةٌ يؤثّرُ فيها كلُّ طرفٍ على الآخر"(8).



## الرّوائيّ والرّواية

### إبراهيم أصلان ورواية مالك الحزين

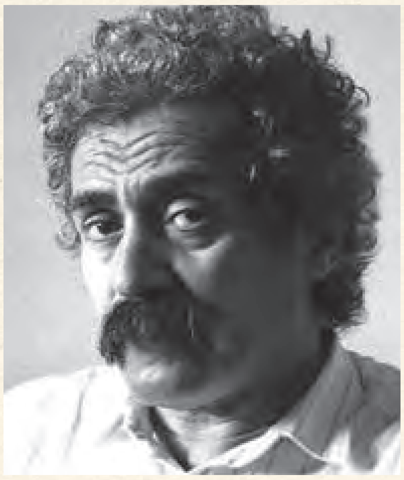
إبراهيم أصلان (1935–2012) أحد أبرز الأصوات في الرواية العربية المعاصرة. وُلد في قرية شبشير الحصة بمحافظة الغربية، لكنه نشأ وعاش في حي إمبابة الشعبي بالقاهرة، وهو الحي الذي شكّل الخلفية الجغرافية والنفسية لمعظم أعماله. لم يتلقَّ تعليمًا أكاديميًا منتظمًا، بل عمل في هيئة البريد، وهي التجربة التي ألهمته مجموعته القصصية «وردية ليل». عُرف بأسلوبه البسيط والعميق في آن، وارتبط اسمه بما يُعرف بـ"أدب التفاصيل الصغيرة"، حيث تتجلّى المعاني الكبرى من خلال المشاهد اليومية الصامتة.

تُعد رواية مالك الحزين (1983) أشهر أعماله وأوسعها تأثيرًا، وقد استغرق في كتابتها قرابة ثماني سنوات. تدور أحداثها في حي الكيت كات بإمبابة، وتُجسّد واقعًا هامشيًا مفعمًا بالاغتراب والخيبة، عبر شخصيات بسيطة تعيش صراعاتها في صمت. تتجاوز الرواية حبكة الحدث لتقدّم فسيفساء إنسانية تعكس الهشاشة الجمعية لأبطالها. وقد تحوّلت لاحقًا إلى فيلم شهير بعنوان الكيت كات أخرجه داود عبد السيد عام 1991. احتلت الرواية المرتبة 41 في قائمة أفضل مئة رواية عربية، وتُرجمت إلى الإنجليزية على يد إليوت كولا.

وتزخرُ الرّوايةُ العربيّةُ بفضاءاتِها المتنوّعة، المتشابهةِ حينًا، والمتباينةِ أحيانًا أخرى، سواءٌ من حيث امتدادُها أو تعدّدُها أو تنوّعُها. إنّها تنطلقُ منَ النّفوس والأذهانِ لتشملَ المُدنَ والقُرى والميادينَ والدّروبَ، بل إنّك قد تصبحُ أسيرًا في المعتقَلات والسّجون، أو تائهًا في الصّحاري والكهوفِ والأدغال.

غيرَ أنَّ الفضاءاتِ في (مالك الحزين) لا يمكنُ أن تُقارَبَ من دون استحضارِ للتّرابطِ القويّ الحاصلِ بين مكوّني الفضاءِ والشّخصيّات، إذِ اندمجا واقعيًّا وروائيًّا لبلْورةِ مواقفَ وتصوُّراتٍ عنْ هذه الفضاءات، حيث يرتدُّ الرّاوي إلى الماضي ليرسمَ المستقبل. وفي هذا الصّدد صرّح إبراهيمُ أصلان قائلًا: "إنّ أساس كتابتِها كان معتمِدًا على التّغييرات الملموسةِ للبيئة التي أعيشها.. مع مطلعِ السّبعينيّات تعرّضت منطقتِي (الكيت كات) التي أقطنُ فيها لعمليةِ غزوٍ ماليٍّ طُفيليٍّ شديدِ الغلظة والفظاظة، فبدأتُ أحسُّ أنّ كلّ الشّواهدِ الحميميّةِ التي عشتُ فيها وتربّيتُ فيها بدأت عمليّةُ الاستيلاءِ عليها تتمُّ وكذا تغيّرُ ملامحِها من أجلِ أغراضٍ، أساسًا، استهلاكيّةٍ بحتة. كان الدّافعُ الشّخصيُّ أن أستبقيَ ملامحَ عالمٍ ورُؤًى وقيمٍ وأحلامٍ ترى رحيلَها أمامَ عينِك، فأحاولُ أن أستبْقيَها في عملٍ عبْرَ سعْيٍ في ملاحقةِ حركةِ حيٍّ أو مدينة.."(9).

إنّ الفضاءَ في (مالك الحزين) لا يحيلُ – فقط- إلى أمكنةٍ في العالم الخارجيِّ، بل إنّه البيئةُ التي احتضنتِ المبدعَ، فاستسلمَ لدفْئِها، واندمجَ – عاطفيًّا ونفسيًّا – فيها ناسجًا، ببراءتِه



إبراهيم أصلان

وانطلاقِه، أحلامَه ومغامراتِه، لكنَّ مهدَه سُرعان ما أصبحَ مهدَّدًا بالزّوال والتّشويهِ والمصادَرة: "ومدّ (قاسم أفندي) يدَه إلى جيبِ سُتْرتِه وأخرجَ الجورنالَ وفتحَه على الحوادثِ وقرأ أنَّ السّائحَ الإيطاليَّ دافيد موسى قد عاد من إيطاليا، وتقدّمَ إلى مأمور قسْمِ إمبابةَ ببلاغٍ ضدّ المواطنين في منطقة الكيت كات؛ لأنّهم استولَوا على الأراضي التي اشتراها عام 1944.."(10).

إنَّ الارتباطَ الوجوديَّ والعاطفيَّ بفضاءِ (الكيت كات) هو الذي دفع الأهاليَ إلى التّكتُّلِ والانشغالِ بمصيرِه، يقول عبد الله القهوجيّ: "أصله خواجة يهمّنا يا معلم. ده ناوي ياخد المنطقة كلّها.."(11).

ولهذا كانت للفضاءِ في (مالك الحزين) دلالاتٌ عميقةٌ، إذ حاول الكاتبُ أن يسمُوَ به إلى آفاقٍ تتجاوزُ إحالاتِه ومرجعياتِه الجغرافيّةَ، محاولاً أن يَصوغ منه كُتلاً منَ الإحساساتِ والهواجسِ النّفسيّةِ، والرّوابطِ الاجتماعيّةِ. أي إنّه أحالَه

**الفضاءاتِ في (مالك الحزين) لا يمكنُ أن تُقارَبَ من دون استحضارٍ للتّرابطِ القويّ الحاصلِ بين مكوّني الفضاءِ والشّخصيّات، إذِ اندمجا واقعيًّا وروائيًّا لبلْورةِ مواقفَ وتصوُّراتٍ عنْ هذه الفضاءات، حيث يرتدُّ الرّاوي إلى الماضي ليرسمَ المستقبل.**

إلى فضاءٍ نفسيٍّ واجتماعيٍّ يتصارعُ فيه الخيرُ والشّرُّ، ويتنازعُ فيه الحبُّ والبغضُ، ويتزاحمُ فيه المزاحُ والجدُّ. بل إنّ كلَّ فضاءٍ في (مالك الحزين) يحيلُ، بطريقةٍ أو بأخرى، إلى مصرَ وهي تواجهُ الدّخلاءَ والغرباءَ الطّامعين في أرضِها ومعالمِها ونيلِها. وإذا كان الفضاءُ في (مالك الحزين) محدودًا جغرافيًّا، فإنّه منفتحٌ اجتماعيًّا، إنّه فضاءٌ يضجُّ بالحركة، ويَرْشحُ بالعلاقاتِ (الحميميّة) التي أسهمت في ترجيحِ لغةِ التّواصُل وضمانِ الانسجام؛ لأنّ "هندسةَ المكان تُسْهِمُ أحيانًا في تقريب العلاقات بين الأبطال أو خلْقِ التّباعدُ بينهم"(12).

ويُشكّلُ فضاءُ (الكيت كات) في (مالك الحزين) ذاكرةً جماعيّةً لا يُصيبُها

> يُشكّلُ فضاءُ (الكيت كات) في (مالك الحزين) ذاكرةً جماعيّةً لا يُصيبُها النّسيانُ ولا التّلفُ، كما أنّها تستعصِي على التّرويض.




النّسيانُ ولا التّلفُ، كما أنّها تستعصِي على التّرويض. وحرصًا منَ الكاتب على تنشيطِها وتجديدِ ارتباطِها بتلك الفضاءاتِ، فإنّه قد لجأ ــ عن طريق الاسترجاع ــ إلى النّبش فيها لنفْضِ ما تختزنُه من ذكرياتٍ تتّصلُ بفضاء (الكيت كات) العريقِ بتاريخِه، والغنيِّ بأحداثِه، والحافلِ بنضالِه. وهو الأمرُ الذي دفع الكاتبَ إلى تضمين روايتِه مجموعةً منَ الأحداثِ السّياسيّةِ ليس من قَبيل التّشْبيس الفجِّ لمالكِه الحزين، بل لِتأكيدِ رمزيّةِ الفضاءِ وغِناه وتعدُّدِ دلالاتِه.

ولهذا نرى أنّ مظاهراتِ المواطنين - بغضِّ النَّظر عن ملابساتِها التّاريخيّة، ودواعِيها الاجتماعيّةِ والسّياسيّةِ - ليستْ ردودَ أفعالٍ سياسيّة، وإنّما هي - في دلالاتِها العميقة - دفاعٌ جماهيريٌّ عن حرمةِ الأرض والمُدن والأحياء. كما أنَّ تراجُعَ العساكرِ ليس إلّا علامةً على فشلِ كلِّ المحاولات ــ ولو كانت مدعومةً بالقوّة ــ للنَّيْل من تلك الفضاءات:

"كان عساكرُ الأمن المركزيِّ قدِ ارتدُّوا عنِ المنافذِ القريبةِ، ردّهمُ الأولادُ، واصطفُّوا بعيدًا عنِ الميدان المبتلِّ الخالي إلّا منَ الأحجار وفوارغِ القنابلِ المُسيلة للدّموعِ والطّلقاتِ"(13).

وغنيٌّ عنِ الإشارة إلى ما تختزنُه كلمةُ (الأولاد) من دلالاتٍ، إذ همُ الذين طردُوا العساكرَ، كما أنّهم ظلُّوا يحرسون مداخلَ المدينةِ. ولهذا فالمسؤوليّةُ ستبقَى مُلقاةً على الأجيالِ الصّاعدةِ، تتصدّى للعُدوان، وتردُّه على أعقابِه خاسرًا خاسئًا. إنّ فضاءً بهذه المواصفاتِ والدّلالاتِ كفيلٌ بأن يجذبَ إليه النّفوس، وأن تنشغلَ بمصيرِه العقولُ، وأن ينتفضَ لانتهاك حُرماتِه الشّيوخُ والأطفالُ.

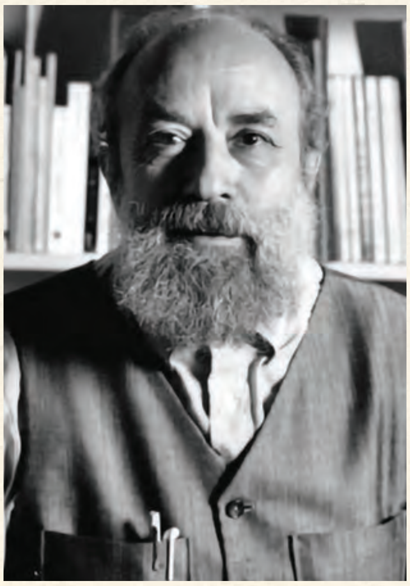
غيرَ أنَّ الحديثَ عنِ الفضاء في (مالك الحزين) لن يكتملَ إلّا بزيارةِ (مقهاه). إنَّ (المقهى) هو قلبُ (الكيت كات) النّابضُ، والعقدُ النّاظمُ لمجموع العلاقاتِ الاجتماعيّةِ والارتباطاتِ العاطفيّةِ والنّفسيّةِ، ومن دونِه تُشلُّ الحركةُ داخلَ (الكيت كات)، وتتجمّدُ الأحاسيسُ، وتفترُ "الحميمية". ولا عجبَ في ذلك، فـ"لو تتبّعْنا تاريخَ الرّواية سواءً في الغرب أوِ العالم العربيّ لوجدْنا لهذا المكان (أي المقهى) حضورًا كبيرًا"(14).

لقد أصبحَ المقهَى في (مالك الحزين) ــ من حيث هو بؤرةُ فضاءِ (الكيت كات) ومحورُه ــ مكانًا للتّواصُلِ والتّحاوُر، إذ فيه تتشابكُ العلاقاتُ، وتتحرّرُ النّفوس. كما تُعقدُ فيه الصّفقاتُ، وتُحبكُ المؤامراتُ، وتُنفّذُ الأحقادُ، وتُفشَى الأسرارُ، ولهذا كان منَ الطّبيعيِّ أن تتضاربَ فيه القيمُ والأفكارُ والسّلوكات. إنّه باختصارٍ محضنٌ لكلّ نفسٍ تبحثُ عن لقاءٍ موعودٍ، أو دفءٍ مفقودٍ، أو غرضٍ منشودٍ.

بيْدَ أنّ هذا المكانَ أصبح مُهدّدًا بالزّوال، ذلك أنَّ "المعلّمَ صبحي تاجرَ الطّيور، اشترى بيتَ الحاجِّ محمّد موسى الذي يوجدُ به المقهَى"(15). إضافةً إلى أنّ المعلِّم صبحي يريدُ أن يَهدمَ البيتَ لكي يبنيَ مكانَه عمارةً كبيرةً،

وأنَّ المعلّم عطيّة مُستأجِرَ المقهى لم يلتزم بوعودِه التي قدّمَها للمعلِّم صبحي بالتّخلّي عنِ المقهى(16). ولهذا توتّرتِ العلاقاتُ بين المعلِّمَين إلى أنِ انتهت بالطّعنةِ التي تلقّاها المعلّم عطيّةُ من أحد العاملين مع المعلِّم صُبحي(17).

وتفاديًا لضياعِ (المقهى)، عقد بعضُ رُوّادِه عددًا منَ الاجتماعات أملًا في الوصول إلى حلٍّ مناسبٍ؛ بل إنّهم استنجدُوا بطقوسِ الشّعْوذة، إذ رآهمُ الجاويش وهم يسحبون العِجلَ المقيَّد ليذبحوه على عتبةِ المقهَى الخالي(18). ورغْمَ كلِّ المحاولات، فقد أصبح المقهَى مهدَّدًا بالضّياع "لأنَّ المعلّم طعنَ المعلّمَ وأنَهى كلَّ شيءٍ. الطّعنةُ وُجّهت للمقهَى"(19). ولهذا اهتمّت (الشّلّة) بمصير المقهَى مادام يُمَثِّلُ، بالنّسبةِ إليها، مسألةً وجوديّةً وحضاريّةً رغْمَ طابعِه القانونيِّ. وكيفما كان الحالُ، فقد ظلّت (الشّلّة) متعلّقةً بمقهاها، ومُصرّةً على مواجهة الزّحفِ الإسمنتيّ المدمِّر، ومخلصةً لذلك الارتباطِ الرّوحي الذي زادتْه الدّوافعُ الاجتماعيّةُ قوّةً وتأجُّجًا.



ميشال بوتور

ومادام (المقهى) مهدَّدًا في وجوده، فإنَّ (الشّلّة)، وبحثًا عن مزيدٍ منَ الدّفء و (الحميميّةِ)، اتّخذت مكانًا آخرَ لتُمارسَ فيه حرّيتَها، إنّه (الدّكان) حيث استأجرَ الأُسطى سيّدٌ الدّكانَ المجاورَ لدكّانِ المعلّم رمضان الفطاطري.. "وعندما اشتدّ البردُ اقترح الشّيخُ حسني أن ينتقلُوا للسّهر داخلَ هذه (العين) الخاليةِ، ورحّبَ الأُسطى سيّد بذلك وصاروا يَسهرون في الدّكّان ويسمّونه العينَ"(20). إنّ (الدّكان) ليس بديلًا عنِ (المقهى)؛ لأنَّ وظيفتَه تكميليّةٌ لا تعويضيّةٌ، إنّه رمزٌ لتَوْق النّفوس إلى التّحرّرِ من كلّ القيودِ، ووسيلةٌ للمحافظةِ على العلاقاتِ (الحميميّة)، وترجمةٌ لذلك الانجذابِ الغريزيِّ للفضاءاتِ الأصيلةِ.

ونشيرُ، كذلك، إلى أنَّ للفضاء في (مالك الحزين) مظاهرَ أخرى، ترجمتْه ـ أسلوبيًّا ـ بعضُ الأدواتِ التّعبيريّةِ في الرّواية. حيث اتّخذ الكاتبُ منَ الوصف الدّقيقِ أداةَ رصْدٍ للحركات والهيئات والأبعاد، إضافةً إلى الاعتناء الشّديدِ بمحتوياتِ كلِّ مكانٍ مهما دقّت أو صغُرت، متقمّصًا شخصيّةَ عالم الآثارِ الذي يحتفظُ بكلِّ ما يكتشفُه: "كاد المقهَى في ذلك الوقتِ أن يكون خاليًا. إلى يسارِ المدخلِ المفتوح، كان قاسمُ أفندي يقرأُ شيئًا في جريدة الأهرام، وعبدُ الله القهوجيّ يستمعُ إليه.. على بُعد مقعدَين منهما، كان المعلّم رمضان


**لائحة المراجع:**

1ـ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي: الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء، ط1ـ 1990، ص: 29.

2ـ المرجع نفسه، ص: 33.

3ـ سيزا قاسم، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة، (د.ط) ـ سنة 2004، ص: 103.

4ـ غاستون باشلار، جمالية المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت، ط2 ـ 1984، ص: 31.

5ـ الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، منشورات عالم الكتب الحديث ـ أربد (الأردن)، ط1 ـ 2010، ص: 190.

6ـ سيزا قاسم، مرجع سابق، ص: 104.

7ـ حميد الحميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء(المغرب)، ط1 ـ 1991، ص: 65.

8ـ حسن بحراوي، مرجع سابق، ص: 31.

9ـ في لقاء مع القاص والروائي إبراهيم أصلان، حاوره: أحمد عثمان (مصر)، العلم الثقافي (الملحق الثقافي لجريدة العلم

**المكانُ لا يعيشُ منعزلًا عن باقي المكوّنات السّرديّة، بل إنَّ ترابُطَه بتلك المكوّنات شرطٌ ضروريٌّ لبناءِ العوالم الإبداعيّةِ للنّصّ الرّوائيّ، لكونِه يدخلُ في علاقاتٍ متعدّدةٍ مع العناصرِ الأخرى.**

يجلسُ وهو نعسانُ إلى جانب الشّيخ حُسني.. وعلى بُعد مقعدَين آخرين، كان دولابٌ قصيرٌ عليه لوحةٌ منَ البلّور.."(21).

فالمكانُ في رواية (مالك الحزين)، ليس مجرّدَ وجودٍ صِرْفٍ خالٍ منَ الدّلالة والتّأثير. ذلك أنَّ هذه الرّواية كما يقولُ فيصلُ دراج، هي روايةٌ عنِ المكان، أو روايةٌ عن بشرٍ لا يتحدّدون إلّا في مكانِهم، فيصبحُ المكانُ هو البداية والنّهايةَ. ولهذا فإنّ (مالك الحزين) "تقدّمُ وصفًا دقيقًا لسِمات المكان، وتدخلُ في الحوارِي الرّطبة، وتصفُ الجدرانَ، وترسمُ الآنيةَ، تفعلُ كلَّ ذلك باهتمامٍ وعنايةٍ، ثمّ لا تلبثُ أن تصفَ المسلسلَ اللّامتناهيَ للحركةِ اليوميّةِ، التي تتمُّ في هذا المكانِ، مسلسلٌ يشملُ كلَّ أشكالِ الحركة: منَ العارضِ اليوميِّ والبسيطِ والنّافلِ، حتى تكادَ الرّوايةُ تكونُ سرْدًا أمينًا للحياةِ اليوميّةِ في (أمبابة)، لولا هذه الذّاكرةُ التي تحاولُ همسًا أن تربطَ الحاضرَ بالماضي، وأن تشِيَ أنَّ الزّمان الذي تتمُّ فيه الرّواية زمنٌ مركّبٌ، تختلطُ فيه الحياةُ اليوميّةُ بذاكرةٍ مُرهفةٍ تعيدُ بناءَ الحياةِ اليوميّةِ كما تشتهِي"(22).

(مالك الحزين)، إذن، هي روايةٌ تعثرُ على الهُويّةِ في المكان، وتجدُ المعنَى في الفضاءِ، بل «تكشفُ الهُويّةَ والمعنى في هذا البحث الدّؤوبِ عنِ التّفاصيل والحركاتِ والزّوايا والأصواتِ والرّوائح، حتى يصبحَ المكانُ هو الملاذَ، إن لم يُصبحْ هو الأداةَ التي تناهضُ الموتَ، وتتحدّى سيْلَ الزّمنِ الذي يكسرُ الملامحَ ويقوّضُ الأمكنةَ. وبانتهاءِ الأمكنةِ يَتَوارَى الكثيرُ منَ الذّكرياتِ والأفكارِ، أيْ ينتهِي جزءٌ من شخصيّةِ الإنسان» (23).

إنَّ ولعَ الكاتبِ بوصْفِ الفضاءاتِ، واستقصاءِ محتوياتِها، وترصُّدِ الحركاتِ داخلَها، بتلك الدّقّةِ المتناهيَة، والتّركيزِ الشّديدِ، سلوكاتٌ وإجـراءاتٌ تعكسُ الارتباطَ الرّوحانيَّ بالفضاءِ، وتعبّرُ عنِ الهواجسِ والتّخوّفات التي تملأ نفوسَ (الشّلّة)، ولهذا كانت دوافعُها نفسيّةً، كما كانت الغايةُ منها التّأريخَ والتّوثيقَ والاستبقاءَ بلُغةِ الكاتبِ.



المغربية)، بتاريخ 20 يوليوز 1996.
10 ـ إبراهيم أصلان، مالك الحزين، دار الآداب ــ بيروت، ط 1992، ص: 72 ـ 73.
11 ـ المرجع نفسه، ص: 102.
12ـ حميد الحميداني، مرجع سابق، ص:72.
13 ـ إبراهيم أصلان، ص: 164.
14 ـ حميد الحميداني، مرجع سابق، ص: 72.
15 ـ إبراهيم أصلان، ص: 16.
16 ـ المرجع نفسه، ص: 17.
17 ـ المرجع نفسه، ص: 17 ـ 18.
18 ـ المرجع نفسه، ص: 149 ـ 150.
19 ـ المرجع نفسه، ص: 152.
20 ـ المرجع نفسه، ص: 21.
21 ـ المرجع نفسه، ص: 11.
22 ـ محمد بدوي، الرواية الجديدة في مصر: دراسة في التشكيل والإيديولوجيا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ــ بيروت، ط 1ـ 1993، ص: 119.
23 ـ صبري حافظ، مالك الحزين: الحداثة والتجسيد المكاني، مجلة فصول، عدد 4، سبتمبر 1984، الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة، ص: 119.



# سِـيَاحَةٌ مَـعَ عَبْدِ اللّه الشَّيْخ البَشِير في قَصِـيدَتِه: البَحْثُ عَنْ بَيْتِ شِعْرٍ


**يأتي هذا البحثُ بعونِ الله تعالى، مُتناوِلاً ما تيَسَّرَ مِنَ الدّلالةِ الإفراديَّةِ لمعانٍ تتّصلُ بقصيدةٍ بعنوان (البحثُ عن بيتِ شِعْرٍ) لشيخِ شُعراءِ السُّودان عبدِ الله الشّيخ البَشير، ويسعَى الباحثُ للإفادةِ من مدوَنةِ المعجمِ التّاريخيِّ لرصْدِ هذه المفرداتِ اللُّغويَّة، والوقوفِ على ميلادِها، واستخدامِها في أحدِ العصورِ الخمسةِ التي حدَّدَها الدّليلُ العلميُّ للمُعجَمِ. ويقومُ البحثُ على مقدّمةٍ وثلاثةِ محاورَ، وخاتمةٍ. يتناولُ المحورُ الأوّلُ التّعريفَ بالشّاعرِ، وإيرادَ نماذجَ من شِعْرِه، ويُخصَّصُ المحورُ الثّاني لإجراءاتِ البحثِ، والتي يُحدّدُ من خلالها مجتمعُ البحثِ وعيِّنتُه، في حينِ يأتي المحورُ الأخيرُ للوقوفِ على بعضِ المفرداتِ في القصيدةِ عيِّنةِ البحثِ، ورصْدِ ورودِها في مدوّنةِ المعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ ليكونَ هذا أنموذجًا عمليًا لتوظيفِ مُدوّنتِه الغنيَّةِ في الدّراسةِ اللّسانيَّةِ الخاصّةِ بالدّلالةِ الإفراديّةِ، فضلاً عن خاتمةٍ تُبْرِزُ أهمَّ النّتائجِ والتّوصياتِ، وذلك على النّحوِ الآتي:**





أ.د. بكري محمد الحاج

رئيسُ مَجْمَعِ اللُّغة العربيَّة في الخرطوم


2 - المحورُ الأول: التّعريفُ بالشّاعر وإيرادُ نماذجَ من شِعره:

**1/2 التّعريفُ بالشّاعر:**

الشّاعرُ عبدُ الله الشّيخ محمّد البشير ولد عام 1928م في قرْيَة أمّ دَرَق بالولاية الشّماليَّة بالسُّودان، حفظَ القرآنَ الكريم، والتحق بالمعهد العلميّ بأمّ درمان، وحصلَ على الإجازةِ العالميَّةِ من كليَّةِ اللُّغة العربيَّة بالأزهرِ الشّريف، وحصلَ على دبلوم التّربيةِ من جامعة عينِ شمس. اشتغلَ معلِّمًا للّغة العربيَّة والتّربية الإسلاميَّة بالمدارس الثّانويَّة بالسّودان، وباحثًا بالمجلس القوميّ للآداب والفنون (بالانتداب). أحيلَ عَلى المعاشِ (التّقاعد) عام 1990م. ترأّس جماعةَ الأدبِ السّودانيّ، واتّحادَ الأدباءِ السّودانيّ 1977–1982م، ورابطةَ معلّمي التّربية الإسلاميَّة واللُّغة العربيَّة، ولجنةَ النّصوصِ بالإذاعةِ السّودانيَّة. نُشِر بعضُ شِعره في المجلّات والصّحف العربيَّة، شارك في مؤتمر التّربية الإسلاميَّة بمكَّةَ المكرّمةِ سنة 1982. من مؤلّفاته: (دراســاتٌ في شِعر التّيجانيّ يوسفَ بشير)، و(التّربية في الخلوة والمسجد)، و(معلِّم اللُّغة العربيَّة اجتماعيًّا). نال وسامَ الآدابِ من جامعةِ الخرطوم، والوسامَ الذّهبيَّ منَ الدّولة للعلوم والآداب والفنون

توفي يوم الاثنين 15 رجب 1415هـ/19 ديسمبر 1994م(1).

وتبيِّنُ هذه السّيرةُ تَدرُّجَ هذا الشّاعر في مراحل حياتِه التي بدأها بحفْظِ القرآن الكريم، وانتقلَ إلى المعهد العلميِّ في الدّراسة العامّة، وختمَ تأهيلَه العلميَّ بجامعةِ الأزهـر، ليعودَ إلى السّودان معلّمًا مُتميِّزًا، وقائدًا لمسيرةِ الثّقافة عبرَ اتّحادِ الأدباء، واهتمَّ الشّاعرُ كذلك بالأدب الشّعبيِّ؛ فصار أحدَ حافظِي نصوصه ومناسباتِه وشُخوصِه... وبالرّغم من عمله معلّمًا بوزارة التّربية والتّعليم، إلّا أنّه كان ذا نشاطٍ أدبيٍّ متّصلٍ؛ فعمِلَ رئيسًا لاتّحاد الأدباء لعدّة سنواتٍ، زائدًا مُشاركاتِه المتعدّدةَ في عدد منَ المؤتمرات الخارجيّة ممثّلاً لأدباءِ السّودان. وفي عهد رئاسته لاتّحاد الأدباءِ قام بالاحتفال بمرور خمسة وعشرين عامًا على وفاة الشّاعر الفذِّ التّيجاني يوسف بشير (2) .

ومن الذين نعَوْه الشّاعرُ أحمدُ الطّيّب البشير. يقولُ في مستهلِّ قصيدةٍ له: (3)

**ألاَ يَا لَيْتَ مَا نَهْوَى سَرَابُ**
**وما حَمَلَ النَّعِيُّ لنا كذابُ**
**وَمَنْ قدْ عَبَّ من كأسِ المنايا**
**فليسَ له إلى الدّنيَا إيَابُ**

إلى أن يقول:

**جلالُ العلْمِ بَجَلَهُ فطابت**
**مجالسُ أمَّها غرٌ نجابُ**
**ويطرقُ بابَهُ للعلْمِ منْهُمْ**
**بهاليلٌ إذا قالوا أصابوا**
**لهم في المَكْرُماتِ يدٌ ورجلٌ**
**إذا أُربي بهم فلقدْ أطابوا**
**ويمشي زاهدًا فيهم أبيلاً**
**كما بينَ النُّسورِ مشى العُقابُ**

**أيا شيْخَ القريضِ على ثراها**
**وفي آدابها رُكْنٌ وبابُ**
**رأيتُكَ لا يُمَلُّ لكم حديثٌ**
**ولا يملّك من طولٍ خطابُ**

2/2 **نماذجُ من أشعارِه:**

وله أشعارٌ صوَّرتْ بعضَ محطّاتِ حياتِه لا يتّسعُ حيِّزُ البحثِ لاستيفائها، وقد وفَّقَ الباحثُ عثمانُ حميدة أحمد بتقديم رسالةِ ماجستير عن حياة الشّاعرِ عبدِ الله البشير، وبيَّن أربعةَ روافدَ كوّنت شخصيتَه الثّقافيَّة، يأتي على رأسها الخلوةُ (مقرّ تحفيظ القرآن)، والمعهد الدّينيّ الذي التحق به في مرحلة التّعليم العامّ، والرّافدُ الثّالثُ ثقافتُه من مصرَ التي أمّها للدّراسةِ بكليَّة اللُّغة العربيَّة بجامعة الأزهر، حيث توثَّقت صلتُه بكبارِ الأُدباء مثل أحمدَ حسن الزيّات، وتوفيقِ الحكيم، وطه حسين، والعقّادِ، والرّافدُ الرّابع بيئةُ العمل في مدارسِ الأحفادِ الأهليَّة بأمّ درمان، حيث أتاح لهم صاحبُها يوسف بدري مناخًا من حريَّةِ الإبداع، والابتكارِ في التّطويرِ في أساليبِ التّدريس، وإغناءِ الحياةِ الثّقافيَّةِ والأدبيَّةِ (4).

- يقولُ عن مرحلةِ حفْظِه للقرآن الكريم في خلاوٍ متعدّدةٍ(5):

**أيّامَ نأتي للخَلاوِي وهْيَ عامرةٌ**
**وزيَّنت عندها الألواحُ تزْيينَا**
**بها حفظْنا كتابَ الله وازْدَهرتْ**
**فينا الأمانيُّ تَشْكيلاً وتلْوينَا**

- والتقَى في المعهد العلميِّ بعددٍ منَ الشُّعراء المُجيدين، أمثال محمّد محمّد عليّ، والهادي آدم، وشارك بقصيدةٍ في مناسبة الهجرة يقولُ فيها(6):

**ولد عام 1928م في قرْيَة أمّ دَرَق بالولاية الشّماليَّة بالسُّودان، حفظَ القرآنَ الكريم، والتحق بالمعهد العلميّ بأمّ درمان، وحصلَ على الإجازةِ العالميَّةِ من كليَّة اللُّغة العربيَّة بالأزهرِ الشّريف، وحصلَ على دبلومِ التّربيةِ من جامعة عينِ شمس**



عَهدوكَ في نَظْمِ القَريضِ مجيدًا
ردِّدْ نشيدَكَ مُبْدِئًا ومُعيدًا
واخترْ منَ الشِّعْرِ الرَّصينِ فإنّما
بالشِّعرِ تَهْتزُّ المشاعرُ جودًا

- وفي مدارسِ الأحفادِ تفاعلَ مع مجتمعِها زملاءَ وطلّابًا، ويقولُ عنها(7):

إذا رُمْتَ للأحفادِ وَصْفًا يَميزُها
فَسَلْنِيَ عمّا شِئْتَ يُنْبِئْكَ شاهدُ
نَعَمْ مَعْهدٌ للعلْمِ لكنْ تفوَّقتْ
وجاءتْ بما لمْ تَسْتَطِعْه المعاهدُ
تخرَّجَ أبناءٌ لها يُشْبِهونها
كما تُشْبِهُ الأمَّ الولودَ الولائدُ

- ومن قصائدِه المرتبطةِ بمرحلةِ دراستِه بمصرَ قصيدتُه المشهورةُ (البحثُ عن بيتِ شِعْرٍ) التي حاولَ الكثيرون مجاراتَها، ويقولُ في مستهلِّها:

على حَدِّ السَّنا أَمْهَيْتُ سَيْفي
فرقَّتْ شَفْرتاهُ كما ابْتغيْتُ
ووَدَّعْتُ القرى الأُولى وشيكًا
فما استصحبْتُ إلّا ما انْتَوَيْتُ

وهذه القصيدةُ هي عيِّنةُ هذا البحثِ، وسَيُعَرَّفُ بها في المحورِ الثّاني بإذنِ الله تعالى.

**3 - المحورُ الثّاني: مجتمعُ البحثِ وعيِّنتُه**

عيِّنةُ البحثِ هي قصيدةُ (البحث عن بيت شعر) والمكوّنةُ من ستّةٍ وثلاثين بيتًا وقدِ ارتجلَها الشّاعرُ عندما اسْتُفِزَّ في محفلٍ أدبيٍّ، وهي قد "أخذت شُهرتَها في ليلةٍ ثقافيّةٍ في قاهرةِ المُعزِّ، شهدَها رئيسُ وزراءِ مصرَ وقْتَها د. فؤاد محيي الدين، وقد قدَّمه المذيعُ بصورةٍ باهتةٍ... مكتفيًا بالقول: والآن مع عبدِ الله الشّيخ البشير منَ السودان... هكذا بلا وصفٍ له بأنّه شاعرٌ، ولكنَّ الشّيخ لقَّنه درسًا لا يُنْسَى عندما ابتدرَ قصيدتَه(8) بقوله:

على حَدِّ السَّنا أَمْهَيْتُ سَيْفي
فرقَّتْ شَفْرتاهُ كما ابْتغيْتُ
ووَدَّعْتُ القرى الأولى وشيكًا
فما استصحبْتُ الا ما انْتَوَيْتُ
فَهَا أَنَذا يُعادي بي مَراحًا
بشَطِّ الغيبِ مَريحٌ كُمَيْتُ
رصائعُه مصابيحٌ سَهارى
لهنَّ خواطرُ الحُذّاقِ زيتُ
فطافَ بعَبْقرٍ ليلًا فهرَّتْ
كلابُ الجِنِّ: عِرْفيطٌ وشيْتُ
فطارَ فصاهلَ الشِّعرى فماجَتْ
عرائسُ من بشائرِها جنَيْتُ
ومجَّ لسانُه أَلَقَ الثّريّا
جُذًى ممّا تغوصُ له الكويتُ

ويعلِّقُ عبدُ السّلامِ كامل عبد السّلام على هذه الأبياتِ الأُولى من هذه القصيدةِ قائلًا: «يا لهذه اللُّغةِ الجَزلةِ الرّاقيةِ التي اختارها الشّاعرُ مقدّمةً لقصيدتِه؛ جعلَ الضّياءَ مِبْردًا يَحدُّ به سيفَه الأسطوريَّ؛ حتى يطمئنَّ إلى رَفافتِه، وهو يرافقُه في هذه الرِّحلةِ الغريبةِ، رحلةٌ فيها من إيحاءاتِ ليلةِ الإسراءِ والمعراجِ... ولكنّ رحلتَه لها مقصدٌ آخرُ يتجاوزُ الشّاعرُ بفرسِه البُراقيِّ الكُمَيتيِّ اللّونِ حدودَ مكانِه الأرضيِّ بسُرعةٍ إلى مرقَى النّجومِ السّواهرِ، والتي تُنيرُها أفكارُ الحَذَقةِ منَ الشُّعراءِ؛ فطار محلِّقًا وطائفًا بوادي عبْقر، وادي الشِّعرِ والسِّحرِ؛ فما تركتْه كلابُ الجِنِّ، وهرَّت عليه؛ علّها تُخيفُه، وتُبعدُه عن غاياتِه، ولكن هيهاتَ»(9).

وقد تناولَ عددٌ منَ الشُّعراء اللُّغةَ العاليةَ التي طبعت هذه القصيدةَ التي فرضتْها مناسبةُ إلقائِها ارتجالًا، من هؤلاء الشّاعرُ الكبيرُ والأديبُ فرّاجُ الطّيّب السّرّاج في شرحِه لهذه القصيدةِ، وإشادتِه بصاحبِها. يقول: «وهو منَ المجدّدِين، لكن منَ المحافظِين على عمودِ الشِّعر، وعلى رَونقِ الشِّعرِ العربيِّ، مع إبداعِه في معانِيه، وفي صُوَرِه، وفي أَخْيلتِه، وفي مضامينِه التي فتحَ بها فتوحاتٍ جديدةً في الشِّعرِ العربيّ»(10).

> تناولَ عددٌ منَ الشُّعراء اللُّغةَ العاليةَ التي طبعت هذه القصيدةَ التي فرضتْها مناسبةُ إلقائِها ارتجالًا، من هؤلاء الشّاعرُ الكبيرُ والأديبُ فرّاجُ الطّيّب السّرّاج في شرحِه لهذه القصيدةِ، وإشادتِه بصاحبِها. يقول: «وهو منَ المجدّدِين، لكن منَ المحافظِين على عمودِ الشِّعر، وعلى رَونقِ الشِّعرِ العربيِّ، مع إبداعِه في معانِيه، وفي صُوَرِه

ويقولُ الشّاعرُ عبدُ الله البشير في نهاية القصيدةِ:

سمعتُ سهامَ آفِلَونَ حولي




**مُـزَفْـزِفَـةً وآفـلَـونُ مَـيْـتُ**
**هبطتُ وأجـنُـحـي أدغـالُ نـخـلٍ**
**إذا غَـنّـت عـصـافِـرهـا انـتـشـيْـتُ**
**فحامتْ صادحاتُ الـنَّـيـل حـوْلي**
**تُـغَـلِّـفُـها الـمـواسِـمُ فاحتفـيْـتُ**
**فـحـطَّـت ثُـمَّ طـارت ثـم قـالـتْ**
**تُـرى مـا جـدَّ؟ قُـلْـتُ لها اقتنيْتُ**
**وشَـيْـتُ لـهـا وأعـمـاقـي صحـاحٌ**
**بـأسـقـامِ الـصـبـابـة إذ وشَـيْـتُ**
**فـلـمـا أمَّـلـت نَـقَـرتْ ربـابـي**
**فـهـازجـهـا مـن الأوتـار بَـيْـتُ**

وهكذا تصوِّرُ الأبياتُ الختاميّةُ لهذه القصيدةِ حالَ الشَّاعرِ حيث "تقتربُ الرِّحلةُ من نهاياتِها، وتتراءى للشّاعرِ بقايا زَفْزفاتٍ من جناحَيْ طائرِ الشِّعر، وهو ممتلئٌ بألحانٍ وأهازيجَ مختلفةٍ، كأنّما هو في غابةِ نخيلٍ متشابكةٍ، تصدحُ فيها مُغرّداتُ الطّيور بأصواتِها المتباينةِ المتداخلةِ...»(11).

4 - المحورُ الثّالثُ: وَقَفَاتٌ مع دلالةِ بعضِ مُفرداتِ القصيدةِ

يتناولُ الباحثُ بعضَ المفرداتِ اللّغويَّةِ من هذه القصيدةِ في استهلالِها وختامِها بما يسمحُ به حيِّزُ البحثِ، مُسترشدًا بدلالاتِها التي وردت في المعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ وذلك على الوجْهِ الآتي:

**أَمْهَيْتُ: على حدِّ السّنا أَمْهَيْتُ سَيفي**
**فـرقَّـت شـفـرتـاه كـمـا ابـتـغـيـتُ**

(أمْهى) من الجذر اللّغوي (مَوَه) ووردت في المعجمِ التّاريخيِّ في العصرِ العبّاسيّ: الدّلالةُ الثّانيةَ عشْرةَ منَ المدخلِ الثّالثِ: (أماه) السِّكّين، وأمْوَهَ (بالتّصحيح):سقاها بالماء، وذلك حين يَسُنُّها. قال ابن القوطية: "أماهَ الحديدَ: سقاه الماء»(12)، وقال الرّاغبُ الأصفهانيّ: «والسنُّ للصّبِّ عنِ القربة ونحوها، والسّنُّ يقاربُه، لكن استُعير السنُّ في إمهاء الحديد»(13). ولم ترد الدّلالةُ في شاهدٍ استعماليٍّ، بل وردتْ في شاهدَين معجميَّين، وهو استخدامٌ على سبيل الاستعارة.

**- انْتَوَيْتُ: وودّعت القُرى الأولى وشيكًا**
**فـمـا اسـتـصـحـبْـتُ إلا مـا انْـتَـوَيْـتُ**

وُلـدت هذه الدّلالة - التي جاءت عند الشّاعر - في العصر العبّاسيّ في المدخل(انتوى) فلان: عزم. قال الجوهري: «نَوَيْتُ نيَّةً، ونواةً: أي عزمْتُ، وانْتَوى مثله»(14). وتتّفقُ هذه الدّلالةُ مع المعنى الكلّيِّ الأوّل للجذرِ (ن و ى): مَقْصِدُ الشّيء(15)، ولم تردِ الدّلالةُ في شاهدٍ استعماليٍّ.

**- كُمَيْتُ: فَهَأنَذا يُعادي بي مِراحًا**
**بِـشَـطِّ الـغَـيْـبِ مِـرْيـحٌ كُـمَـيْـتُ**

ورد استخدامُ هذه الكلمةِ في المعجمِ التّاريخيِّ في الجذر (ك م ت) المدخلِ الحادِي عشرَ الدّلالة الأولى: الكُمَيْت: "ما كان لونه بين الأسود والأحمر من الخيل والإبل، وغيرها(ج) كُمْتٌ». وقد وردت الكلمةُ بصيغةِ الجمعِ في عصرِ ما قبل الإسلام للمهلهل التّغلبيّ(100هـ) يذكرُ لونَ الرّماح(15):

**يُـهَـزْهِـزونَ مـن الـخَـطِّـيِّ مُـدْمَـجَـةً**
**كُـمْـتًـا أنـابـيـبُـهـا زُرْقًـا عـوالـيـهـا**
**تَـرْمـي الـرِّمـاحَ بـأيـديـنـا فَـتُـورِدُهـا**
**بـيـضًـا وتُـصـدِرُهـا حُـمْـرًا أَعـالِـيـهـا**

ومن ناحيةٍ أخرى ورد استخدامُ هذه الدّلالةِ بصِيغةِ الإفراد، وبالدّلالة نفسِها في العصر الإسلاميّ في حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يذكرُ الخيلَ: »خيرُ الخَيْلِ الأدْهَمُ الأقْرَحُ الأرْثَمُ المُحَجَّلُ ثَلاثٌ، مُطْلَقُ اليَمينِ، فإنْ لَمْ يكُنْ أدْهَم فكُمَيْتٌ على هذه الشِّيَةِ»(17). ووردت في هذا العصر مُفردةً في بيتٍ لعامر بنِ الطُّفيل، كما أورد المعجمُ التّاريخيُّ استخدامَها في العصر العبّاسي، وعصرِ

الدّول والإمارات، والعصرِ الحديث(18).
وهكذا يرى الباحثُ حرْصَ الشّاعر عبدِ الله البشير على تخيُّر مُفرداتِه منَ اللُّغةِ العاليةِ الفصيحةِ؛ ليعبِّرَ عنِ المعاني التي أراد نقْلَها إلى المخاطَبين في المُلْتقى الشِّعريّ الذي أُشيرَ إليه من قبلُ.

**- رصائِعُه: رصائِعُه مصابيحُ سَهارى لهُنَّ خواطِرُ الحُذّاقِ زَيْتُ**

وردت دلالةُ هذه المفردةِ في المعجمِ التّاريخيِّ في الدّلالةِ الأولى منَ المدخلِ الحادي عشَر منَ الجذر (ر ص ع)، وقد توافقت مع المعنَى الكلّيّ الأوّل للجذرِ الذي أتَى بمعنى (التّزيين)، وشرحَ المعجمُ التّاريخيُّ الدّلالة بقوله: "الرِّصاعة: سَيْرٌ مضفورٌ في أسفلِ حِمَالَةِ السّيف(ج رصائع» (18).. وقد ورد استخدامُ هذه الدّلالةِ في العصر العبّاسيّ: «قال النّضر بْنُ شميل(203هـ): «الرّصائع: سيورٌ مضفورةٌ في أسفلِ حمائلِ السّيف، الواحدة (رصاعة). وهذه الدّلالةُ سجَّلتْها المعاجمُ في عصر الدّول والإمارات»(20).
ويدلُّ هذا على أنّ هذه الدّلالةَ لم يَرِدِ استخدامُها في العصر الحديثِ، ولكنَّها وردت عند الشّاعرِ عبدِ الله الشّيخ البشير بالدّلالة نفسِها.

**- هـرَّ: فطافَ بِعبْقَرٍ ليلًا فهَرَّتْ كِلابُ الجِنِّ: عرْفيطٌ وشَيْتُ**

أورد المعجمُ التّاريخيُّ دلالةَ كلمةِ (هرَّ) في المدخل الأوّلِ للدّلالة الحادية عشرة بقوله: «هرَّ الكلبُ إلى فلان هرَّة وهريرًا: نبح وكشَّر عن أنيابه، فهو هارٌّ، وهَــرّار»(21). ويتّفقُ هذا المعنى مع المعنى الكلّيّ العامّ للجذر (هـ ر ر): صوتٌ منَ الأصوات. ووَفقًا لمدوّنة المعجم ولدتْ هذه الدّلالة في عصر ما قبل الإسلام على لسان المثقّب العبديّ. يقول:

**بَاحِريَّ اللّونِ مزًا طَعْمُهُ يُشْبِعُ الكَلْبَ إذا هَرَّ و هَرْ(21).**

**- مزفزفة: سَمِعْتُ سِهامَ آفِلْونَ حَوْلي مُزَفْزِفَةً وآفِلْونُ مَيْتُ**

وردتِ الكلمةُ في المعجمِ التّاريخيّ في الجذر (ز ف ف)، المدخلِ السّادس (ز ف ز ف) الدّلالة الأولى: «زفزف السّهم: رنّ وصوّت إذ رُمي أو أُدير على طرف القوس»(23). ووردت عدّة شواهدَ له، أوّلها في عصر ما قبل الإسلام عند الشّنفرى (70 هـ س) يذكرُ سلاحَه(24):

**وتابَعْتُ فيه البَرْيَ حتّى تَرَكْتُهُ يَرِنُّ إذا أنْفَذْتُهُ وَيُزَفْزِفُ.**

وهكذا يتخيّرُ الشّاعرُ مفرداتِه منَ اللُّغةِ العاليةِ التي رجعت فيها كلمةُ مزفزفة إلى عصرِ ما قبل الإسلام، ووردَ لها شاهدٌ في العصر العبّاسيّ، ولم يأتِ المعجمُ التّاريخيُّ لها بشاهدٍ من عصرِ الدّول والإماراتِ والعصرِ الحديث، ولكنْ وردَ استخدامُها عندَ عبدِ الله الشّيخ البشير شاهدًا حيًّا.

**- مايح: ففاضَتْ فاسْتَجاشَتْ ثُمَّ سالَتْ جداولَ مايحَتْني فارْتَوَيْتُ**

وردتْ هذه المفردةُ في المعجمِ التّاريخي في الجذر (ميح) الذي من معانِيه الكلّيةِ الاستسقاءُ من قرارِ البئر، وذلك في المدخلِ الثّالث (مايح) في الدّلالة الأولى: «مايح الماءُ ونحوُه: انهمر وسال»، وورَدَ لها شاهدٌ استعماليٌّ في مدوّنة المعجمِ في العصر العبّاسيّ هو قولُ محمّد الفقسيّ(ت 184هـ) يرثي عبدَ الله بنَ مصعب(25):

**فظلّتْ تَجلّاني منَ الوَجْدِ غَشْيَةٌ**
**ومايَحَ من عينيَّ دَمْعٌ مُمايحُ**
**على رَجُلٍ أمّا نَوافِلُ جودِهِ**
**فتُجْدي وأمّا الوَجْهُ منهُ فواضحُ**

وفي هذا البيتِ الذي يتحدّثُ فيه الشّاعرُ عن حالِه عندما حلّق به خيالُ

---

(1) عبد الله الشيخ البشير : حياته وشعره، عثمان حميدة أحمد، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية :25.
(2) جريدة الانتباهة، الخرطوم 4 يوليو 2018م.
(3) عبد الله الشيخ البشير : حياته وشعره، مرجع سابق:38.
(4) المرجع السابق:20.
(5) المرجع السابق: 43.
(6) المرجع سابق:47.
(7) عبد الله الشيخ البشير : حياته وشعره، مرجع سابق: 43.
(8) شابكة المعلومات الدولية.
(9) عبد الله الشيخ البشير والبحث عن بيت شعر، عبد السلام كامل عبد السلام، مقال منشور في المجلة العربية بتاريخ 2019/9/29م.
(10) من محاضرة له مسجلة ، ومنشورة على الشابكة.
(11) عبد الله الشيخ البشير والبحث عن بيت شعر، مرجع سابق على الشابكة.
(12)الأفعال، لابن القوطية، تحقيق فودة:174.
(13) تفسير الراغب الأصفهاني1/139.
(14) الصحاح تحقيق العطار:2516.

الشِّعر في الأجواءِ السّماويَّة، فسالَ من عينَيْه دمعٌ منهمرٌ، وهذا شاهدٌ استعماليٌّ على ورودِ هذه الكلمةِ في العصرِ الحديثِ على لسانِ هذا الشّاعرِ المبدعِ، وهو يرتجلُ هذه القصيدةَ.

- أدغال: **هَبطْتُ وأجنُحي أدْغالُ نَخْلٍ إذا غنَّتْ عَصافِرُها انْتَشَيْتُ**

جاءت كلمةُ (أدغال) في المعجم التّاريخيِّ في الدّلالة الثّانية منَ المدخل السّابع، منَ الجذر (د غ ل) «بمعنى: الشّجر الكثيف الملتفّ بعضُه على بعض(26)، وأورد لها شاهدًا من عصر ما قبل الإسلام لعُروةَ بنِ الورد يقول(27):

**فإلّا أنَلْ أوْسًا فإنّي حَسْبُها بِمُنْبَطحِ الأَدْغالِ من ذي السّلاسِلِ**

ويُبيّنُ بيتُ الشّاعر عبدِ الله الشّيخ أنّه بعد انتهاءِ رحلتِه في أجواءِ الخيالِ السّماويّةِ إذا به يهبطُ في غاباتِ نخيلٍ متشابكٍ بعضُه مع بعض، وإذا صدحت عصافيرُها غمرتْه النّشوةُ.

اقْتَنَيْتُ: **فحطَّتْ ثُمَّ طارَتْ ثمَّ قالَتْ تُرى ما جَدَّ؟ قُلْتُ لها اقْتَنَيْتُ**

أتتِ الدّلالةُ في هذا البيت تحملُ معنى الرّضا والاستغناء، وقد وردت في مدوّنة المعجمِ التّاريخيِّ في الدّلالةِ الأولى منَ المدخل التّاسع منَ الجذر (ق ن و/ي)، وشرحَها المعجمُ بالقول: «اقتنى فلانٌ: استغنى بعد فقر»(28). وأورد لها شاهدًا من عصرِ ما قبل الإسلام للأسْعرِ الجُعفيّ يقول:

**للهِ دَرُّكَ من سبيلٍ واضحٍ سيّانِ فيه مَنْ تَصَعْلَكَ واقْتَنى**

وأتَى المعجمُ لدلالةِ هذه الكلمةِ بشاهدٍ منَ العصرِ الإسلاميّ، ومنَ العصرِ العبّاسيِّ، ولم يأتِ لها بشاهدٍ منَ العصرِ الحديثِ، ولكن توفّرَ هذا الشّاهدُ في هذه القصيدةِ عيّنةِ البحث.

### 5 - خاتمةٌ:

- أوقفتْنا هذه الورقةُ على السّيرةِ المتميّزةِ للشّاعرِ السّودانيِّ عبدِ الله الشّيخ البَشير الذي بدأ حياتَه بحفْظِ القُرآن الكريم، وأكملَها بالإجازةِ العاليةِ من جامعةِ الأزهر، ليعودَ إلى بلادِه، معلّمًا متألّقًا، وشاعرًا فذًّا، وقائدًا لمسيرةِ الثّقافة، وقد أغنَى الحياةَ الأدبيَّةَ بأشعارٍ خالدةٍ منها هذه القصيدةُ عيِّنةُ البحث التي جسَّدتْ قُدراتِ الشّاعرِ، من حيث الخيالُ الخصبُ، والصّوغُ المحكمُ، والتّرابطُ اللّفظيُّ المبدعُ، والانسجامُ الدّلاليُّ المتميِّزُ، وقد حظيتِ القصيدةُ باهتمامِ الشّعراءِ والأدباءِ، شرحًا وإشادةً، كما ظفِر صاحبُها بدراسةٍ جامعيّةٍ لدرجةِ الماجستير.
- كشفَ البحثُ عن تخيُّرِ الشّاعر لكلماتِه في القصيدةِ عيِّنةِ البحث، منَ اللُّغةِ العربيّةِ العالية، وقد وردَ بعضُها في مدوّنةِ المعجم التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ في عصرِ ما قبلَ الإسلام، والعصرِ الإسلاميِّ، والعصرِ العبّاسيِّ، في شواهدَ استعماليّةٍ حيّةٍ، وأخرى معجميّةٍ.
- أثبتَ البحثُ أنَّ بعضَ المفرداتِ التي تناولَها الباحثُ بالدّراسة بناءً على مدوّنةِ المعجم التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ، وردتْ عند الشّاعرِ مُستخدَمةً في العصرِ الحديثِ، ويمكنُ للمعجم التّاريخيّ أن يُضيفَها، مُستشهدًا بها، على استخدامِها في هذا العصرِ.
- حقّقَ البحثُ إضافةً للجُهدِ الغنيِّ الذي بُذلَ في إخراجِ المعجم التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ، بإضافةِ شواهدَ حيَّةٍ منَ العصرِ الحديثِ؛ ويمكنُ أن يقودَ هذا إلى مزيدٍ منَ الدّراساتِ المتعمِّقةِ في نصوصِ العربيّةِ في العصورِ المختلفةِ في ضوءِ مُدوّنةِ المعجمِ التّاريخيِّ للّغةِ العربيّةِ، التي هي كنزٌ للبحثِ اللُّغويِّ في الجوانبِ المختلفةِ.

والله الموفّقُ في البَدءِ والختام.

---

(15) المعجم التاريخي للغة العربية(نوى).
(16) ديوان المهلهل بن ربيعة، تحقيق أنطوان القوّال:93.
(17) مسند أحمد، تحقيق الارناؤوط وآخرين37/253.
(18) المعجم التاريخي(كمت).
(19)المصدر السابق (رصع).
(20) تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبد الله درويش2/23.
(21) المعجم التاريخي(هرَّ).
(22) غريب الحديث، إبراهيم بن إسحق الحربي، تحقيق سليمان العايد:685.
(23)المعجم التاريخي(زفف).
(24)الأغاني، للأصفهاني، تحقيق جابر21/195.
(25) جمهرة نسب قريش وأخبارها، ابن بكار، تحقيق محمود شاكر 1/151.
(26) المعجم التاريخي(دغل).
(27) الأغاني، للأصفهاني، تحقيق إحسان عباس وآخرين3/53.
(28) المعجم التاريخي (ق ن و ي).



# أَدَبُ الذّكــــاءِ الاصـطـنـاعـيِّ ومُعضلةُ الإبـداعِ وشيءٌ من هذا القبيل

أصبحَ بمقدورِ أيِّ مُتصفّحٍ لشبكةِ الانترنت ومواقعِ التّواصُلِ الاجتماعيِّ كتابةُ نصٍّ أدبيٍّ، شعرٍ أو قصّةٍ أو روايةٍ أو خاطرةٍ أو حتى كتابةِ نصٍّ للدّراما أوِ المسرح، أو أغنيةٍ أو مقالٍ صحفيٍّ، وتطوّرَ الأمرُ إلى كتابةِ بحوثٍ ودراساتٍ بمجرّدِ الكتابةِ في أحدِ مواقعِ الذّكاءِ الاصطناعيِّ طلبًا بذلك، وقدِ انتشرت نماذجُ كثيرةٌ وانتشرت أيضًا وسائلُ توضّحُ طرائِقَ التّلاعبِ وإخفاءِ استعمالِهم لها.

كنتُ دائمًا وأبدًا منذ طُفولتي على ثقةٍ أنَّ العالمَ سيتطوّرُ، وكنتُ أعبِّرُ عن رؤيتي وَأنا طفلةٌ بالأسئلةِ، مثلَ: لماذا لا يُشاهدُ المتّصلُ من يتّصلُ به على الهاتف؟ ولماذا لا نطلبُ ما نريدُ منَ البيتِ دون الحاجةِ إلى الذّهابِ إلى السّوقِ، أوِ الحاجةِ إلى حملِ النّقودِ في المحفظةِ، وعندما كبرتُ أكثرَ وصلتُ في خيالي الشّعريِّ العاطفيِّ إلى ضرورةِ ابتكارِ وسيلةٍ تضعُ لي فيها والدتي كلَّ الطّعامِ الذي تطبخُه ويصلُني إلى المدينةِ الجامعيّةِ بكبسةِ زرٍّ، والكثيرِ منَ الأمورِ التي تتعلّقُ بالرّفاهية، لكن لم أتخيّلْ أن يصلَ الأمرُ إلى الإبداعِ.



قمر الجاسم
كاتبة وإعلامية من سوريا

أوّلَ ما شدّني الأمرُ عندما اعترفَ الفائزُ بجائزةِ نوبل بالأدبِ مو يان أحدُ أشهرِ الأدباء الصّينيّين، أنّه استخدمَ "الذّكاء الاصطناعيّ" ليكتبَ له الكلمةَ التي ألقاها في حفلٍ أقامتْه مجلّةٌ أدبيّةٌ صينيّةٌ بمناسبة مرورِ 65 سنة على تأسيسِها، فبحثتُ وفتّشتُ وحاولت أن أصلَ إلى أيّ درجةٍ صار ممكنًا استخدامُ الذّكاءِ الاصطناعيِّ في كتابة عملٍ إبداعيٍّ كاملٍ؟ واطّلعتُ على نتائجِ تجاربِ الأشخاص الذين حاولُوا الاستكشافَ مثلي والإجابةَ عَنِ الكثيرِ منَ الأسئلة التي تدور في خاطري، بخاصّةٍ في الشّعر وهو تجربةٌ إنسانيّةٌ، فقد يستعين الكاتبُ به للتّصحيح اللّغويِّ، لكنَّ الإبداعَ كلمةٌ كبيرةٌ، حتّى في الشّعر تساءلتُ: هَلْ

تُوجَدُ صعوبةٌ في الأوزان؟ وكما تخيّلتُ برغمِ وجودِ برامجَ كثيرةٍ مبرمجةٍ على الأوزانِ إلّا أنّه لم يستطع إتقانَ الوزن وحين طُلب منه قصائدُ مثل تجاربِ نزار قبّاني أو محمود درويش أوِ المتنبّي، رأيتُ نماذجَ اختار فيها كلماتٍ من "ذاكرته" أوِ المُدخلاتِ التي أُعطيت له، لكنَّ النّصوص جاءت على طريقة السّجع، ولوِ افترضْنا أنّه استطاع إتقانَ الوزن، هل سيأتي بقصيدةٍ جميلةٍ مدهشةٍ ؟ وأين بصمةُ الكاتبِ؟ وإلى مَنْ يُنْسَبُ النّصّ؟ والسّؤالُ الأهمُّ في ظلّ استسهالِ الكتابة وقلّة القراءة لتطويرِ الكاتبِ لأدواته: إلى أين يَصِلُ الشّبابُ في الاعتمادِ على "الغير" الآلي بدلَ أن يُثقّف نفسَه ليكتبَ نصًّا مبدعًا؟ بخاصّة أنّ الكتبَ صارت متاحةً، ونحن كنّا نقتطعُ من مصروفنا لشراء الكُتب، إن لم يكن يذهبُ كلُّه لشرائها، ونحن من جهة أخرى نعاني من إشكاليّاتٍ عدّةٍ مع الشّكل، ومع المضمون، ونتحدّثُ عن الابتكار، حتّى عند البعضِ نجدُ الفرقَ بين النّظم والشّعر، ويُوجَدُ أيضًا الكاتبُ الشّبحُ، والكاتبُ المُقلِّد، والكاتبُ المتأثّر بتجاربِ الآخرين، والكاتبُ السّارقُ، ماذا نُسَمِّي كاتبَ هذهِ النُّصوصِ؟ الكاتبَ الآليَّ. لمن تكونُ تبعيّةُ النّصّ أخلاقيًّا على الأقلّ؟

### من لُعبةٍ للاستكشافِ إلى روايةٍ موجَّهة لليافعين.

في ندوةٍ دُعيتُ إلى المشاركةِ فيها عَنْ مستقبلِ الأدبِ في عصر الذّكاءِ الاصطناعيِّ، سعدتُ كثيرًا باستضافةِ صاحبِ أوّلِ روايةٍ عربيّةٍ مستخدمًا تقنيةَ الذّكاءِ الاصطناعيّ، وكنتُ أودُّ منذ إصدارِها أن أعرفَ أكثرَ عن تجربتِه،



تحدّث أحمد لطفي عن تجربتِه في كتابة روايةِ "خيانةٌ في المغرب" عادًّا الأمرَ في البداية نوعًا منَ اللّعب والاستكشاف، وكيف أنّه أعطاه مُدخلاتٍ بسيطةً جدًّا ليكتبَ له قصّةً عن فارسٍ الذي سافرَ إلى المغرب... وكان الفصلُ الأوّلُ منَ الرّواية نتيجةَ تلك المُدخلات . وعدَّهُ الكاتبُ نصًّا يمكنُ الاعتمادُ عليه له بدايةٌ ونهايةٌ وفيه تطوُّرٌ.. فتشجّعَ ليستخدمَه في عملٍ أكبرَ، فأعطاه مُدخلاتٍ جديدةً ليبدأَ بسرْدِ أحداثٍ أطولَ بحيث قال له: اكتبْ لي أنّه قدْ طُوردَ مُستطردًا أنّ فكرة الرّواية لم تكن في باله أصلًا.. فهو لا يكتبُ هذا النّوعَ، ولا يكتبُ لليافعين.. وكان يؤكّدُ دائمًا أنَّ الأمرَ كان لعبةَ استكشافٍ.. وهكذا كتبَ الفصلَ الثّاني بالطّريقة نفسها، موجِّهًا الكاتبَ للتّنويع في الفصولِ، حاثًّا إيّاهُ "الكاتبَ الاصطناعيَّ"على أن يهتمَّ بالحوارِ في فصلٍ، وفي فصلٍ آخرَ أن يهتمَّ بنفسيّة البطلِ، ولم يهتمَّ بتطوير الرّوايةِ حتّى إنّهُ ترك الخطأَ الذي وقعَ به "الرّبوت" حيث نسيَ الأخيرُ اسمَ البطلِ وكتبَ اسمًا آخرَ، كما تحدّثَ عن أخطاء أخرى مثل استخدام جُملٍ اسميّةٍ بدلَ الجُملِ الفعليّة، وأنّه يكتبُ كما لو أنّه يكتبُ بلُغةٍ إنكليزيّةٍ وأورد مثالاً: أنا ذهبتُ إلى المغرب، قال أحمد. وأشياءُ كثيرةٌ مثل المفرداتِ البسيطةِ وتكرار كلمةِ كان. كما كنّا نفعلُ عندما نكتبُ مواضيعَ تعبيرٍ في المرحلةِ الابتدائيّة، وكلّما ازدادت ثقافتُنا أتقنّا فنَّ البوحِ والصّورةِ واللّغةِ ما يعني أنّه مع الوقت ربّما بزيادةِ مدخلاته سيتطوّرُ هو أيضًا؟ وأسئلةٌ كثيرةٌ تظلُّ مطروحةً في مخيّلة كلٍّ منّا، خاصّةً ما يتعلّقُ بالمُدخلات، فقد نوّه أحدُ المشاركين في النّدوةِ بأنّهُ طُلب منه كتابةُ نصٍّ عن هتلر، فقال إنّه لا يستطيع، وخلُص إلى

نتيجةٍ مهمّةٍ أنّ هناك أيديولوجيّاتٍ معيّنةً وأفكارًا معيّنةً تتناسبُ مع أفكار الشّركاتِ المُصنّعةِ وَمُعتقداتها و أيديولوجيّاتِها ليس بالضّرورة أن تتناسبَ مع مجتمعاتٍ أخرى مثل أيِّ صناعةٍ.

ومنَ الأسئلة التي طُرِحَتْ أيضًا على موقع ChatGPT إذا كان بإمكانِه الحلولُ مكانَ الكتابةِ الإبداعيّةِ فأجاب هو نفسُه حرفيًّا مؤكّدًا فِكْرَتَنا عارفًا لقُدراته: "لا، لا يمكنُ للذّكاء الاصطناعيِّ أن يحلَّ محلَّ الكتابةِ الإبداعيّةِ، في حين يمكنُ للذّكاء الاصطناعيِّ إنشاءُ نصٍّ بناءً على الأنماط التي تعلَّمَها».

ومنَ الأسئلةِ التي طُرحت عليه أيضًا إن كان بإمكانه كتابةُ نصٍّ شعريٍّ، فأكّدَ ضرورة الوضعِ في الاعتبار أنّه ليس شاعرًا حقيقيًّا، لذا قد لا تكونُ القصيدةُ بمستوى الإبداعِ الذي يمتلكُه الشّعراءُ المحترفون. هذا ما يقولُه قبْلَ إعطاءِ النّصّ المطلوبِ والكثير منَ الإجاباتِ التي اعترفَ من خلالها بقُدراته ووصفَ فيها بدقّةٍ آليّةَ عملِه.

## هل يُعَدُّ عملًا إبداعيًا؟

مازلنا إلى الآن نسعَى للحصولِ على قوانينَ صارمةٍ لحمايةِ حقوقِ المؤلّفِ بخاصّةٍ في ظلِّ انتشارِ مواقعِ التّواصلِ الاجتماعيِّ واستباحةِ نصوصِنا ونشْرِها تحت أسماءٍ مستعارةٍ، وعند تنبيهِهِم على ضرورةِ وضْعِ أسماءِ الكُتّاب الحقيقيّين يقومون بحظْرِنا بكبسةِ زرٍّ، ولا يَكتفون بالسّرقةِ المعلَنةِ بل يتمادَون في الإلغاءِ التّامّ لوجودِنا. كما قام البعضُ بفتحِ حساباتٍ بأسماءِ أدباءَ رحلُوا بل وَصلَ الأمرُ إلى انْتهاكِ حُرمةِ نصوصِهم بكتابةِ نصوصٍ رديئةٍ تُنسبُ إليهم، لكي تنالَ الصّفحاتُ مشاركاتٍ وتفاعلًا أكبرَ... ويظلُّ برغم كلِّ ذلك نسبةُ النّصّ إلى صاحبِه، لكنْ مَنِ المؤلّفُ هنا في مواقعِ الذّكاء الاصطناعيّ؟ ماهي ظروفُ كتابةِ النّصّ؟ والبيئةُ التي انحدر منها الكاتبُ أو تأثّر بها؟ والوحيُ؟! و إلى مَنْ تُنْسَبُ تلك الحقوقُ لروايةٍ أو قصيدةٍ كُتبت بدقائقَ انطلاقًا من جملة أو جملتَين بغضِّ النّظر عن جودة المادّة؟ وعدمِ وجودِ لغةٍ وصُورٍ وابتكارٍ ورؤيةٍ ورؤيا كما يليقُ بالإبداعِ، فهذا ما نراه في الكثير من نصوصِ "البشر" حتى إذا انطلقْنا منَ العاطفةِ الموجودةِ في النّصوصِ البَشريَّةِ أَلْفَيْناها مُتَراوِحَةَ المستوياتِ .فقد نجدُ الكثيرَ منَ القصائدِ الوطنيّةِ أو قصائدِ الحُبّ.. بلا عاطفةٍ ، ويُرى فرقٌ بين كاتبٍ وآخرَ، وَ أسئلةٌ كثيرةٌ لا يمكن حصْرُها.. مثل : ما البيئةُ الاجتماعيّةُ للنّصّ الاصطناعيّ؟ هل يجيبُنا ذلك النّصُّ عنِ العلاقةِ بين الذّكاء والموهبةِ والإبداع؟ وهل يُعَدُّ أصلًا عملًا إبداعيًّا؟

## على من تقعُ المسؤوليّةُ الأخلاقيّةُ

مــازالــوا يدرسون على من تقعُ المسؤوليّةُ القانونيّةُ في حالةِ وقوعِ حادثٍ في السّياراتِ ذاتيةِ القيادة.. ونحن سنسألُ على من تَقعُ المسؤوليّةُ الأخلاقيّةُ في استسهالِ الكتابةِ وانتشارِ نصوصٍ بلا هويةٍ ولا تمتُّ للإبداع بصِلةٍ؟ كما لجأت شركاتُ الذّكاءِ الاصطناعيّ إلى شراء وجوهِ النّاس لاستخدامِها في تصنيعِ روبوتاتٍ لتعملَ في المستقبل في الفنادق والمتاجرِ الكبرى وَيتخلَّى بائعو الوجوه عن بصماتِ وجوهِهم إلى الأبد، هل يَسْتَطيعُ أن يؤسّسَ لـ"بصمة" الكاتبِ التي لا تُشبهُها بصمةٌ أخرى، وقدِ استعصَى على كتّابٍ بشرٍ الكتابةُ كالمتنبّي أو محمود درويش أو أحمد شوقي وغيرِهم حاولوا كثيرًا تقليدهم؟..




ولـمَّا كانَ الذّكاءُ الاصطناعيُّ لا يخفَى عليه شيءٌ مِمّا ذُكِرَ أُنْشِئَتْ خاصّيةٌ لكشف العملِ المسروقِ منَ المواقعِ الأخرى بنسبةٍ دقيقةٍ وإعطاءِ المكان الذي سرقَ منه الكاتبُ والمقالاتِ التي استخدمَها بتظليلِها باللّون الأحمرِ مع روابـطِ المواقعِ، وأيضًا صارت لديه خاصّيةُ كشفِ الكتاباتِ التي تستعملُ الذّكاءَ الاصطناعيَّ، فيمكنُنا وضعُ نصٍّ له وسؤالُه عمّا إذا كان هذا النّصّ من

صُنعِه، فيجيبُ بالحقيقةِ، فظهرَ الكثيرُ مِنَ النّاشطين على تلك المواقع ليشرحُوا طرائقَ التّحايلِ بحيث لا يمكنُ لأحدٍ كشفُ ذلك، خاصّة مَنْ يستعملهُ في الأبحاثِ المقدّمةِ لرسائلَ علميّةٍ، مقدَّمة لنيلِ درجاتٍ في الجامعات، وهنا أيضًا مشكلةٌ كبرى، مشكلةٌ أخلاقيّةٌ يقومُ بها من سيقومون بتدريسِ الأجيال في المستقبل. البعضُ يقولون إنَّ الذّكاء الاصطناعيَّ سيزيدُ مَنَ الإنتاجيّةِ، لكن نحن هنا يهمُّنا الكيفُ وليس الكمُّ، والبعضُ يعتقدُ أنّه سيُحسّن من جودة النّتاج الأدبيِّ. لِنَعُدْ هنا أيضًا إلى الحلقة المُفرغة نفسِها، إن لم يطوّرِ الكاتبُ نفسَه من أدواته، ويحسّنْ جودةَ نصوصِهِ هل تَذْكُرُه الأجيالُ القادمةُ بأَنَّه مبدعٌ تعاونَ مع الآلة؟ وهل يرضَى بذلك؟ لقدِ اعترفتِ الكاتبةُ اليابانيّةُ ري كودان الحاصلةُ على جائزةِ أكوتاغوا بأنّ خمسةً (5) في المائة من عباراتِ روايتِها الفائزةِ اعتمدت على الذّكاءِ الاصطناعيِّ دون حرج. وأنّه ساعدَها على تطويرِ قُدراتِها، ويبدو الأمرُ مقبولًا لأنها أشارت إلى ذلك. وربّما لو فعلت هذا قبل إعلانِ النّتائج لكان للجنةِ التّحكيم رأيٌ آخرُ.

من جهةٍ أخرى استطاع الذّكاءُ الاصطناعيُّ التّرويجَ للكُتب وانتشرت انتشارًا واسعًا، وازدادتِ المبيعاتُ وهذا يُحسبُ له، وأيضًا سهُلَ على القُرّاء قراءةُ الأدبِ العالميِّ من خلال التّرجمة،إذْ يُوجد كثيرٌ منَ المجموعاتِ الشّعريّةِ والرّواياتِ التي كنّا نتمنّى قراءتَها وَهِيَ لَمْ تَكُنْ مُترجمةً مِنْ قَبْلُ، فصارَ بإمكاننا الآن قراءتُها.. ثمّ ترجمةُ أعمالنا الإبداعيّةِ إلى لُغاتٍ عدّةٍ ونشرُها عالميًّا، ومِنْ ثَمّ تسويقُها، هذا هنا يندرجُ تحت الاقتصاد ما دامَ أنّه يرتبطُ بالتّسويق، لنؤكّدَ أنّه أحدثَ وسيُحدث تحوّلًا كبيرًا في الاقتصادِ العالميِّ، وتوفيرِ الفُرَصِ والوقتِ والجهدِ.. لكنّه سيظلُّ في الأدبِ على العموم والشّعر على الخصوص مرتبطًا بالمصداقيّةِ على أقلّ تقديرٍ، مِصداقيّةِ الكاتب؛ لأنَّ القارئ لن يستطيعَ التّفريقَ بين الجُمل التي كتبَها والجُملِ التي استعان بها آليًّا، ولن يعرفَ النّسبةَ التي استخدمَها في نصوصِه.. وستُصبحُ الأفكارُ المبتكرةُ بحاجةٍ إلى فحصِ نسبتِها من خلاله أيضًا.. حتّى إذا اعترفَ باستخدامِه كما فعل الكثيرُ منَ الكُتّاب.

وأختمُ، نحن لسْنا ضدَّ التّطوّرِ، لكنْ من حقّنا الخوفُ على الشّعر بخاصّةٍ، نحن أمّةٌ شاعرةٌ تعتزُّ بلُغتِها وشِعرِها وتفخرُ أنّ الشّعرَ ديوانُ العربِ ووسيلةُ إعلامِه وتخافُ أن يأخذَ من سوق عكاظ "الشّعريّ التّجاريّ" التّجاريّ فقط. فَتُصبحَ معلّقاتُ مواقعِ التّواصُلِ الاجتماعيِّ التي لا هويّةَ لها ملاذًا للأجيالِ الجديدةِ.

## حِكَمٌ وَآدَابٌ

### مَا قَلَّ وَدَلَّ

مِنَ الْحِكَمِ الْمَأْثُرَةِ فِي الاقْتِصَارِ وَالاخْتِصَارِ وَتَرْكِ كَثْرَةِ الْكَلَامِ إلاّ مِنْ خَيْرٍ:

قَوْلُ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ: خَيْرُ الْكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ.

وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: كَلَامُ الْمَرْءِ بَيَانُ فَضْلِه، وَتَرْجُمَانُ عَقْلِه، فَاقْصُرْهُ عَلَى الْجَمِيلِ، وَاقْتَصِرْ مِنْهُ عَلَى الْقَلِيلِ.

وَقَوْلُ آخَرِينَ: الْحَصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ؛ لأَنَّ الْحَصَرَ يُضْعِفُ الْحُجَّةَ، وَالْهَذَرُ يُتْلِفُ الْمَحَجَّةَ.



Government of Sharjah حـكـومـة الشـــــارقـة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

# إصــــــدارات

## مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة




العــدد الســـابــق



المدينة الجامعية – الشارقة –الإمارات العربية المتحدة | مبنى مجمع اللغة العربية | الدور الأول
هاتف: 400 60 51 6 971+ | فاكس: 410 60 51 6 971+ | ص.ب: الشارقة: 1973
البريد الإلكتروني:info@alashj.ae | الموقع الإلكتروني: www.alashj.ae

Government of Sharjah حكومة الشارقة
مجمع اللغة العربية بالشارقة
ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

# الإصدار الرّابع

## لمجمع اللغة العربيّة بالشّارقة




تنبع قيمة هذا الكتاب من كونه ينشر لأوّل مرة نصّا تراثيّا محقّقًا بالاعتماد على نسختين بخط المؤلف: إحداهما من دار الكتب الظاهرية، والأخرى من مكتبة الأزهر الشريف. ويزخر النّص بمادة علميّة غنيّة بالشواهد البلاغية، ثمرة اطلاع المؤلف على شروح من سبق من أصحاب البديعيّات، إذ قدّم شرحًا مكتملًا لبديعية «رشحات صدم من مسبي العذار، ونفحات مدح في النبي المختار»، وآخر غير مكتمل لبديعية «العقد البديع في مدح النبي الشفيع».

وفي تناول المصطلحات البلاغيّة، راعى المؤلف جانبين متكافئين: أحدهما تعليمي يقرّب علم البلاغة ويُميّز بين الألوان البديعية المتداخلة، متتبعًا المصطلح البلاغي بين المتقدّمين والمتأخّرين لرسم تطوّره، ومصنّفًا الشواهد في مواضعها المناسبة، ومناقشًا ما ورد في غير بابه. أما الجانب التجديدي، فتجلّى في الإسهام بتكوين مصطلحات ابتكرها البلاغيون المتأخرون ، إذ بادر قاسم البكرجي إلى تناولها شرحًا في وقت مبكّر، قبل أن تتناولها شروح البديعيّات الأخرى.

كما تضمّن الجانب التجديدي شواهد شعرية نادرة، خاصة في بابي التورية والإلغاز، لا تكاد تَرِد في مصنفات البلاغيين السابقين، وبعضها يفتح مجالًا للاستدراك على دواوين محققة، فضلًا عن أشعار معاصري المؤلف، كحسن التفتنازي، ومصطفى البيري، وعبد اللطيف الكوراني، وأشعار المؤلف نفسه، وكلها تسهم في الكشف عن جانب من الحركة الأدبية في حقبة طالما وُصفت -بغير دقّة- بعصر الانحطاط.